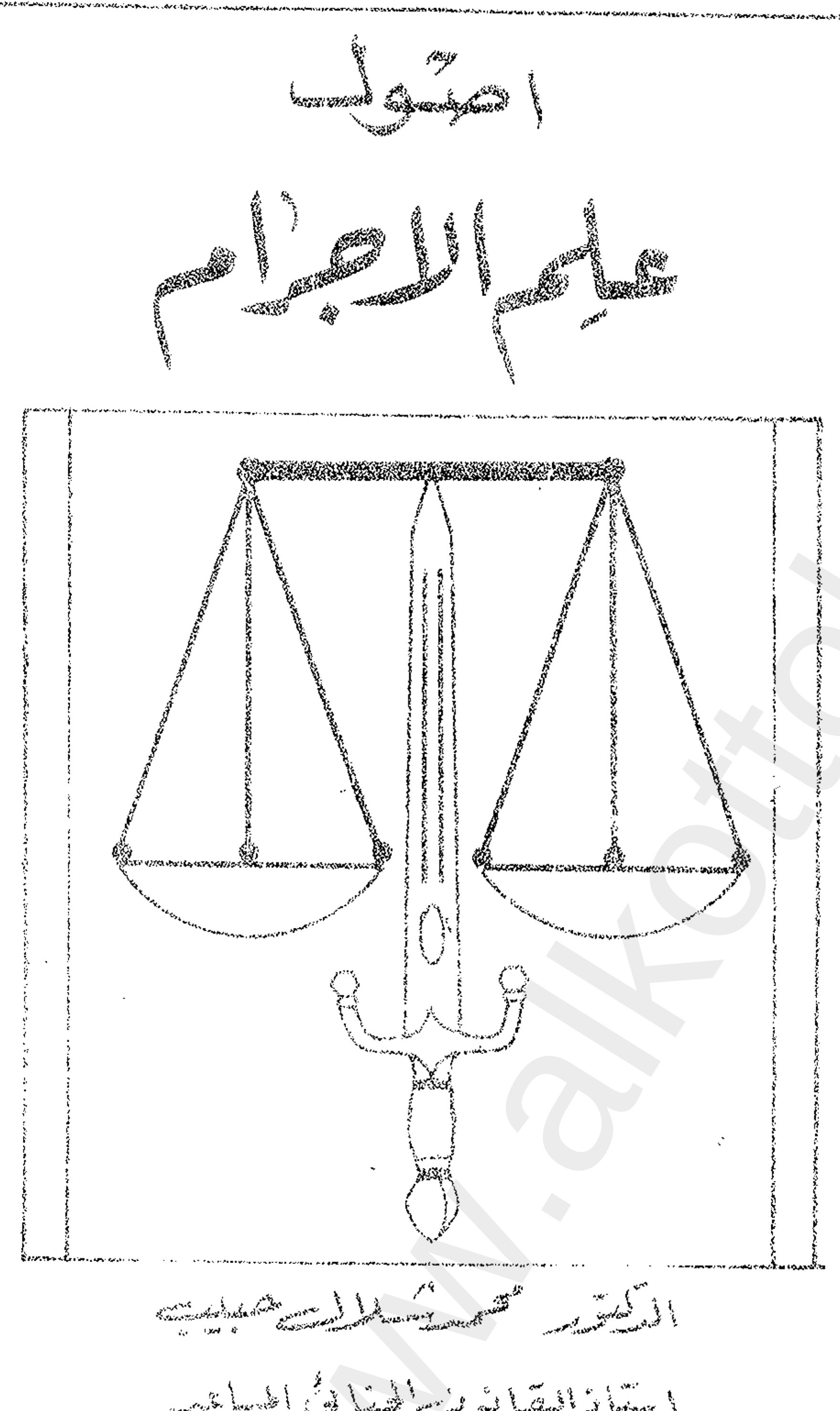
أصول

علم الإجرام



الدكتور محمد شلال حبيب

أستاذ القانون الجنائي المساعد



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــــد

ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خـــاب من دساها (١) ٠

تشير هذه الايات الكريمة بوضوح الى حقيقة النفس الانسانية بكـل تفاصيلها ودقائقها ، ومن يتدبر في هذه الايات المحكمـة يبـدو لـه جليـــا تأصيلها الحقيقة الصراع بين الخير والشر ، وازدواج طبيعة الانسان ، اذ الانسان بأصل تكوينه مستعد فطرة لان ينهج نهج الخير او نهج الشـــر ، وقد تجسدت هذه الحقيقة بالجريمة الاولى التي اقترفها الانسان ضد اخيه الانسان ، وحين تفجر هذا الصراع في نفس قابيـل فسولت له نفسه قتـل اخيه هابيل ، ومن هذا يتأكد لنا ان الجريمة حقيقة بشرية وظاهرة قديمـة لازمت الانسان منذ ان وطأت قدماه الارض، فلم تفارقه وستظل كذلك قائمة مستمرة الى حيث شاء الله ولكن ظرفها وعواملها ووسائـل تنفيذهـا تتغير بتغير الزمان والمكان ، ومواكبة الرقي الاجتماعي والحضارى للمجتمع ، وفي هذا دحض لمن يقول بامكانية استئصال الجريمة والقضـاء عليها قضـــاء مبرمـــــا ٠

وكذلك يتضح لنا ان الجريمة الاولى ان دلت على قسوة الانســان فانها من جانب اخر تدل دلالة على نبل الانسان وسموه وترفعه عن اقتراف الجريمة ، لان قابيل حين اصر على قتل هابيل لم يجابهـه الاخير بمثـل اصرار اخيه ، بل أثر ان يضحي بنفسه ليكون بذلك مثلا رائعا للتضحيـة والايثار ، وهل دليل اوضح على ايثار هابيل وتضحيتـه مـن اجـل الغير ،

---

١ ــ سورة ، الشمس الايات ٧ ــ ١٠ ٠

وهذا السمو الذى تجلى في سلوكه تبينها ان الخير في المال يكون هو المنتصر للسببين الاتيين :

الاول : تضحية هابيل بنفسه وايثاره أن يكون مظلوما لا ظالما مجنيا عليه لا جانيا (والجود بالنفس اقصى غاية الجود) .

الثاني : لم يتأصل عامل الفجور في نفس قابيل بل نازعه عامل التقوى حين حضه على التوبة فجعله من النادمين ، مصداقا لقوله : ((فالهمها فجورها وتقواها)) ، وقد بين القرأن الكريم هذه الحقيقة كامله ، قال تعالى وهو اصدق القائلين :ـ

واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين ، اني اريد ان تبوأ بأثمي وأثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاؤا الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ، فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه قال ياويلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخي فاصبح من النادمين)(٢)

هذا وما دام الانسان يحمل عاملي الخير والشر ، وما دام الصراع بينهما يبقى مستمرا فان من الضرورى ان تأخذ هذه الحقيقة مكان الصداره في كل دراسه وبحث يتصديان لتحليل السلوك الانساني وعلى هذا الاساس توخى المؤلف العمق والاصاله ليحيط بعمق النفس الانسانية وليسبر اغوارها ، وما دامت الجريمة هي احدى النتائج الرئيسه لهذا الصراع فانها تشغل بال العديد من الفقهاء والعلماء والفلاسفه والمصلحين وجميع الباحثين

---

٢ ـ سورة المائدة . الايات ٢٦ ـ ٣١

في ميدان الفكر الانساني والحضارة الانسانية ، باستقصاء اسبابها وتحليل العوامل الدافعة اليها ، تمهيدا للوصول الى افضل الوسائل الممكنة لمكافحتها للقضاء عليها او الحد منها قدر الامكان ، باستئصال كل مايعكر صفو الحياة الهادئه ، ومن اجل أن ينعم الانسان بالرخاء ويأمن الخوف ، ومتى اضحى الخوف امنا والبغضاء مودة واخاء ، واطمأنت الجفون وشبعت البطون ، فلا خوف من سارق ولا رهبة من جبار .

ثم ان الايه الخاصة بنفس الانسان تكشف عن حقيقة علمية اخرى تتعلق بسلوك الانسان ، وهي ان الظاهرة الجرمية ليست امرا وراثيا ،لان السلوك الانساني يدور بين الخير والشر ، لما يحمله الانسان من الاستعداد لهما اضف الى ذلك ان السلوك الاجرامي لو كان وراثيا لتساوى فيه قابيل وهابيل لانهما من اصل واحد .

كما ان الانسان ليس مسيرا ولامجبرا على اقتراف الجريمة لا بالعامل الوراثي ولا بأى عامل اخر داخليا كان ام خارجيا ، والا لاصبح من العبث ارسال المرسلين واصلاح المصلحين وتوجيه الموجهين ، ولكان العقاب في هذه الحالة ظلما لاعدلا ،وترك العقاب يعني اطلاق العنان للمجرمين والمنحرفين ليسعوا في الارض فسادا ، ويعني التجاوز عن اهم مبدأ تقوم عليه الحياة ويقره القرآن الكريم في قوله تعالى : ((ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب لعلكم تعقلون)) (٣) .

وقد حاولنا ان نقدم ما في وسعنا من جهد في هذا البحث معتمدين منهجا خاصا بنا ، مع الاقرار بفضل من سبقنا بالكتابة في هذا الموضوع ، فعرضنا اهم النظريات الرئيسيه في تفسير السلوك الاجرامي عرضا علميا موضوعيا مع موازاتها باحكام الفقه الاسلامي الذى اغفله اغلب الباحثين

---

٣ ــ سورة البقرة ، اية ١٧٩

العرب عند تحليلهم لهذا السلوك ، لقناعتنا الكاملة ان في ذخائر الفقه الاسلامي من المبادىء والنظريات ما لايقل في رقي الصناعة : وفي احكام الصنعه عن احداث المبادىء والنظريات الفقهيه التي نتلقاها اليوم عن الفقه الوضعي الحديث (٤) ·

متضرعين الى العلي القدير ان يجعل بحثنا هذا خدمة للحقيقة ، ضالة المخلصين التي طالما هفت الافئدة اليها ، ومن البديهي ان هذه الحقيقة لاتتجلى الا باعتماد البحوث المستندة الى المناهج العلمية المقارنة ؛ اذ الافكار والاراء كالمصابيح كلما تعددت زادت انارتها وسهلت تلمس الحق لطالبيها·

وباعتماد المنهج الاستقرائي والاستنباطي مفتاح المنهج العلمي التجريبي المعاصر ، وتحري الحقيقة باسلوب موضوعي بعيد عن الذات والهوى ، وبالاستعانة باحصائيات الجرائم والدراسات التطبيقية والميدانية يسر الله كتابة هذا البحث الوجيز الذى نأمل ان يسهم جديا في بناء فكر قانوني اصيل مستمد من اصالة هذه الامة وقيمها الاخلاقية الفاضلة وتراثها الفقهي المجيد . وقد تبنى اعلان الرباط(٥) هذه الحقيقة بقوله : ــ

ان اساس وحدة الامة العربية وعنوان مجدها وعزتها ومصدر قوتها واصالتها هي : الشريعة الاسلامية التي انعم الله بها على هذه الامة ·

وبناء على ماتقدم ، فقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها الى ثلاثة ابواب : ــ

---

٤ ــ الاستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري القضاء ، العدد الاول السنة الثانية مارس ١٩٣٦ ·

٥ ــ الصادر عن المؤتمر الاول لوزراء العدل العرب ، الذى انعقد في مدينة الرباط في المملكة المغربية للفترة من ١٤ ــ ١٦ كانون الاول ١٩٧٧ ·

الباب الاول : المبادىء العامة في علم الاجـــرام

الباب الثاني : التفسير العلمي للظاهرة الاجرامية

الباب الثالث : عوامل السلوك الاجرامـــي

املين ان نكون بهذا العمل قد ادينا واجبنا العلمي بما يسهم في تشييد صرح البناء الاجتماعي السليم الذى يوفر للفرد الملجأ الامن والملاذ الروحي والحصن الاخلاقي ، وتحقيقا للهدف المنشود في توفير العدل والطمأنينـــه والاستقرار ، راجين من الله ان يجعل جهدنا هذا خالصا لوجهه الكريـــم وان يأخذ بايدينا لما فيه الخير لابناء بلدنا وامتنا انه سميع مجيب .

الباب الاول

المبادىء العامـــه في علـــم الاجـــرام

ويتضمن الفصليـــن الاتييـن :

الفصـــل الاول / التعريف بعلم الاجرام وبيان طبيعتـه

الفصـــل الثانـي / اساليب المنهج العلمـي التجريبـي في علـــم الاجـرام

الفصـــــل الاول

التعريف بعلـم الاجـرام وبيـــان طبيعتـــه

لعل جدلا لم يحتدم حول علم من العلوم كالجدل الذى احتدم حول علم الاجرام ، سواء بالنسبة لتعريفه وما يمثله هذا التعريف من عناصر تبيـن حقيقته ، او بالنسبة لكونه علما مستقلا عن غيره من العلوم لان ذلك يتطلب الاستعانة بكل علم يعنى بدراسة شخصية كروح وجسـد ، او بالنسبـة لكونه مقسما الى عدة فروع يختص كل منها ببحث الظاهرة الجرمية مـن زاوية معينة .

وبالنظر لما تمتاز به الظاهرة الجرمية من ذاتية متشعبة الجوانب سواء بصفتها ظاهرة في حياة الفرد او في حياة المجتمع .

فقد اقتضت طبيعة هذا الفصل تقسيمه الى المباحث الثلاث الاتية :

المبحث الاول : ظهور علم الاجرام وتطوره

المبحث الثاني : صلة علم الاجرام بالعلوم الجنائية الاخرى

المبحث الثالث : فروع علم الاجـــرام



المبحث الاول

ظهور علـــم الاجـــرام وتطـــوره

علم الاجرام (Criminologie) بالمعنى الفني لكلمة علـم حديـث النشأة شأنهى في ذلك شأن العلوم المتصله بدراسة الانسان ، التـى ام تتطور الا بتطور المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية والبحث في حقائق الحياة(١) ٠

الا ان هذا لاينفي وجود بعض الاشارات التي وجدت في كتب الاقدمين التي يمكن ان يستدل منها على ان لهذا العلم تاريخ موغل في القدم يرجع الى ايبوقراط وسقراط وارسطو وافلاطون . حيث ذهب هؤلاء الفلاسفة في تحليلهم لشخصية المجرم الىان مرتكب الجريمة يتصف بنفس منحرفة نتيجة عيوب خلقيه وجسميه ٠

وفي اوائل القرن التاسع نادى عالم الاجتماع اوجست كومت (١٧٩٩ ـ ١٨٥٧) (Auguste comte) بضرورة اتباع المنهج التجريبي في دراسـة الظواهر الاجتماعية ، ولما كانت الجريمة من اهم هـذه الظواهـر لـذا فأن البحث في اسبابها كان من اوائل الوضوعات التي لفتت انظار علماء الاجتماع اليها ، فظهرت مدرسة البيئه اوالوسط الاجتماعي الفرنسية ـالبلجيكيه(٢) التـي حمل لوائها كيتليه في بلجيكا ومثلهـا في فرنسا كل من جيرى وتـارد ودوركهايم ولاكاساني وسالي وجولي ٠

---

١ ـ د ٠ رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٩ ٠

٢ ـ د ٠ عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجـرام ، محاضـرات القيت علي طلبة دبلوم القانون الجنائي بكلية الحقوق ـ جامعـة القاهرة ، ٩٧٤ ـ ١٩٧٥ مسحوبا بالرونيو ص ٦ ٠

فقد اصدر العالم الفرنسي جيري (Gyerry) (١٨٠٢_١٨٦٦) في سنة ١٨٣٣ كتابا بعنوان ((بحث في التوازن الادبي)) ، عمد فيه الى دراسة احصائيات الجرائم في فرنسا ، وحلل في ضوئها اثر بعض العوامل الفرديه والاجتماعيه على الجريمه كالجنس والسن والحرفه ومستوى الثقافة ، كما قام بمقارنة احصائيات الجريمة في فرنسا ومثيلاتها في انكلترا وذلك في المؤلف الذى اصدره سنة ١٨٦٤ ، انتهى فيه الى عدة نتائج اهمها : ان اسباب ظاهرة الاجرام وتتكرر سنويا بنفس الصورة ، وان الصله بين الفقرة والجريمة غير متحققه ، فبعض الجرائم تزداد مع زيادة الرخاء الاقتصادى ، وكذلك فأن الصله بين الجهل والجريمة غير متحققه ، فبعض الجرائم تزداد رغم ارتفاع المستوى الثقافي .

وفي سنة ١٨٣٥ اصدر العالم البلجيكي كيتليه (١٧٩٦ _ ١٨٧٤) مؤلفا بعنوان :

((الانسان وتطور ملكاته)) ، ضمنه دراسة تأثير بعض العوامل الفردية والاجتماعية على الجريمة كالظروف الاقتصادية والطقس والجنس كما قام بتوزيع المجتمعات الى فئات بحسب السن والنوع ، على اساس السلوك الاجرامي لهذه الفئات ، واولى اهتمامه بالاحصائيات الجنائيه فحرص على تنظيمها وتبويبها على اسس علميه مما حدى ببعض الباحثين الى اعتباره المؤسس الاول لعلم الاحصاء الجنائي ، وقد انتهى كيتليه الى القول بأن الظاهرة الاجرامية بوصفها ظاهرة اجتماعية تخضع لقواعد عامة تحكمها شأنها في ذلك الظواهر الطبيعية الاخرى(٣) ، معتبرا الجريمة كواقعة

---

٣ _ وقد تبنى نفس هذا الاتجاه في مؤلفه ((الاحصاء الاخلاقي)) اذ يقول ((ليس من الكفاية بمكان ان نعتبر الانسان كسجم اجتماعي او نكتفي برد دراسة الشخصية الفردية للانسان الى فعله ، وانما من الاهمية ان نحث الفرد على مراعاة الحياة القانونية التي تنظم نشاطاته وتعمل على توحيدها مع نشاطات الاخرين .

عدديه فرديه (شخصيه) تبدو في تذبذباتها الدورية كعمل رياضي خاضع لظروف الساعة الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا النظر لايرتبط بالمجرم الذى يضرب صفحا عن خصائصه الواقعية بل بالحساب الاحصائي عن الانسان المتوسط الذى لا وجود له في الواقع وانه من الممكن اقامة علم متكامل لدراسة هذه الظاهرة على اساس الاسلوب الاحصائي(٤) ٠

وقد تأثر بهذه الافكار عدد كبير من العلماء الذين ركزوا جهودهم على دراسة العوامل الاجتماعية للجريمة ، كالعالم الاجتماعي جابريل تارد من انصار مدرسة ليون ، والتي تذهب في تحليلها للظاهرة الاجرامية الى القول بأن الجرم يكون ضحية يائسه للنظام الاجتماعي والاقتصادى القائم وبالتالي يحل فيها لخطأ جماعي محل الخطأ الفردى حتى ليبدو فيها ان جميع الناس جناة فيما عدا المجرم ٠

ويعد اميل دور كهايم (١٨٥٨ ـ ١٩١٧) مؤسس المدرسه الحديثه لعلم الاجتماع القانوني ، ومن انصار مدرسة الوسط الاجتماعي ايضا ، فقد ذهب الى القول بأن دراسة التاريخ تؤكد لنا انه كلما كان المجتمع متحضرا ومتطورا كلما كانت العقوبة اقرب الى الرحمة ، وعلى العكس من ذلك فانه كلماكان المجتمعمتخلفا برزت العقوباتالرادعه التي تتميز بالعنف والقسوه ، كما ان العقوبة تكون اشد كلما كانت السلطة المركزية اقوى ٠

كما عني دور كهايم ايضا بكل اشكال الروابط الاجتماعية وصلتها بالجريمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية اعتيادية تقع في المجتمعات مهما اتصفت بالتباين من حيث انظمتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، لان الجريمة هي الثمن الذى ينبغي ان تدفعه للتقدم الحضارى والتغيير الذى تقتضيه

---

٤ ـ د ٠ فوزية عبد الستار ، دروس في علم الاجرام وعلم العقاب ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٢٢ ٠

عجلة الحياة المتطورة باستمرار . ورغم ذلك فقد اعطت هذه المدرسه الى المجتمع الدور الاساس في تحقيق الظاهرة الاجرامية نتيجة اهماله وعدم التزامه بالقيام بالاعباء الملقاة على عاتقه في تربية الفرد وتهذيبه ، اضافة الى تركه يتربى في بيئه فاسده تدفعه للاندماج تدريجيا في زمرة المجرمين وبالتالي ارتكاب الجريمة ، فالوسط الاجتماعي وفقا لتعاليم هذه المدرسة يمثل المصدر الرئيسي للجرائم ، فهو يمثل الغذاء الذى تقتات عليه الكائنات الحيه لان العوامل الفردية وحدها لاتقوى على دفع الشخص الى الجريمة وتجعل منه مجرما لذا ومن اجل مكافحة الظاهرة الجرمية يجب ان تتجه هذه المكافحة اساسا الى تغيير الوسط الاجتماعي ، وتجعل منه اكثر ايجابية والتزام للقيام بالدور المأمول منه في تربية الفرد وتوجيهه(٥) .

ورغم التأييد الذى حصلت عليه هذه المدرسة ، فأنها لم تسلم من النقد الذى وجه اليها ، فقد اخذ عليها مبالغتها في الاعتداد بالعوامل الاجتماعية المسهله للاجرام ، وتقليلهامن اهمية دور العوامل الفردية، بحيث ظهر تساؤل عن سبب ارتكاب بعض افراد المجتمع للجريمة وليس جميعهم ، على الرغم من ان الجميع محاطون بظروف اجتماعية واحدة ، فالاجابة على هذا التساؤل يمثل في نظرنا انتقادا اساسيا يوجه الى هذه المدرسه باستبعادها للعوامل الفردية عند تفسيرها للظاهرة الجرمية .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت المدرسة الوضعية الايطالية ، والتي اتجهت الى البحث عن اسباب الجريمة في التكوين الجسماني للمجرم ، وكان الرائد الاول لهذه المدرسة هو العالم الايطالي لومبروزو ، الذى مكنته خدمته في الجيش الايطالي من اجراء البحوث اللازمة التي كانت الاساس في بلورة نظريته التي ضمنها كتابه الشهير (الانسان المجرم) الذى اصدره سنة ١٨٧٦ واوضح فيه النتائج التي توصل اليها عند تفسيره

٥ ـ د . عمر السعيد رمضان . دروس في علم الاجرام . المرجع السابق ص٦

للظاهرة الجرمية وتتلخص في ان هناك صفات مشتركة بين الافراد المنحرفين يتميزون بها عن غيرهم . وان الصفات المذكورة تدل على الهمجية والبدائية انتقلت اليهم بالوراثة عبر القرون وانها تتمثل في شذوذهم من الناحيتين العضوية والنفسية معا ، واطلق لومبروزو على الشخص الذى توجد به هذه الصفات اسم المجرم بالميلاد او بالفطرة .

ولم تسلم هذه النظرية من النقد ايضا ، فقد اخذ عليها انكارها التام لعامل البيئة والظروف الاجتماعية في تكوين السلوك الاجرامي ، فضلا عن انتقادات عديدة اخرى سنوضحها فيما بعد .

وامام وجاهة حجج المنتقدين وقوة منطقهم ، حاول بعض تلاميذ لومبروزو ادخال العديد من التعديلات على ارائه الاولى المتخفيف من تطرفها وقد مهدت هذه المحاولات السبيل لظهور المدرسة الايطالية الجديدة بزعامة العالم الايطالي (انريكوفرى (Enrice Ferri) (١٨٥٦ ـ ١٩٢٩) الذى ان يبرز اهمية عامل البيئة في تكوين الجريمة ، حيث ذكر في كتابة علم الاجتماع الجنائي(La Souoiolalogerimnell الصادر سنة ١٨٨٤ ، ان الجريمة خلاصة تفاعل ثلاثة انواع من العوامل هي : ـ

١ ـ العوامل الانثروبولوجية ، ويدخل فيها السن والنوع والخصائص العضوية والفسيولوجية ... الخ .

٢ ـ العوامل الاجتماعية ، وتشمل كثافة السكان والظروف الاقتصادية والعادات ... الخ .

٣ ـ العوامل الطبيعية ، كالمناخ وتأثير الفصول الاربعة ، والليل والنهار والحرارة والموقع الجغرافي .. الخ(٦)

Ferri, Socolgia criminal. Vol, Torino.
P. 57

ونخلص الى القول بأن هذه العوامل الثلاث ان تفاعلت فأن الجريمة تصبح نتيجة حتمية لهذا التفاعل .. ومن تظافر هذه العوامل الثلاث ينشأ ما اسماه استاذ فري قانون الكثافة الجنائي ، ومقتضاه انه اذا تفاعلت ظروف اجتماعية معينة مع عوامل انثوبولوجية معينة وعوامل طبيعية معينه فأن هذا التفاعل يتم بالصيغة التي يتم فيه التفاعل الكيمياوى بين المواد المختلفة . اى انه لابد ان تنتج نسبه معينة من الجرائم لاتقل زيادة ولانقصانا ، وان الجريمة نتيجة حتمية لعوامل معينة ، ومتى ما توافرت بالنسبة للانسان فانه يجد نفسه مسيرا الى ارتكاب الجريمة وليس مخيرا وبالتالي فأن مسؤوليته الجنائية لايمكن ان تقوم على اساس المسؤولية الخلقية وانما تقوم على اساس اخر: هو ان المجتمع يتحتم عليه ان يحصن نفسه ضد حملة ميكروبات الجريمة او مصادر الخطر عليه . وقد كان لهذه النظرية مردودها الايجابي في كافة التشريعات ، حيث كان لها الفضل في اقرار نظام التدابير الاحترازية بوصفها مجموعة من الاجراءات تواجه خطورة اجرامية كامنة في شخص يرتكب جريمة لتدر رأها عن المجتمع ،كما كان لها الفضل في توجيه القاضي نحو البحث في الظروف الخاصة التي تحيط بكل مجرم من اجل تطبيق الجزاء الذى يتناسب مع شخصية المجرم عقوبة كان ام تدبيرا احترازيا .

مما تقدم يتضح لنا ان البحث في اسباب الجريمة تناوله متخصصون في علوم مختلفة هي علم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس ، الا انه مما يؤسف له ان التنسيق بين هذه الجهود كان مفقودا ، فالجهود التي بذلها المتخصصون في كل من هذه العلوم كانت فردية ولم تتمكن من الاستفادة من الجهود التي بذلها المتخصصون الاخرون ، رغم ان هدف جميع الباحثين كان واحدا ولذا فقد ظهر علم الاجرام كمجموعة من البحوث المتفرقة توجهها اراء مختلفة باساليب متناقضة ، وهكذا بدأت تبرز عند تفسير الظاهرة

الاجرامية مجموعة ظروف فردية واجتماعية ، لان دراسة هذه الظاهرة تتطلب البحث فيها من مختلف جوانبها وعدم التركيز على جانب معين منها على حساب الجوانب الاخرى ، وقد تميز القرن الحالي بظهور التعاون بين علماء الاجرام في هذا المجال وانشاء هيئات علمية متخصصة حيث اتجهت الجهود الى التنسيق بين الدراسات السابقة وتنميتها على اساس التكامل بين التخصصات المذكورة للاستفادة من معطياتها جميعا في تفسير الظاهرة الجرمية وتحديد العوامل التي تساهم في تكوينها(٧) .

وبهذا الصدد فقد تبنى بعض العلماء فكرة قيام علم اجرام جديد يهتم بدراسة وبحث جميع العوامل التي ساهمت في وقوع الجريمة ، من عوامل تكوينه عضوية ونفسية الى عوامل اجتماعية وبيئية ، ولتحقيق هذا الهدف لابد من الاستعانة بدراسة مختلف العلوم التي لها علاقة مع هذا العلم كالانثروبولوجيا الجنائية وعلم النفس الجنائي وعلم الاجتماع الجنائي ، اضافة الى دراسة بعض العلوم التي يمكن ان تساعد في تحديد وبيان الدوافع الحقيقية المخفية للسلوك الاجرامي ، كالاحصاء والتحليل النفسي والاقتصاد، وفي ظل هذا التصور لما ينبغي ان يتضمن علم الاجرام المعاصر يمكن القول بانه قد استكمل كل عناصره الايجابية كي يتمكن من تسليط الضوء المطلوب على العوامل والاسباب التي تساهم في تكوين الظاهرة الاجرامية .

ولذا فقد ظهرت في النمسا نواة لمدرسة خاصة في علم الاجرام بجهود الاستاذ هانز جرونس استاذ القانون الجنائي في جامعة جوانز والذى قام بانشاء المعهد الاجرامي في سنة ١٩١٢ م من اجل دراسة جميع نظريات علم الاجرام المختلفة ، ومن اهم ما يميز هذه المدرسة هوان جميع روادها من

---

٧ ــ د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٢٥

اساتذة القانون الجنائـي(٨) وهـي بهـذا تختلف عـن المدارس الايطاليـة والفرنسية حيث نجد ان العدد الاكبر من روادها كانوا من الاطباء وعلمـاء الاجتمـــاع ٠

وافتتحت كلية الحقوق بجامعة ستوكهولم في سنة ١٩٣٠ معهدا للعلوم الجنائية ، وفي سنة ١١٣٤ انشأت الجمعية الدولية لعلم الاجرام ، كما انشأت في روما سنة ١٩٥٦ مدرسة لعلم الاجرام الاكلينكي تابعة لمعهد علم الانسان المعلمي ومقره روما ٠

كما عقدت عدة مؤتمرات دولية لعلم الاجرام كان اولها مؤتمر رومـا سنة ١٩٣٨ ثم تلاه مؤتمر الدولي الثالث لعلم الاجرام الذى انعقد في لندن سنة ١٩٥٥ ، المؤتمر الدولي الرابع لعلم الاجرام في لاهاى سنة ١٩٦٠ ٠

وقد اخذت المعاهد والهيئات المتخصصه في دراسة علم الاجرام تتزايـد تدريجيا في كافة انحاء العالم ، وعلى صعيد العالم العربي ، فقد انشأ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في القاهـرة وتبعـه المركـز القومـي للبحوث الاجتماعية والجنائية في بغداد ٠

Hans Grass. Kriminol gisher. 1981, P.6

المبحـــــث الثاني

صلة علم الاجـرام بالعلـــوم الجنائيـة الاخـرى

يهتم علم الاجرام بدراسة ظاهرة الجريمـة والتحرى عـن اسبابهـا ، ولاجل تحقيق هذا الهدف فلابد له من الاستعانة بكـل علم يعنـي بدراسـة شخصية الانسان المجرم كروح وجسد . لذا فأن علم الاجرام وثيق الصلــه بالعلوم الطبيعية المختلفة كعلم وظائف الاعضاء والامراض العقلية والعصبية والنفسية وغيرها من العلوم الاجتماعية والطبيعية التي لها علاقة وثيقـــة بدراسة حقيقة الانسان ، لان صلة علمالاجرام بالعلوم المذكورة لايقلا همية عن صلته بالعلوم الجنائية الاخرى ، وبهذا الصدد فقد ذكر الاستاذ ثورستن سيلليـــــن : ـ

((ان الانسانية لايعوزها الوقوف على اسرار الطبيعة بقدر ما هـــي محتاجة لتتعرف على نفسية افرادها والبواعث المحركة لسلوكهم)) .

ولعدم اتساع المجال هنا لبحث علاقة علم الاجرام بكل هـذه العلـوم فأننا سنقصر البحث على دراسة صلة هذا العلم بكل من قانـون العقوبـات وقانون اصول المحاكمات الجزائية .



المطلـــــب الاول

علم الاجـــرام وقانـــون العقوبـــات

قبل البدء ببحث العلاقة بين علم الاجرام وقانون العقوبات لابد لنـا من التعريف بكل منهما ، فالمقصود بعلم الاجرام هو : (ذلك العلم الـذي يدرس الظاهرة الاجرامية في حياة كل من الفرد والمجتمع من اجل التوصـل الى تحديد العوامل التي تساهم في تكوين هذه الظاهرة ، تمهيدا للوصول الى افضل الوسائل للقضاء على هذه العوامل او الحد منها قدر الامكان .

اما قانون العقوبات فيعرف بانه (مجموعة القواعد القانونية الاسرة التي تضعها الدولة لتنظيم المصالح بشكل احكام ملزمة ، تصف بموجبهـا الافعال المجرمة والجزاء المقرر لكل فعل عند ارتكابه)(٨) .

ومن التعريف المتقدم لعلم الاجرام يتضح لنا ان لهذا العلم كيانـا مستقلا عن قانون العقوبات وتبرز مظاهـر الاستقـلال مـن حيث موضوع البحث ومن حيث منهجه ، فمن حيث موضوع البحث ، فأن طريقة دراسـة

قانون العقوبات للجريمة تنصب بالدرجة الاولى على كونها حقيقـة قانونية ، لذا فانها تشمل تحديد انـواع الجرائـم واركانهـا ، والجزاءات المقررة لها اضافة الى تحديد المبادئ العامة التي تخضع لها .

اما علم الاجرام فانه يتناول دراسة الجريمة من خلال البحث عن العوامل المختلفة المحيطة بالمجرم الفردية منها والاجتماعية والتي تدفعـه الى ارتكاب الجريمة ،اما من حيث منهج البحث فان قانون العقوبات يبحث في دراســة وتفسير القاعدة القانونية لغرض استخلاص المبادئ العامـة ،ومـن ثـم

---

٨ ـ د ذنون احمد شرح قانون العقوبات العراقي ـ دراسة مقارنة ، مطبعـة النهضه العربية ، القاهرة ط ١ ١٩٧٧ ص ٥

تحديد الاستثناءات التي ترد عليها. اما علم الاجرام فانه يعتمد في دراسة على الاساليب التجريبية التي تقدمها لنا دراسة مختلفة اساليب المنهج التجريبي في نطاق هذا العام لغرض تحديد طبيعة العلاقة بين العوامل الفردية والاجتماعية وبين السلوك الاجرامي ومحاولة استخلاص ضوابط عامه تحكم حدوث الظاهرة الاجرامية اضافة الى ماتقدم فأن هناك ثمة صلة وثيقة بين علم الاجرام وقانون العقوبات بالرغم من مظاهر الاستقلال السابقة لكل منهما، فمن ناحية فأن علم الاجرام يعتمد على قانون العقوبات في تحديد موضوعه من خلال التعريف القانوني للجريمة وهذا يعني ان مفهوم الجريمة في علم الاجرام هو نفس مفهومها في قانون العقوبات ومن ناحية اخرى فأن علم الاجرام يعين المشرع الجنائي على تفهم عوامل الجريمة من اجل وضع افضل النصوص لمعالجتها(٩)٠

ومن اوضح مظاهر تأثر قانون العقوبات بعلم الاجرام تبدو في اتجاه المشرع نحو التوسع في تطبيق نظام التدابير الاحترازية ، لان معرفة اسباب الاجرام تسمح للمشرع بأن يحمي النظام الاجتماعي على نحو اكثر فاعلية ، وذلك بتجريم بعض الافعال او الحالات التي لاتنطوى على ضرر فعلي بمصالح المجتمع ولكنها تنذر بصورة واضحة باحتمال وقوع الضرر ٠ والمقصود بالتدابير الاحترازية مجموع من الاجراءات توجه خطورة اجرامية كامنة في شخص يرتكب جريمة لتدرأها عن المجتمع ، ويوضح هذا التعريف الخصائص الاساسية للتدبير الاحترازى . ومن حيث انه يتضمن مجموعة من الاجراءات تقتضيها مصلحة المجتمع في مكافحة الاجرام ، ومن ثم كان لها طابع الاجبار والقسر فهي تفرض على من يثبت انه مصدر خطر على المجتمع ولا يترك الامر فيهما الى خياره ولو كانت في ذاتها تدابير علاجية

---

٩ ـ د ٠ عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص١ ، ٢

او اساليب اجتماعية مساعدة يستفيد منها بصورة مباشرة . ومصدر الالزام في هذا الهدف الاخير للتدبير هو حماية المجتمع من الاجرام وليس من المنطق ان يكون تحقيق هذه المصلحة رهنا بمشيئة فرد ، وقد لاتتلائم هذه المشيئة مع تلك المصلحة (١٠) وقد اخذ المشروع العراقي بنظام التدابير الاحتزارية حيث نص عليها في الفصل الرابع من الباب الخامس من الكتاب الاول من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ وتعديلاته في المواد (١٠٣ ـ ١٢٧) .

لذا فأن من شان توثيق الصلة بين علم الاجرام وقانون العقوبات سد الفراغ الحاصل بين مبدأ الشرعية الجنائية وبين تطبيق القاعدة الجنائية التي تخولنا اتخاذ سبل الحماية ، فبقدر مايقترب علم الاجرام من القانون المذكور يصغر حجم هذه الثغره .

المطلب الثاني

علم الاجرام وقانون اصول المحاكمات الجزائيه

لعلم الاجرام علاقة وثيقة بقانون اصول المحاكمات الجزائيه وتبرز هذه العلاقة من خلال التأثير العميق الذى تحدثه دراسة الظاهرة الاجرامية في هذا القانون ، ومن اهم مظاهر تأثر قانون اصول المحاكمات الجزائية بعلم الاجرام هي : الاخذ بنظام الفحص السابق على الحكم ، والدعوه الى تخصص القاضي الجنائي ، والاخذ بنظام قاضي التنفيذ .

١٠ـ د محمد شلال حبيب ،التدابير الاحترازيةدراسة مقارنة ، الدارالعربية للطباعة بغداد ، ط١ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ، ص ٥ .

واما بصدد نظام الفحص السابق على الحكـم ، فمقتضاه ان يقـوم القاضي قبل فرض الجزاء الجنائي بجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات عـن المتهم سواء منها مايتعلق بحالته النفسيه او بظروفه الاجتماعية التي نشـأ فيها ؛ وذلك من اجل التوصل الى معرفة اسباب ارتكاب الجريمـة وتحديـد الخطورة الكامنة في شخصية(١١) صحيح ان نتائج علم الاجرام قـد تكـون احيانا غير معروفة وكثيرا ماتؤدى بنا الى طريق مسدود الا انه لامناص من الاستعانة بهذا العلم . فدراسة تاريخ الجاني قبل ارتكاب الجريمة يعطينـا مؤشرا واضحا لما هو عليه مـن خطوره(١٢) . ويمكـن تعريـف الخطـورة الاجرامية بانها :ـ حالة نفسية تتكون لدى الشخص نتيجة عوامل داخليـة وخارجيه تجعله اكثر ميلا لارتكاب جريمة في المستقبل(١٣) ، ولاهمية هذا النظام في ميدان القضاء الجنائي فقد اقترحنا انشاء مكتب الارتباط للخبراء والذى يتولى مسألة تقديم المشورة والخبـرة الفنيـة والنفسية والطبيـة و الاجتماعية الى القضاء وذلك بعد ان يقوم هـذا المكتب بعرض استفسارات القضاة على المختصين في هذا المجال . وتبدو اهمية المكتب في انه يبقى على اتصال دائم بخبرة الاختصاصين ومواكبة احدث وسائل الخبرة .

واما الدعوة الى تخصيص القاضي الجنائي طبيعة السلطة التقديريـة المخولة للقاضي بمقتضى القانون ، ومن اجل ان يمارس قاضي الموضـوع هذه السلطة على الوجه المطلوب ، فأن هذا يستلزم اعداد قاضـي متخصص

---

١١ ـ د . عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٣

١٢ ـ M - Mougest, Le Traitement de munaurs inadaptes dans un etablissement Breton. P. 158 ets.

١٣ ـ د . محمد شلال حبيب ، الخطورة الاجرامية ـ دراسـة مقارنـة ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، ص ٣٢ .

ذى كفاءة عالية تمكنه من القيام بهذه المهمـه . لان فهـم القاضـي حقيقـة الشخصية الاجرامية الماثلة بين يديه وتعيين مدى خطورتها ، وقدرته على مناقشة التقارير التي يقدمها الخبراء في هذا الشأن وتقييمهـا يتطلب منـه تكوينا علميا خاصة دون الاعتماد على ثقافته القانونية المجردة ومعلوماتـه العامة فقط ، وهذا يستلـزم بالضرورة اعـادة النظـر في تأهيـل القضـاء الجنائيين مهنيا ، واعدادهم اعدادا علميا جيدا ليكونوا في مستوى متطلبات النظريات الحديثة في علم الاجرام والعلوم الجنائية الاخرى من اجـل ادراك الفلسفة التي تقوم على النظام الاصلاحي والعلاجي بجانب النظام العقابي والالمام بنصوص القانون ، حتى تجيء نظرته للمسؤولية الجنائية من حيث تقريرها ، وللجزاءات الجنائية من ناحية تقديرها وحسن اختيارها اكثـر تناسقا وملائمة لشخص الجاني وظروفه واكثر ايفاء لحاجـات المجتمـع ومصالحــــه(١٤) .

واما عن نظام قاضي التنفيذ فقد برزت اهميته من خلال الدعوة اليه في المؤتمرات الدولية ،حيث اوصى مؤتمر برلين العقابي لسنة ١٩٣٥ بضرورة الاخذ بنظام قاضي التنفيذ ، وكما دعى الى الاخذ به مؤتمر علـم الاجـرام المنعقد في روما سنة ١٩٣٨ ، ومقتضى هذا النظـام هـو وجـوب الاعتـداد الشخصية الاجرامية مما يحتمل معه ان يكشف تنفيـذ العقوبة او التدبيـر التدبير الاحترازى ، دون الاقتصار على الفترة التي يحكم بها عليه فقط ، وذلك على اساس ان القاضي قد لاتتاح له الفرصة الكافية للاحاطه بحقيقة الشخصية الاجرامية مما يحتمل معه ان يكشف تنفيذ العقوبـة او التدبيـر الاحترازى المحكوم به عن عدم موافقته لظروف الجاني او عدم كفايته لدرء

---

١٤ ـ استاذنا المرحوم عبد الجبار عريم ، نظريات علم الاجرام ، مطبعـة المعارف ، ط ٧ ١٩٧٦ ، بغداد ، ص ٢٦٢ ـ ٢٧١ .

الخطوره الكامنة في شخصه ، ولذا ينبغي ان يمنح للادارة العقابية قدرا مـن السلطه تستطيع بموجبها تعديل العقوبة او التدبير الاحترازى المحكوم به متى ماثبتت لها عدم تناسبه او عدم كفايته . الا انه مما يجب التنويه اليـه في هذا الصدد هو ان ترك هذه السلطه الواسعه للادارة العقابية تستعملهـا بمنأ عن رقابة القضاء يخشى منه اساءة ممارستها . لذا فأنه يجب ان يكون استعمال هذه السلطة تحت رقابة واشراف قاضي يسمى قاضي التنفيذ(١٥).

لذا فأن الطريقة المثلى التي تمكننا من ان نعيد بناء شخصية الجانـي على اسس سليمة تتمثل في دراسة سلوكـه وتقييـم الفعـل الجرمـي الـذى ارتكبه مع الاحاطه بشخصيته المتعرف على اهم سماتهامن قبل قاضي التنفيذ طيلة الفترة التي يقضيها في المؤسسـات العقابيـة والاصلاحيـة والعلاجيـة للتأكد من زوال خطورته الاجرامية(١٦) .

١٥ ـ الدكتور عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٤ .

المبحث الثالث

فروع علم الاجرام

ان من اثار النشأه الخاصة لعلم الاجرام هي ظهور هذا العلم مقسما الى عدة فروع يتميز كل منها بتوجيه اهتمامه نحو البحث في اسباب الظاهرة الاجرامية في ناحية معينة منها بالنظر لاتساع مجال علم الاجرام ، فأن كثيرا من العلوم المختلفة التي لها صله وثيقة بهذا العلم تدخل ضمن نطاق بحثه واهتمامه ، الامر الذى جعل هذه المسأله بوضع جدل فقهي واسع لتعيين مدى حدود هذا العلم(١٧) وكان من نتائجه ان تبلور تعريف على الاجرام بالصيغه التي ذكرناها ، ومن هذه الفروع التي يطلق على كل منها اصطلاح (العلم) تجاوزا يتكون علم الاجرام في وضعه الراهن واهم هذه الفروع هو مايأتي : ـ

١ ـ علم الانثروبولوجيا الجنائية :

ويعني هذا العلم بدراسة المظاهر العضوية والنفسية للانسان المجرم او بمعنى اخر يدرس الجريمة باعتبارها ظاهرة فردية ، وكما ان علم

---

١٧ ـ وهذا ما حدى بالبعض ان يقول بانه ((لعل جدلا لم يحتدم حول علم من العلوم كالجدل الذى احتدم حول علم الاجرام سواء بالنسبة لكونه (علما) او بالنسبة لكونه (مستقلا) عن غيره من العلوم الجنائية ، او بالنسبه لتعريفه ومايكشف عنه هذا التعريف منموضوعات تدخل ضمن نطاق هذا العلم ويرجع هذا الجدل الى ان الظاهرة الاجرام ذاتية متشعبة الجوانب سواءبصفتها ظاهرة فيحياة الفردام فيحياة المجتمع)) .

د. عبد الفتاح الصيفي : علم الاجرام . المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر الاسكندرية ، بلا تاريخ ص ٨ . د . عبد الفتاح الصيفي و د . محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، دار المطبوعات الجامعية ـ الاسكندرية ، ص ٥ .

الانثروبولوجيا العام يدرس الانسان كروح وجسد فأن علم الانثروبولوجيا الجنائية يبحث هذه الاوجه في الانسان المجرم ولهذه الدراسة جانبين(١٨) :ـ

الاول : دراسة الصفات العضوية للمجرم :

سواء ما يتعلق منها باعضاء الجسم الخارجية لمعرفة ما اذا كانت هذه الاعضاء عادية ام شاذة ، وتحديد مقدار هذا الشذوذ او مايتعلق باجهزة الجسم الداخلية وكيفية ادائها لوظيفتها كالجهاز الدموى والهضمي والعصبي .

الثاني : دراسة نفسية المجرم :

اى الجوانب المختلفة لشخصيته كعواطفه ومشاعره وغرائزه وخاصة درجة نشاط الغرائز والحاجات التي تتولد عنها كغريزة الدفاع والقتال وغريزة التملك والغريزه الجنسيه وغير ذلك من الغرائز .

٢ ـ علم النفس الجنائي :

وهو يهتم بدراسة الاحوال النفسية للمجرمين كمستوى ذكائهم وغرائزهم وانفعالاتهم لغرض تحديد العوامل النفسية التي يعزى اليها سبب حدوث الجريمة ويرى بعض الفقهاء ان هذا العلم هو جزء من علم الانثروبولوجيا لانه لم يعد هناك مجال للقول بفصل هذا العلم عن علم الانثروبولوجيا الجنائية فالتغيرات العضوية يمكن ان تؤثر على الجوانب

---

١٨ ـ ويضيف البعض لهذه الدراسة جانب اخر هو / دراسة الافرازات الغددية د . يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام ـ وعلم العقاب ، دار النهضة العربية . القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٥١ .

النفسية مما يقتضي عدم تجاهل شخصية الفرد في اى مظهر من مظاهرها(١٩)
فالجسم والنفس هما الوجهان لعملة واحده هي الانسان فأى مرض عضوى
يؤثر على نفسية الانسان واى حالة نفسية تعطي اعراضا عضوية وهذا ماحدا
بالعلماء الى ايجاد فرع جديد للامراض اطلقوا عليه اسم : فرع الامراض
العضوى نفسية ويدخل في نطاق دراسة هذا الفرع كثير من الامراض المعروفة الان
كقرحة المعده والاثنى عشر والربو والقولون والصداع وزيادة دقات
القلب وبعض الامراض الجلدية ،لذا فأن علاج هذه الاعراض الجسمية
وحدها لن تؤدى الى النتيجة المرجوه (كما يقول هؤلاء العلماء) وانما يجب
الاخذ بالعلاج النفسي اضافة الى العلاج البدني لذا فأن العدل النفسية
البيولوجية التي تكشف عن وجودها الطرق المناسبة والجهود المخلصة التي
تبذل لتحديد كل نوع من أنواع العلاج وصولا الى احسن النتائج بفضل
التقدم الذى احرزته العلوم الطبيه والعلوم النفسية في ميادين التشخيص
والعلاج ،ومن شأن ذلك جميعا ان يساهم في تقدم الدراسات الخاصة بعلم
الاجرام(٢٠) ٠

---

١٩ - د٠ يسر انور علي ود٠ امال عبد الرحيم عثمان ،علم الاجرام وعلم العقاب المرجع السابق ص ٥١ ٠

٢٠ - بيير دينيكر ،تطبيقات لمناهج الطبيه النفسية في علم الاجرام ،تقرير مقدم الى المؤتمر الدولي الرابع لعلم الاجرام، راجع اعمال المؤتمر الدولي الرابع لعلم الاجرام، لاهاى، ٥-١٢ ايلول ١٩٦٠، المجلة القومية العدد الثاني تموز ١٩٦١ المجلد الرابع ص ١٥٧و١٥٨

٣ ـ علم الاجتماع الجنائي :

يعرف علم الاجتماع بانه : ذلك العلم الذى يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية تفسيرية ،اما علم الاجتماع الجنائي فيعرف بانه: ذلك العلم الذى يتولى دراسة الجريمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية و بمعنى اخر هو : العلم الذى يقتصر على دراسة المجتمع من خلال مايحدث فيه من ظواهر اجرامية ،لذا فهو يعني بتحديد العلاقة بين الظروف البيئية المختلفة عموما والظروف الاجتماعية خصوصا و بين ظاهرة الاجرام من اجل التوصل الى معرفة المدى الذى تساهم به هذه الظروف في وقوع الجرائم .

وقد عرف الاستاذ فيرى علم الاجتماع الجنائي بانه : حالة الجريمة وحالة الدفاع الاجتماعي ضدها)(٢١) اى ذلك العلم الذى يشمل الانظمة الجنائية كافة ، ومن ضمنها القانون الجنائي .ويتولى بالدراسة الجريمة والدفاع الاجتماعي ضدها ،اى ردفعل المجتمع ضد هذه الظاهرة بصفتها ضررا يصيب المجتمع او خطرا يكدر او يعكر صفو النظام الاجتماعي ، لذا يمكن القول بأن المجتمع هو المهدد دائما بارتكاب الجرائم ،كما تشمل هذه الدراسة الجريمة بصفتها ظاهرة فردية مناهضة للمجتمع وموجهة ضده وبصفتها ظاهرة اجتماعية .ومن اجل التوصل الى الهدف الاساسي الذى يسعى اليه الجميع وهو / الوقاية والعلاج .

يذهب دور كهايم تأثرا برأى جابريل تارد الى ان مظهر الجرم وخطورته لاتظهر الافي الوسط الاجتماعي. لان وجود المجتمع كاصل يمكن ان يوجد دائما الافعال الفردية الى جانب المجتمع .فالفعل الفردى للمجرم يتمثل بعصيانه للمجتمع الذى يمثل احد اعضائه(٢٢) فالجريمة ظاهرة اجتماعية شأنها

---

٢١ ـ Ferri, Principi Di Dirtto Criminal. torino, 1928, utct p. 100 et suiv

٢٢ ـ G. Tarde. La Crimialite Comparee. 4 ed padis. 1969. p. 132

شأن كل الظواهر الاخرى التي تقع في المجتمع لذا فأنه متى ماتوفر لها اسباب

الوجود حملت الفرد على اقتراف الجرم، لذا يؤكد دور كهايم بان المجتمـــع

هو المسؤول عن ارتكاب احد افراده الجريمة لانه ارتكب الجريمة تحت تأثير

النظام الاجتماعي القائم والظروف التي المت بـه، سواء كـان سببها البيئـه

السيئه اوسوء الحالة الاجتماعية او ظروف الحياة القاسية الاخرى ،فالجريمة

محتمه عليه ، فهو اداة طيعه للظروف التي احاطته وساقته الى فعـل انسياق

الانعام امام راعيها(٢٣) لذا فأنه يجب الاينظر الى الجريمة كقرينة للمذنـب

الذى لايقر الضمير .لان العقوبه في هذه الحالة تصبح وسيلة للدفاع عـــن

المجتمع وبذلك فأن لفظ العقوبة بحسب رأى انصار هذا الاتجاه خطا شائـع،

لان فكرةالتفكير لاتردالا مع الذنب ،ونظرا لانعدام الذنب ففكرةالتفكير تنعدم

تبعاله، لذا فأن الجزءيطبق ليس بوصفه غايةفي اذاته وانماوسيلهالوصول الى

الدفاع عن الكيان الاجتماعي وحماية أمنة في المستقبل(٢٤) ، وعلـى هـذا

فتكون الواقعة الجرمية لاتعني كونها مسألة جريمة وعقاب وانما تعني اعتداء

ودفاع لابعاد شبح الخطورة عن المجتمع المتعين عليه ان يحمي ذاته .

وتبرز اهمية علم الاجتماع الجنائي للقانون الجنائي بشكل واضـــح

ومتميز لانه اذا كان على الفقيه ان يأخذ بنظر الاعتبار عند بنائه للنظـام

القانوني الظروف الاجتماعية السائدة ، فانه ليس بمقدوره ان يتجاهـــل

ظاهرة الاجرام لدى مجتمع معين في فترة زمنية معينة ، والقواعد العامــة

التي تحكم هذه الظاهرة(٢٥) .

---

٢٣ ـ ٠ د محمد شلال حبيب ، الخطورة الاجرامية ـ دراسة مقارنة ، المرجع
السابق ص ٥١ ، ٥٢ .

٢٤ ـ
Marc Ancel, La defense social nouvelles,
paris, 1966. p. 201-258

٢٥ ـ د يسر انور علي و د ٠ امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم
الاجرام وعلم العقاب المرجع السابق ص ٥٤ و ٥٥ .

الفصـــــل الثانــي

اساليـــب المنهـج العلمـي التجريبـــي في علم الاجـــرام

يقتضي التفسير العلمي للظاهرة الاجرامية معرفة ودراسة حركـــة الاجرام ، ومايتعرض له من تغيير باختلاف الزمان والمكان وذلك من اجـل التوصل الى معرفة الاماكن والجماعات التي تتركز فيها هذه الظاهرة ومن ثم معرفة العوامل التي تساهم فيها والظروف التي ادت الى انتشارها في فتـرة زمنية معينة وانحسارها في فترة اخرى . وينبغي كذلـك دراسـة المجرميـن بجمع انماطهم والوقوف على الظروف المحيطة بهم لمعرفة العوامل الخاصـة المتصلة باجرامهم(1) .

لذا فأن تطبيق المنهج التجريبي في مجال الدراسات الاجرامية يقتضي تحديد طرقه واساليبه التي تلائم موضوع هذه الدراسات بأعتبار ان للجريمة وجهيـــــن : ـ

اولهما : اجتماعي : وفيه الجريمة كظاهرة اجتماعية .

وثانيهما : فردى : وفيه تبدو الجريمة كظاهرة فردية .

وعلى ذلك كان من الضرورى البحث عـن الوسائـل والاساليـب الملائمة لدراسة كل من هذين الوجهين بحيث تنتمي دراسة الوجه الاجتماعي للجريمة الى طرق البحث الاجتماعي وتنتمي طـرق دراسـة الوجـه الفـردى للجريمة الى طرق البحث الفردية . لذا فأننا سنتكلم عن هذه الطرق فـــي مبحثين نخصص اولهما لطرق البحث الاجتماعية ، ونوضح في ثانيهما طرق البحث الفردية .

---

1 ـ د عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص 10 .

المبحث الاول

طـــرق البحـــث الاجتماعيـــة

تتعدد طرق البحث الاجتماعية في مجال الدراسات الجنائية بالشكـــل الذى تحقق استخدام المنهج التجريبي ، وتنصب هذه الطرق علـى دراســة الجريمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، وقد اتسع نطاق هذه الدراسة ليشمل عدة طرق ، ومن اهمها الاحصاء ودراسة الحالة والمسح الاجتماعي ودراســة البيئة والمقارنة ٠

المطلـــب الاول

الاحصـــــاء

تعد طريقة الاحصاء من اكثـر الطـرق ملائمـة للدراسـات المتصلـة بالظاهرة الاجرامية سواء من حيث حجمها او من حيث حركتها ، لان هــذه الدراسة لايمكن الا حاطه بها عن طريق الاحصاء ، فبالاحصاء يمكن تفسير العلاقة بين الظاهرة الاجرامية وبين سائر الظواهر الاجتماعية التي تؤثـــر في السلوك الاجرامي ، وبه يمكن ايضا ان تفسير الرابطة بين الجريمة وبين العوامل الخارجية والظروف البيئية المختلفة كالعوامل الاجتماعيه والطبيعيه والاقتصاديه والثقافيه ، واثر هذه العوامل في السلوك الاجرامي ٠

اولا ـ طـــرق الاحصـــاء :

للاحصاء طريقان يختلف كل منهما عن الاخر باختلاف ما اذا كان موضوع البحث يتمتع بنوع من الاستقرار والثبات ، او انـه حركـي وديناميكـي ، ويطلق على الطريقة التي تعالج الموضوع الاول : طريقة الاحصاء الثابتـه (المكاني) وعلى الطريقة الثانية طريقة الاحصاء المتحركه (الزماني) ٠

أ ـ طريقة الاحصاء الثابته (المكاني)

هي دراسة الظاهرة الاجرامية في فترة زمنية ثابته سواء اوقعت في دول متعددة ام في مناطق مختلفة في دولةواحدة ، فاذا اردنا ان نحدد سير الظاهرة الاجرامية في اقليم معين او لدى طائفة معينة مقارنه بالظواهر الاجتماعيـه الاخرى ، والظروف البيئية المحيطة بذلك الاقليم او بتلك الطائفة ، فليس هناك من سبيل الا باستخدام الطريقة الثابتة(٢) ومـن امثلتهـا البيانـات الاحصائية عن الجرائم المقترفه من مجموعة معينة من المجرمين ، او الجرائم التي تقع في منطقة معينة ولكنها محاطه بظروف اجتماعية خـلال مدة محددة من الزمن ، او الجرائم التي تقع داخل منطقة معينـة وخـلال احـد فصول السنـة ٠

ب ـ طريقة الاحصاء المتحركة (الزماني)

وتتم بدراسة حجم الظاهرة الاجرامية في مكان واحد ولكـن في فتـرات زمنية متعددة للاحاطة بحركتها وتحديد حجمها زيادة او نقصانا على مـر السنين وتقتصر هذه الدراسة على منطقة معينة من الدولة ، ومن امثلتهـا احصاء مجموعة معينة من الجرائم ، وبهذه الطريقة نستطيع ان نربط بين خط سير الظاهرة الاجرامية وبين ظاهرة اجتماعية او طبيعيه معينه فـــي المكان المحدد لها ، ومن ثم دراسة تأثير هذه الظواهر والظروف على حجـم الظاهرة الاجرامية ارتفاعا او انخفاضا(٣) ٠

---

٢ ـ د ٠ مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجـرام والعقـاب ، دار الفكـر العربي القاهرة ١٩٧٩ ص ٨٧ و ٨٨ ٠

٣ ٠ د٠ عبدالفتاح مصطفى الصيفي ،علم الاجرام ،المرجع السابق ص٢٧و٢٨

ثانيا ـ مزايـا الاحصـاء :

للاحصاء مزايا كبيره جعلت منه الوسيله الامثل في تحديد حجم الظاهرة الاجرامية ، وفي تهيئه مادة المقارنة بين الجرائم المختلفة بالاماكن والازمنـه المتعددة وتحديد عدد الجناة وبيان الوسائل والالات التـي استخدموهـا في ارتكاب الجريمة ، لذا يصف الاستاذ روؤف عبيد الاحصاء بانـه : الاساس الذى قامت عليه دعائم البحث في علـم الاجـرام بمفهومه الحديث ، ويصفه الاستاذ ثورستن سيلين بانه : مـراة الجريمـةـحـساب الميزانيـة فيهـا (٤) ويعده البعض من اهم اساليب البحث الاجتماعية في علـم الاجـرام وفي بحث الجريمة كظاهرة اجتماعية (٥) وعلى اساسه يتمكن الباحث من اجراء البحث المقترن بالجهد العقلي ومن ثم الاستنتاج ليكشف عن العلاقة التي قد تربط بين الظاهرة الاجرامية وبيـن العوامل الفرديـة الخاصـة بالمجـرم وكذلك العوامل الاجتماعية والظروف البيئية المختلفة (٦) .

ومن مزايا الاحصاء ايضا انه يستخدم في استنباط خصائص المجرميـن وتحديد نوازعهم الفردية والاجتماعية بفضل تقدم الاجهـزة المستخدمـة في الاحصاء كالالات الحاسبة والعقول الالكترونية .

---

٤ ـ د. رؤوف عبيد ،اصول علمي الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص٣٧

٥ ـ د. حسنين ابراهيم صالح عبيد ، الوجيز في علم الاجرام وعلـم العقاب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ ص ٣٠ ، ٣٣

٦ ـ د. جلال ثروت ود. محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، الدار الجامعية ، بيروت ٩٨٣ ص ٥٣

ثالثا ـ عيوب الاحصاء :

بالرغم من المزايا المتقدمة للاحصاء من حيث كونه من اهم وسائل البحث العلمي في الدراسات الجنائية الا انه تعرض للكثير من اوجه النقد حيث ذكرها العلماء وقد استهدفوا من نسبتها اليه لفت النظر الى ان هذه الطريقة في البحث الاجتماعي لاتصلح الا لتكوين فكرة عامة عن النشاط الاجرامي في منطقة معينة او وقت معين وتساعد في تسليط بعض الاضواء على الظاهرة الاجرامية لعجزها عن تغيير هذه الظاهرة بمفردها ، فقد ذكر الاستاذ اكسينر بهذا الصدد ان (الاحصاء لايكشف عن رابطة السببية بين الظواهر التي يتناولها انما هو قد يكشف عن مدى مابينهما من روابط اما تحديد رابطة السببية فأمر اخر يحتاج الى عدة ابحاث تالية مستقلة(٧) ٠

ويمكن اجمال عيوب الاحصاء فيما ياتي :

١ ٠ من حيث مصدر الاحصاء :

يؤخذ على الاحصاء بانه لايعكس صورة صادقة لحقيقة الظاهرة الاجرامية لذلك لايمكن الاعتماد عليه كطريقة من طرق البحث الجنائي لان الاحصاءات المعتمدة في هذا الصدد هي الاحصاءات الرسمية وهي اما ان تكون بوليسية تصدرها وزارة الداخلية اوقضائية تصدرها وزارة العدل او عقابية تصدرها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، وهذه الانواع الثلاث من الاحصاءات لاتشتمل على جميع الجرائم التي ارتكبت فعلا ، لذا فانها لاتعبر تعبيرا صادقا عن تطور ظاهرة الاجرام وتحديد حجمها الحقيقي ٠

فالاحصاءات البوليسية تسجل كل الجرائم المبلغ عنها سواء الكيدية او غير الكيدية منها ، ولذا فانها تبين عدد الجرائم التي وصلت الى علم اجهزة الشرطة فقط دون الجرائم التي لم تصل الى علم هذه الاجهزة لاسباب

---

(٧) Exner, Kriminologisher Bericht uber eine Reise nach Amerika, Berlin, 1935, P. 37.

مختلفة يرجع البعض منها الى طبيعة الجريمة ذاتها لكونها من الجرائم التي تقع في الخفاء كجرائم الاجهاض مثلا ، ويرجع البعض الاخر منها الى طبيعة المجني عليهم كالجرائم الماسة بالشرف والتي كثيرا ما يحجم المجني عليهم فيها عن ابلاغ دوائر الشرطة تجنبا للفضيحة ، ولذا فأن هذه الاحصاءات لا تعطي تعريفا دقيقا للافعال المبلغ عنها .

اما الاحصاءات القضائية فأنها تشمل الاعداد الاجمالية لكل فئة من الجرائم التي صدرت قرارات اكتسبت الدرجة القطعية ، ولهذا فانها تبدو الجرائم التي اشير اليها في احصاءات الشرطة لاتصل الى القضاء بسبب ممارسة قضاة التحقيق لاختصاصهم في حفظ الدعوى لعدم اهميتها مثلا ، عاجزه ايضا عن اعطاء الصورة الحقيقية لعدد الجرائم المرتكبة فكثيرامن او بسبب انكشاف امر الدعاوى الكيدية وما يترتب على ذلك من ايقاف الاجراءات الخاصة بها ، ولذا فأن مثل هذا الاسلوب لايحقق الهدف الذى يرمى اليه الباحثون في ميدان الدراسات الجنائية ، لان الذى يهمهم هو وحدة الجريمة ووحدة المجرم .

اما الاحصاءات العقابية ، فانه يمكن توجيه نفس المآخذ التي وجهت للاحصاءات القضائيه ، بالجرائم التي تصدر فيها جزاءات بديلة للسجن لا تظهر في هذه الاحصاءات ، كالحكم بالحبس مع وقف التنفيذ والغرامة وسحب اجازة السوق او منع ممارسة بعض المهن والايداع في مأوى علاجي ومراقبة السلوك بالنسبة للاحداث وكذلك تسليم الحدث الى ولي امره او احد اقاربه .

لذلك لو تجاهلنا هذه الاسباب وقمنا بتقييم سلامة النتائج المستنبطة من الاحصاءات ، لوجدنا ان عدد الجرائم المرتكبة فعلا يختلف عن عدد الجرائم المثبته في الاحصاءات مما يعني وجود فارق كبير بين حجم الاجرام الحقيقي والاجرام المثبت رسميا ، اصطلح على تسميته بالرقم المظلم (Le chiffre noir) وهو رقم يصعب تحديده لانه معرض للزيادة والنقصان ويرجع ذلك الى عدة

اعتبارات منها ، ان الجرائم الخطيره والمهمه غالبا ما يجرى الاخبـار عنهـا ، فانه بالمقابل هناك كثير من الجرائـم لاتصـل الى علم السلطـات كالجرائـم البسيطة والجرائم الاخلاقية(٨) فالاحصـاء ليس بمقـدوره ان يحيط لكـل الجرائم المرتكبه ، وان الاحصاءات المسجلة لاتعبر عن الواقع تعبيرا دقيقا لان هناك جرائم تبقى في منطقة الظل لاتكتشفها الاحصاءات ، لذا يمكن القـول بأن حجم الجرائم المرتكبة فعلا هي اكبر بكثير من حجم المثبتـه بالاحصاءات ، وفي ضوء هذا التناقض بين الجرائم الحقيقية والجرائم المثبته احصائيا حاول (Mayer) ماير في المانيا ان يجرى مقارنة بين هاتين المجموعتيـن مـن الجرائم فكانت النسبة كمايأتي :(٩) .

في سرقة البضائـــع ١ : ٣٠

في السرقات الجسيمة ١ : ٨

في القتـــل ١ : ٣

في الاجهاض ١ : ١٠٠

٢ ـ من حيث مدى البيانات الاحصائية في المكان والزمان :

فكثير من الجرائم المرتكبه لايكون مكان ارتكابها هو مكان اكتشافهـا . فقد ترتكب الجريمة في مكان معين وتكشف في مكان اخر بل وربمـا في اقليـم اخر غير الاقليم الذى ارتكبت فيه الجريمة ممايترتب عليه صدور الاحصاءات عن عدد الجرائم بشكل غير دقيق سواء في الاقليم الذى وقعت فيه الجريمة او الاقليم التي اكتشفت فيه ، اما من حيث الزمن فكثير من الجرائم التي تثبتها

---

٨ ـ د جلال ثروت و د محمد زكي ، علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابـق ص ٥٧ ، د مأمون محمد سلامه اصول علم الاجـرام والعقاب المرجـع السابق ص ٩٠ .

٩ ـ د عوض محمد مبادىء علم الاجرام مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ٨٠ ص ٦٦ ، ٦٧ .

تلك الاحصاءات في سنة معينة تكون معبره في الحقيقه عن جرائم ارتكبت في سنوات سابقة ، لانه ربما لا يتطابق وقت ارتكاب الجريمة ووقت ضبطها لذا تأتي الاحصاءات غير دقيقة تبعا لاعتمادها في تثبيت وقت ارتكاب الجريمة على وقت وقوعها وضبطها(١٠) .

٣ ـ من حيث قيمة المعلومات التي تمدنا بها الاحصاءات :

ويؤخذ على الاحصاءات ايضا قصور المعلومات التي تحققها عند تحديد عوامل السلوك الاجرامي تحديد دقيقا(١١) . فالاحصاء يصلح مثلا لكي يفسر ان الجرائم الواقعه على الاموال يكثر ارتكابها في الجو البارد ، حيث يثبت لنا بالارقام ان معظم جرائم الاموال تقع في فصل الشتاء . الا ان الاحصاء يعجز عن تفسير ما اذا كانت هذه الجرائم ترجع الى زيادة حاجة الافراد للحصول على المتطلبات الضرورية اثناء هذا الفصل والمتمثله بالملبس والمأوى . ام الى طول ليالي الشتاء التي تتيح فرصا اكثر لارتكاب هذا النوع من الجرائم .

٤ ـ من حيث مدى التوفيق في اختيار افراد العينه وافراد المجموعة الضابطة :

ويؤخذ على الاحصاء اخيرا فشله في اختيار المجموعة الضابطه التي تتخذ اساسا للمقارنه بالعينه محل الدراسه ، لانه عند القيام بمقارنة عينه من المجرمين بمجموعه ضابطه من غير المجرمين . وهذا هو جوهر الاحصاء ، نجد ان هناك صعوبات تثور بهذا الصدد تتمثل بمدى النجاح في اختيار العدد الملائم من العينه ، فالاحصاءات الحاليه تتجه الى اعتماد خمسمائه وحده كأساس للعينه كما تثور الصعوبه في امكان اختيار افراد المجموعة الضابطه

---

١٠ ـ د . جلال ثروت ود محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٥٦ .

١١ ـ حسنين ابراهيم صالح عبيد ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

بسبب ان هناك شرطا يجب تحققه في افراد هذه المجموعه وهو ان لايكون قد سبق له ان ارتكب الفعل المكون للجريمة محل الاحصاء على الرغم من وجوده في نفس الظروف وتماثله معهم في السن والجنس(١٢) ، ونتيجة لهذا الشرط فانه يجب استبعاد كل من ارتكب الفعل سواء تم تبليغ السلطات المختصه ام لم يتم هذا التبليغ ، ومن الناحية الاخرى فانه يتعذر توافق خمسمائـه فـرد امن الافراد تنطبق عليهم نفس الظروف الاجتماعية والبيئيه او الفردية التي تتوافر في افراد المجموعة الضابطة حتى يتم مقارنة هذه العينه من المجرمين مع هذه المجموعة الضابطه ٠

رابعـــا : تقيم الاحصاء :

رغم كل ماسبق ذكره ، فأن طريقة الاحصاء لازالت من اهم طرق البحث العلمي في مجال تحليل الظاهرة الاجرامية وبيان اسبابها ، لان العيوب التـي نسبت اليه يمكن تفاديها او التقليل من اثارها باعتمـاد احصائيـات لسنوات متعددة ،وبعد دراستها وتحليلها بعمق‌وفق المنطق العلمي السليم والاستعانة بالمجهود الجماعي المشترك بين الباحثين الذى اصبح الاسلوب المفضل في مجال هذه الدراسات وبمساعدة الالات الحاسبة والعقول الالكترونية بهذا الصدد فمن شأن هذه العوامل ان تأتي معها العينه ممثله للمجموعة الضابطه علـى نحو اكثر دقه واحكام كما ان من شأنها ان تقلل من حالات عدم التجانس فـي البيانات او النتائج المستخلصه من الاحصاءات(١٣) ٠

---

١٢ ـ د جلال ثروت الظاهرة الاجرامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ٧٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ٠

١٣ ـ د عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٥ ٠

ومن اجل ان لانبخس الاحصاء حقه ينبغي ادراك حقيقة وظيفته ،ومتى ادركنا ذلك توصلنا الى المدى الذى يمكن ان يفيدنا الاحصاء في تحقيق اهدافنا كي لايقدر اكبر من حجمه ويحمل اكثر مايطيق(١٣) .

وقد تضمن مؤتمر الامم المتحده السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين النص ضمن مقرارته على اهمية الاحصاءات المتعلقة بالجريمة ،فبين في القررا رقم ٢ المتعلق بوضع الاحصاءات الخاصة بالجريمه والعدالة : ان مؤتمر الامم المتحده السادس لمنع الجريمه ومعاملة المجرمين، اذ يشير الى اهتمام مؤتمر الامم المتحده الخامس لمنع الجريمه ومعاملة المجرمين بوضع احصاءات اكثر كفاية عن الجريمه والجنوح ... واذ يلاحظ الحاجة القائمه على المستوى العالمي الى وضع احصائية مناسبه وموثوق بها عن ظاهرة الجريمه وعمل نظم العدالة الجنائية ، واذ يسلم بما المعلومات الصحيحة ، ولاسيما المعلومات الاحصائية من اهمية في فهم الجريمة وعمل نظم العدالة ...

١ ـ يرجو من الامين العام ان يضاعف بذل الجهود لتنسيق جمع احصاءات مقارنة فيما بين البلدان بشأن الجريمه والعدالة في كل دولة من الدول الاعضاء ،بدأ بالصعيد الاقليمي .

٢ ـ يوصي بان تعزز جميع الدول جهودها الرامية الى تحسين المعلومات ،ولا سيما المتعلقة بالجرائم(١٥) .

---

١٤ ـ د. عوض محمد ،مبادىء علم الاجرام ،المرجع السابق ،ص٦٣ .

١٥ ـ تقرير مؤتمر الامم المتحده السادس لمنع الجريمه ومعاملة المجرمين ،الامم المتحده ـ الجمعيه العامه ،ص ١٢و١٣ .

المطلـــب الثانـــي

دراســــة الحالــــة

تعد طريقة دراسة الحاله من الطرق التي يستخدمها الكثير من الباحثيـــن في نطاق الدراسات المتصله بالسلوك الاجرامـــي ،ويقصد بها: تلـك الوسيلـة العلمية المستخدمة فيجميع البيانات الاجتماعية وتحليلهاو تصنيفها(١٦)،وفي علم الاجرام تتحقق دراسة الحالة بجمع البيانات عن وحده اجتماعية قدتتمثل في فرد من الافراد فيما يتعلق بحياته باكملها او بالنسبة لجزء منها ، بهـدف التوصل الى فحص حالته العضويه وتحليل نفسيته والتعرف علـى الظـروف الاجتماعية المحيطه به ، ومن اجل الاحاطه بسلوك المجـرم والوقـوف علـى حقيقته ، كظاهره بيولوجية ونفسيه واجتماعيه ، لابد مـن دراســة الحالـه لتفسير الموقف الكلي وتشمل هذه الدراسة جميع ظروف الشخص البيئيـــه والاجتماعية ، وفحص حالته العضويـه والنفسيـه والتعـرف علـى ماضيـه وحاضره ، كما قد تتمثل هذه الدراسه في مجموعة من الافراد يجمعهم ظـرف اجتماعي متشابه كالتصدع العائلي مثلا(١٧) .

واذا كان الاحصاء يعني عموما : ترجمة حجم ظاهره معينه الى ارقـام فأن دراسة الحاله تتولى بالدراسه المباشرة الفرد او مجموعة من الافراد الذين تتكون منهم الوحده الاجتماعيه محل الدراسه .

ولاتتحق هذه الدراسه بالاعتماد على وسيله معينه ، وانما ينبغي اللجوء الى اكثر من وسيلة في جمع المادة ، على ان تكون هذه الوسائل مختلفة تبعـا للاتجاهات والجوانب المختلفة التي يتطلب دراستها فدراسة حالة المجرم دراسه

---

١٦ ــ د ــ جلال ثروت . الظاهرة الاجرامية المرجع السابق ، ص ٤١ .
١٧ ــ د . عبد الفتاح الصيفي : علم الاجرام ، المرجع السابق ص ٣٥ .

معمقه تستلزم الرجوع الى البيانات الخاصة بحالته العضوية والعقلية والنفسية دون الاقتصار على البيانات الخاصة بالظروف الاجتماعية التي احاطت بـه عامة كانت هذه الظروف ام خاصة ٠

وقد استخدمت وسيله دراسه الحاله من قبل كثير من الباحثين ، ومن هؤلاء الاستاذان شلدون واليانور جلوك الذين قاما بدراسة اشتملت علـى النساء الجانحات حيث استخداما في بحثهما عينه تجريبيـه تتكـون مـن ٥٠٠ امرأة جانحة ومجموعة ضابطه من نفس العدد لم يرتكبن جرائم من قبل ، وقد امتدت هذه الدراسه لتشمل جمع المعلومات والبيانات عن تاريخهن الشخصي والعائلي ، كما شملت الجوانب النفسيه والعقليه لهن ، ومع دراسة كاملـه الظروف الاجتماعيه المحيطه بهن ، وقد انتهت هذه الدراسة بوضـع جداول تتضمن مايأتي : ـ

١ ـ تفسير السلوك الاجرامي لكل واحده منهن ، والتنبؤ بمستقبلها الاجرامي

٢ ـ تقديم المساعده لهيئه البارول في كيفية تحديـد الجانحـه التـي تستحق الافراج بموجب هذا النظام ٠

٣ ـ تقديم المساعده للقاضي في تطبيق الاسلوب الذى يتناسب مـع ظـروف وشخصية الجانحة العائدة(١٨) ٠

كما استخدم هذه الوسيله ايضا الاستاذ سيرل بيرت ، من اجل الكشف عن عوامل جنوح الاحداث في لندن ، حيث طبقها على عينه تجريبيه تضـم ٢٠٠ حدث جانح من الذكور والاناث ومجموعة ضابطه تمثل نفس العدد من الذكور من العينه من غير الجانحين ، مراعيا في اختيارهم التشابه بين المجموعتين من حيث العمر والظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ٠

---

١٨ ـ د٠ يسر انور علي ود٠ امال عبد الرحيم عثمان ،علم الاجرام وعلم العقاب المرجع السابق ص ١١٢ ، ١١٤ ٠

وقد قام الباحث المذكور بتطبيق اسلوب الدراسة الكاملة للحالة حيث امتدت هذه الدراسه الى تاريخ حياة كل حدث ماضيها وحاضرها ؛ وقد استطاع بيرت رسم نطاق بحثه عن ماضي الحدث من خلال المعلومات والبيانات التي استقاها من الحدث نفسه او من اهله او ذويه او اصدقائه او ممن يعمل معهم ، أما عن حاضره فقد اعتمد على نتائج الفحوص المتعددة التي اجراها من اجل الاحاطه الكاملة بحالته العضويه والنفسيه والعقلية لتحديد شخصيته ، اضافة الى دراسة الظروف الاجتماعية التي يخضع لها ٠

وقد توصل الباحث في نهاية هذه الدراسه الى القول بأن : اسباب جنوح الاحداث ترجع الى اكثر من عامل ، الامر الذى يتطلب معه ان تتسم هذه الدراسه بالتكامل والشمول ، ولكن هذا لا ينفي التأكيد على عامل معين دون غيره مادام انه يلعب دورا اساسيا في تكوين الظاهرة الجرمية ، ومن هذه العوامل رفاق السؤ والحالة الاسرية وعدم الاستقرار النفسي ٠

لذا امكن القول بأن هذه الطريقة تختلف عن طريقة الاحصاء في ان محل الدراسه فيها الظرف المتشابه الذى يجمع عدد من الافراد في حين ان محل الدرسة في الطريقة الاولى هو الفرد ذاته ٠(١٩)

تقييم هذه الطريقة :ـ

اولا ٠ مزايا دراسة الحالة :

تعد هذه الطريقة من اهم الطرق التي تساعد على التشخيص الكامل للحالة موضوع الدراسة ،اضافة الى كونها اهم الوسائل المتبعه في جمع المعلومات والبيانات التي تقتضيها طبيعة البحث في نطاق علم الاجرام ٠ لانها لاتمثل اداة خاصة بل تمثل وسيلة عامة لتنسيق وجمع وربط هذه البيانات من اجل التوصل الى افضل الصيغ المتبعة في تفسير وتحليل السلوك

---

١٩ ـ د٠ عبد الفتاح الصيفي ،علم الاجرام، المرجع السابق ص ٣٦ـ٣٧

الاجرامـي للفرد ٠(٢٠)

ثانيا٠ الانتقادات الموجهه الى دراسة الحالة :ـ

على الرغم من المزايا المتقدمه لدراسة الحالة من حيث كونها وسيلـــة مهمة من وسائل البحث العلمي التجريبي في مجال الدراسات الاجرامية ،الا انها تعرضت للكثير من الانتقادات نجمل فيما يلي اهمها : =

١ ـ ان تفسير الانحرافات يكون موضع تحيز من الباحث اكثر ممـــا تقتضيه الحاله استجابة لفكرة خاطئه اثرت عليه ، مما يترتب عليه قيـام الباحث بابراز الكثير من الاتجاهات والجوانب التي ليس لها اهمية تذكر على حساب الجوانب الاخرى المهمه ، اى ان الباحث قـد يـرى في عناصر الحاله الواحده الاتجاهات التي تناسب فكرته السابقه لتفسير الانحراف ، فيعتمد تلك الاتجاهات ويهمل غيرها لالسبب وانما لكونها لا تتلائم مـع فكرته هذه ، مما يخشى معه ان يبتعد بهذا التفسير عن المنهج العلمي الذى من اهم سماته : التزام الباحث بالموضوعيه المجرده في اعتماد نتائج البحث حتى وان جاءت مخالفه لتصوراتـه السابقـه ، ومـن ثـم تصحيـح هـذه التصورات ان وجدت وفقا للنتائج المستخلصه من الحاله موضوع البحث ٠

٢ ـ ان عمل اغلب الدارسين الحاله مع هيئات لديها تعامل مـــع الجانحين ، طلبت قيامهم بهذه الابحاث ، من شأنه نشوء التزام بحـق هـؤلاء الباحثين عند قيامهم بدراساتهم ، وان تكون نتائج هذه الابحاث لها صلة بالحالة محل البحث ، والذى يخشى منه بهذا الصدد هو : احتمال ان توجه هذه البحوث والدراسات نحو اصلاح مواطن الانحراف اكثر من توجهها نحو تفهم اسباب الانحـــــراف ٠

---

٢٠ ـ د ٠ يسر انور علي و د ٠ امال عبد الرحيم عثمـان ، علم الاجـرام وعلم العقاب المرجع السابق ، ص ١١٢ ، ١١٣ ٠

المطلـــب الثالـــث

المســـح الاجتماعـــي

ويقصد به الدراسه الوصفيه التي تهدف الى جمع الحقائق عن ظاهرة من الظواهر الاجتماعية او مجموعة من الوقائع او الافراد من اجل ابراز خصائص تلك الظاهرة او الوقائع او الافراد ثم تعميم النتائج العلميه المستخلصه منها على افراد معينين في المجتمع او جميع افراده(٢١) · بدون استثناء ويتم هذا الاسلوب باحدى طريقتيين : ــ

الطريقه الاولى : طريقة النموذج الاستجوابي :

وتتحقق بأن يهيء الباحث نموذج معد سلفا يتضمن مجموعة من الاسئله المباشره حول مختلف الظروف الاجتماعيه والبيئيه التي تحيط بالافراد المقيمين في منطقة معينه يتخذها الباحث محلا لبحثه والتي تتميز بطابع اجرامي خاص ، ويتولى بنفسه توزيع هذه الاسئلـه على هؤلاء الافراد الذين يعتبرون عينه البحث المذكور ويتجمع اجابات افراد العينه تتم عملية التنسيق والتحليل التي تسهل على الباحث استخلاص مدى ارتباط ظاهرة الاجرام محل الدراسه بالظروف المختلفه التي تسود في تلك المنطقة ·

وقد يطبق هذه الاسلوب ايضا باتباع طرق اخرى ، ومن اهمها طريقة النموذج العائلي ، والتي تتحق بتوزيع نماذج فيها مجموعة من الاسئله ذات الصبغه العائليه ، تتضمن بيانات متعدده عن الجوانب

---

٢١ ــ د · جلال ثروت و د · محمد زكي ابو عامر · علم الاجرام والعقاب، المرجع السابق ص ٥٩ . د · يسر انور علي و د · امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ص ١٠٢ ·

٢٢ ــ د · مأمون محمد سلامه ، المرجع السابق ، ص ٩٣ ·

والظروف المختلفة للعائلة ، ويقوم الباحث بتفسيرها واستخلاص العوامل المساعده على الاجرام وتحديد القواعد التي تربط بين السلوك الاجرامي وعوامل معينة سواء اكانت فرديه ام اجتماعيـــه .

وقد انتقدت هذه الطريقة على اساس ان تعدد الباحثين للموضـوع الواحد يؤدى الى تعدد النماذج وبالتالي اختـلاف الاسئلـه التـي يضعهـا الباحثون ،كما يحتمل صياغتهاعلى اساس من رغبة خاصة او اتجاه معين يتبناه الباحث ، ويحاول اثباته من خلال نموذجه هذا ، وقد يوحي بها مـن خلال صيغة الاسئله ، ومن شأن هذا الاختلاف التقليل من فائدة النتائج التـــي انتهت اليها هذه الابحاث والدراسات(٢٣) .

الطريقة الثانية : طريقة دراسة البيئه :

تمثل هذه الطريقة ايضا اسلوبا من اساليب المسح الاجتماعي ، وقد استخدمت من قبل الباحثين في مجال الدراسات الاجرامية على نطاق واسع في الولايات المتحدة الامريكية وبعض الدول الاوربية (٢٤) ، وتتحقق هذه الطريقة بان يقسم الباحث المكان الذى يجرى عليه بحثه الى مناطق صغيره محدده تتجانس ظروف كل منهـا مـن النواحـي الثقافيـة والاجتماعيـة والجغرافية بنفس الوقت كأن تقسم المنطقة مثلا استنادا الى درجة رقيهـا او اهميتها من الناحية الاقتصادية او طبيعة موقعها الجغرافي ولا يراعـى في هذا التحديد التقسيمات الادارية انما يكون تحديدا طبيعيا اي جغرافيـا واجتماعيا في نفس الوقت(٢٥) ، ثم يقوم الباحث بدراسة ظاهرة الاجرام

---

٢٣ ـ د . عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٣٩ ـ ٤١ .

٢٤ ـ د . جلال ثروت و د. محمد زكي ابو عامر المرجع السابق ص ٦٠ .

٢٥ ـ د . يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٠٣ .

داخل كل منطقة من هذه المناطق . ومن اجل الوصول الى تحديد القواعد التي تربط بين ظاهرة الجريمة محل البحث والدراسه ومختلف الظروف السائدة في كل منها .

وقد اتجه كثير من الباحثين الى استخدام هذه الطريقة في ميدان الدراسات المتصله بالسلوك الاجرامي من اجل تفسير حقيقة الظاهره الاجرامية ، فقد طبق العالم الايطالي دى توليو هذه الطريقة في دراسة الظاهرة الاجرامية في المناطق التي يسودها التخلف في ايطاليا(٢٦) . ، كما قام العالم الامريكي كليفارو شو(٢٧) باجراء بحث على الاحداث في شيكاغو اثبت فيه ان ارتفاع نسبة الجرائم مرتبط بالمناطق التي يسود فيها التفكك الاجتماعي ، كما يتحقق ذلك في المناطق التي تنتشر فيها العصابات وتكون متخلفه من الناحيتين الثقافية والحضارية ، او في المناطق التي تزدحم بالناس بالقرب من المناطق التجارية والصناعية(٢٨) .

وتعد طريقة دراسة البيئة من الطرق الايجابية في ابراز وتوضيح الصلات بين الظاهرة الاجرامية وبين العوامل والظروف المختلفة التي تسود داخل المناطق التي تطبق فيها هذه الدراسة(٢٩) .

---

٢٦ ـ د . رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٠ .

٢٧ ـ د . محمد خلف ، مبادىء علم الاجرام ، مطابع دار الحقيقة ، بنغازي ٩٧٧ ط ٢ ص ٨٢ .

٢٨ ـ د . يسر انور علي ود امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٠٤ .

٢٩ ـ د . مأمون محمد سلامه . المرجع السابق ص ٩٣ .

المطلـــب الرابـــع

(الملاحظـــة)

ويقصد بها : المشاهدة الدقيقة لظاهرة من الظواهر بعد الاستعانة بالاجهزة والالات والوسائل التي تتلائم مع طبيعة هذه الظاهـرة ، ومـن اجل تطوير العمل بهذه الطريقة يجب عـدم الاكتفـاء بمجـرد التسجيـل السلبي للوقائع المتصلة بالظاهرة محـل الدراسة ، انمـا ينبغي ان يكـون مقترنا بجهد عقلي يبذل من اجل التوصل الى الكشف عما قد يكون خفيـا من روابط تتعلق بالظاهرة المذكورة ، لهذا فقد انتهى علماء الاجتماع الى القول بأن الملاحظة هي : تحليل وتنسيق وربط واستنتاج ، وتبرز اهمية الملاحظة كطريقة للبحث الجنائي في نطاق الدراسات الجنائية ، لان هناك نتائج علمية يصعب الوصول اليها دون سلوك هذا الطريـق مثال ذلـك : مراقبة سلوك وتصرفات الاحداث او المجرمين المصابيـن بمرض عقلـي او نفسي . وتزداد اهمية هذه متى ما لجأ الباحث الى الملاحظة بطرق المشاركة اذ يصل إلى كثير من المعلومات التي يتعذر الحصول عليها فيمـا لو سلـك طريقا اخر(٣٠) .

ومن اجل ضمان تحقيق الملاحظة لهدفها المنشود ينبغي التأكيد على مسألة جوهرية في هذا الصدد : وهي وجـوب الحـذر والانتبـاه في كافـة الاحوال تستخدم فيها هذه الطريقة بغية تثبيت كل ما هو نافع في دراسـة الظاهرة محل البحث من اجل حصول الباحث على النتائج العلمية المقبولة ، ويقتضي الاستخدام السليم للملاحظات توافر صفات خاصة في الملاحظ من اهمها ان يتصف بالتجرد في نظرته الى الظاهرة محل الدراسة ، ويتمتع بقدر

---

٣٠ ـ د . ايسر نور علي و د . أمال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

كاف من المعلومات والخبرة ، وان يكون بالتالي موضوعيا عند تقييمه للنتائج التي يتوصل اليها من خلال هذه الدراسة ٠

وعلى الرغم من توافر الصفات المذكورة في القائم بالملاحظة ، فانها قد تكون غير مضمونه الاهداف اذا تعدد الملاحظون لنفس الظاهرة ، لان هذا التعدد من شأنه ان يؤدى الى الاختلاف في الرأى بصدد الاسس التي تبنى عليها الملاحظة ، وبالتالي يكون هناك تباين في النتائج التي يتم الحصول عليها ، كما ان الملاحظة هي طريقة لجمع المعلومات عن وقائع وتصرفات تقع في الحاضر او المستقبل ، لذا فأنها لاتصلح كوسيلة لدراسة التصرفات والوقائع التي وقعت في الماضي ٠

وتنقسم الملاحظة من حيث اسلوب ادائها الى ملاحظة بسيطة واخرى منظمة : ـ

اولا ـ الملاحظة البسيطة :

وتتحقق بالاطلاع على المادة محل البحث او بالاستماع اليها دون الاستعانة بوسيلة فنية اخرى ، فهي تعتمد على مجرد الرصد والتعميم والتحليل(٣١) وتنقسم الملاحظة البسيطة بدورها الى ملاحظة بالمشاركة واخرى بدون مشاركة ٠

أ ـ الملاحظة بالمشاركة : ـ

وتتم عن طريق العلاقات الوطيدة التي يقيمها الباحث مع الجماعة التي تكون موضع دراسته ، والتي تؤدى الى دخول الباحث واختلاطه مع هذه الجماعة بالشكل الذى يؤمن له تحقيق الاهداف التي اسس علاقته من اجلها ، ومن ثم قيامه بتنفيذ ما يعهد اليه من مهمه بحرية تامة ، وهذا

---

٣١ ـ د جلال ثروت ود٠ محمد زكي ابو عامر، المرجع السابق ص٦٧

لا يتحقق بالطبع الا اذا كسب الملاحظ ثقة الجماعة الكاملة . وبهذه الوسيلة يتمكن الملاحظ من الوقوف على جميع الحقائق(٣٢) والامور بصورة اكثر صدقا ويقينا من اجل الوصول الى الحقيقة التي هي دائما ضالة الباحث المخلص ، ورغم مايتمتع به هذا النوع من الملاحظة من مزايا فأن المهمة التي يقوم بها الملاحظ كانت عرضه للانتقادات ومن اهمها : ـ

١ ـ ان دور الملاحظ لايتعدى فهم ودراسة صوره معينه من النشاط الفردى فقط .

٢ ـ ان التعاون الذى يبديه الملاحظ يبقى قاصرا على بعض افراد الجماعة وليس جميعهم ومن شأن هذين المأخذين أنهما يحولان دون قيام الملاحظ بمراقبة بقية الصور الاخرى من النشاط او شمول تعاونه لجميع افراد الجماعه ماينجم عنه مساس بالاهداف المرجوه من الملاحظه .

اما بصدد تقييم الملاحظه بالمشاركه كطريقة للبحث العلمي ،فلابد من الاشارة الى الصعوبات الكثيرة التي تبرز عند تطبيقها، فالشخص القائم بالملاحظه من اجل ان ينجح في ادائه لدوره على افضل وجه لابد من اداء هذا الدور مع بقية زملائه، وهذا من شأنه ان يؤدى الى ارتكابه جريمة، اما اذا اراد ان يوقف نشاطه الى حد ارتكاب الجريمه فهذا من شأنه ان يفشل المهمه التي قام بها الملاحظ مع هذه الجماعه سواء بانكشاف امره لديهم او صعوبة حصوله على جميع الحقائق التي تسهل له تحليل الظاهره محل البحث تحليلا دقيقا(٣٣) اضافة الى ان نطاق هذه الملاحظة يكون مقتصرا على انواع محدده من النشاط الاجرامي كجرائم مخالفة التسعيرة وجرائم تهريب

---

٣٢ ـ د. محمد خلف، المرجع السابق ،ص ٧٠ .

٣٣ ـ د . يسر انور علي ود امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، د جلال ثروت ود محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ص ٦٨ .

المخدرات المرتكبه من قبل افراد ينتمون الى عصابات دولية ، لان دور الملاحظ يقتصر على الكشف عن الجريمة دون ان يساهم في تكوينها وبعد ان تفترض المقدرة والقابلية لدى الملاحظ في تأدية الدور المرسوم له كمجرم دون ان ينكشف امره(٣٤) .

ومهما كانت الصعوبات القائمة عند تطبيق هذا الاسلوب الا ان لهذا الاسلوب اهميته وفاعليته اذا طبق كما ينبغي ، فالمجرمين لا يتصرفون التصرف الطبيعي عندما يكونون في دوائر الشرطة ودوائر القضاء والمؤسسات العقابية فاذا ما اريد فهمهم على حقيقتهم فأن المنطق السليم يقضي دراسة حياتهم الاجرامية خارج هذه المؤسسات والدوائر ، وهذا يتطلب من الباحث ان يعيش مع المجرمين كل ظروفهم كأن يكون احدهم ويشاركهم في افراحهم واحزانهم ، وهذا هو الاسلوب الصحيح الذى يمكن بموجبه للباحث من ان يفهم حقيقة الشخصية الاجرامية وتعيين مدى خطورتها وبالتالي نجاحه في الحصول على جملة ملاحظات عن المواقف والاجراءات التي يتعذر القيام بها بغير اتباع هذا الاسلوب ، وهذا يعني ان هذه الدراسة ستشمل بالاضافة الى المجرمين المقبوض عليهم ، مجموعة لا يستهان بها من المجرمين مازالوا فارين من العدالة وخارج قبضتها ، والذين يمثلون نموذجا جيدا للدراسة في هذا الصدد لانهم يمارسون نشاطهم الطبيعي بكل حرية وبدون تصنع كما لو كانوا امام الجهات الرسمية .

ب ـ الملاحظة بدون مشاركة :

وتتحقق بمصارحة الملاحظ لافراد المجموعة محل بحثه ودراسته بطبيعة دورة وحقيقته ، دون ان يقوم باى نشاط مع افراد هذه المجموعة وانما يكتفي بتكوين علاقات متينة معهم ، وما من شك في ان هذا الاسلوب

---

٣٤ ـ د عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام المرجع السابق ص ٤٤و٤٥ .

يتيح للملاحظ حرية في العمل اوسع من الحرية التي يتيحها الاسلوب السابق الذكر من حيث القائه بافراد المجموعة وطريقة مشاركته لنشاطاتهم ، اما عن النتائج التي يحصل عليها الملاحظ بهذا الصدد ، فانها تعتمد على مقدار الثقة التي يحصل عليها الملاحظ من الجماعة التي تكون مقترنة بقناعتهم بتأثير وفاعلية المهمة التي يقوم بها والتي يكون لها بالطبع التأثير المباشر على هذه النتائج ·

وميزة هذه الطريقة انها تجنب الباحث كثيرا من الاشكالات التي يواجهها عند اختلاطه واندماجه كليا(٣٥) مع العينة محل البحث ، اضافة الى تمتعه بحرية الحركة والمرونة في التصرف بحيث يستطيع ملاحظة الامور التي تهمه فقط ، وتثبيت البيانات والمعلومات التي يراها جديرة بالتسجيل(٣٦) ، لكن يعيب هذه الطريقة أنها لاتسمح للباحث ان يرى مجريات الامور وتسلسل الحوادث على الطبيعة ، مما يؤثر في دقة وقيمة النتائج التي يحصل عليها(٣٧) ·

ثانيا ـ الملاحظة المنظمة :

وتعتمد على استخدام الالات والوسائل التي تعاون الملاحظ في الوصول الى الحقيقة العلمية ، كالاستمارات والاختبارات واجهزة التصوير والتسجيل والمقاييس والتحاليل الطبية ، وبهذا الصدد فقد ذكر العلماء ان الملاحظة المنظمة تتكون من عنصريين متكاملين : ـ

---

٣٥ ـ د · محمد خلف ، المرجع السابق ، ص ٧١ ·
٣٦ ـ د يسر انور علي ود · امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٠٧ ·
٣٧ ـ د ·جلال ثروت ود · محمد زكي ابو عامر ،المرجع السابق ، ص ٦٩ ·

العنصر الاول :

هو الجهد الفكرى الذى يبذله الباحث من اجل تجميع وتنسيق المعلومات وتحليلها .

العنصر الثاني :

هو استعانة الباحث بالالات والاجهزة والوسائل التي تتلائم مع طبيعة الظاهرة ، ومما لاريب فيه ان استخدام الالات والاجهزة المشار اليها اله اهمية كبيرة في نطاق المنهج العلمي التجريبي ، وقد اشاد الاستاذ كلود برنار بهذا الاسلوب قائلا : اني اعتقد ان الكشف عن اداة جديدة للملاحظة والتجربة للعلوم التجريبية الناشئة اكثر فائدة من عدة ابحاث نظرية(٣٨) .

وقد توصل العلم الحديث الى مجموعة متطورة من الالات والاجهزة والتي من شأنها تسهيل المشاهدة الدقيقة للظاهرة محل الدراسة كاجهزة الرادار التي تراقب وتسجل كل مايدور في المكان المراد مراقبته او اجهزة المراقبة الدقيقة التي تقوم بتسجيل الحوادث الجنائية بشكل يمكن معه الاستفادة منها في تحليل المعلومات وتنسيقها ومن ثم تفسيرها وصولا الى الحقيقة التي ينشدها الملاحظ .

المطلب الخامس

(المقارنة)

ويقصد بها : اجراء مقارنة بين المميزات الخاصة للمجرمين والظروف التي عاشوا فيها ، وبين ميزات الاشخاص العاديين والظروف المحيطة بهم(٣٩) وتبدو اهمية هذه الطريقة في انه يمكن من خلالها استنباط القواعد

---

٣٨ ـ د عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٤٧

٣٩ ـ د . عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

العامة التي تحكم ظاهرة الجريمة وغيرها من الظواهر الاجتماعية ، وينبغي على الباحث في هذا الميدان ان يقارن الظروف المتصلة بالظاهرة الاجرامية من اجل استنتاج الخصائص او الظروف او العوامل المتقابلة والمتنافرة(٤٠) التي تحكم الظاهرة محل الدراسة ، وفي نطاق الدراسات الاجرامية نستطيع بالمقارنة الوقوف على العلاقة الطردية او العكسية بين ظاهرة الجريمه وبين الظروف المحيطة بالجرمين ، من اجل الوصول الى تفسير علمي يقيم الدور الذي تلعبه الظروف المذكورة في احداث الظاهرة الاجرامية(٤١) وقد استخدمت الاختبارات الشخصية لتحديد نسبة الاضطرابات العاطفية بين المجرمين وغير المجرمين ، وعلاقة هذه الاضطرابات بالجريمة ، ودراسة العلاقة بين الجريمة وبين الاشخاص الذين نشأوا في اسر مفككه بسبب وفاة المعيل او بسبب الطلاق مقارنا بعدد الاشخاص الذين يحترمون القانون نشأوا في مثل هذه الأسر ودراسة العلاقة بين الجريمة وبين الاصل والسن والجنس والثقافة(٤٢) ٠

وقد وضح الاستاذ شارلس كورنلك اسلوب هذه الطريقة بقوله : ان علمنا مقترنا بالطبيعة المتغيرة لكل روح انسانية كذلك بالتنوع والتداخل لكل المؤثرات والدوافع الانسانية ، وترسم وسائل هذا العلم الخطوط العريضة السمات او العلامات غير الكاملة لصورة الكائن الحي ، وفي اسلوب اكثر دقة ، اننا نحاول ان نقدر الحصيلة النهائية لقيمة واتجاه المؤشرات والميول العامة الخفية وغير الملموسه وفي اثرها لدى الافراد ، والتي لايمكن ان تقاس او تقوم بدراسة الافراد انفسهم ، ولكنها بعملياتها وتأثيرها على نطاق واسع وفي قلوب كل الناس توصل الى نتائج لايمكن تجنبها ولاتصبح محسوسه ومرئية ولكنها لادق تعريف ومقياس ٠

---

٤٠ ـ د مأمون محمد سلامة ، المرجع السابق ص ٩١ ٠

٤١ ـ د ٠ حسنين ابراهيم صالح عبيد ، المرجع السابق ص ٢٤ ٠

٤٢ ـ د ٠ عبد الفتاح الصيفي ، المرجع السابق ص ٥٠ و ٥١ ٠

تقييـــم المقارنه :

١ ـ مزايا طريقة المقارنة

تعد هذه الطريقة من الطرق الناجحة في علـم الاجـرام ، فهـي كفيلـة بالتوصل الى نتائج علمية . وكما يـرى البعض(٣٤) ، فـأن تجاهـل هـذه الوسيله من شأنه ان تكون النتائج المترتبة عليها محاطة بالاخطاء ومتصفـه بالسطحية . ومن امثلة ذلك مقارنة السلوك الاجرامي في بيئة صناعيه مـع بيئة زراعية ، او المقارنة المعتمدة على الاحصاءات الجنائيـة بيـن حركـه الظاهرة الاجرامية وبين حركة العوامل الاجتماعية وما يرافقهـا من تغييـر وتطور فبفضل هذه الطريقة يمكن تحديد العلاقة بين الحركتين •

٢ ـ النقد الموجه الى طريقة المقارنة :

على الرغم مما تتمتع به هذه الطريقة من مزايا الا انها تعرضت الـى الكثير من اوجه النقد بالنظر لما يشوبها من نقص والصعوبات التي تثـور عند استخدامها ويمكن تلخيص هذه العيوب فيمايأتي : ـ

أ ـ عدم توفر نسبة كافية من المعلومات والدراسات تخص المجرمين يمكن التعويل عليها بصورة عامة ، اما المعلومات والدراسات الخاصة بالمسجونيـن فانه لايمكن الاعتماد عليهـا بهذا الصدد ، لان المسجونيـن لايمثلون كـل المجرمين ، إذ ان هناك كثير منهم مازال خارج السجن •

ب ـ ان المعلومات الخاصة بالمسجونين لايمكن التسليم بها بصورة مطلقة بل ينبغي ان تمحص وينظر اليها بشيء من الحذر ، فعلى الرغم من امكـان تحديد الظروف الواضحة مثل الاصل والسن والجنس بدرجة مقبولة مـن الدقة الا انه يتعذر الالمام بالظروف المحيطة بالمسجونيـن بالدقـة المطلوبـة

---

٤٣ ـ د • محمد خلف ، المرجع السابق ص ٨١ •

كظروف البيت ، او معرفة سلوك واخلاق والديهم دون محاولة القيام بدراسة البيئة التي نشأ فيها هؤلاء المسجونين قبل دخولهم الى السجن .

ج ـ عند استخدام هذه الطريقة ينبغي عقد مقارنات بمجموع السكان ثم بالجماعات الخاصة التي نشأ فيها المسجونين . ولذا فانه من الاهمية بمكان ان نفترض ان العينه العامة للسكان لاتشمل الا غير المجرمين ، وانه لايوجد بينها اشخاص انتهكوا احكام القانون الجنائي واخلوا بقواعده ، ولم يتكشف امرهم ، وهو افتراض غير مضمون العواقب .

د ـ صعوبة الوصول الى فهم وتحليل كل الخصائص والظروف وانما يمكن من تفهم بعضها . ولذا فأن هذه الطريقة تبقى عاجزه عن تحديد سببا واضحا للظاهرة الجرمية ، وبالتالي لانتمكن من تفسير الالية التي ينتج عنها السلوك الاجرامي . فالملاحظ مثلا ان هناك علاقة وثيقة بين اجرام الاحداث وبين سكر والديهم . الا ان الذي نود التوصل اليه هو : هل ان سبب هذه العلاقة هو عيب طبيعي في التكوين العضوي بسبب سكر الوالد او ان الانحراف سببه حرمان الحدث من الحصول على مستلزمات الحياة الضرورية بسبب اسراف والده المادي وعدم تخصيص جزء من دخله لتلبية متطلباته وما يترتب على ذلك من نتائج سلبية ، باعتبارها أن الطفل او الحدث لايقدر الظروف عندما يريد الحصول على شيء خاصة اذا وجد ان اباه لم يهتم بطلباته وانه يبذر النقود في امور تافهه وغير اخلاقيه ، او قد يكون سبب الانحراف هو ما يتمثله في ابيه من قدوة سيئه ، تعجز عن القيام بدورها في تنشأة الابن النشأة الصالحة .

المبحـــــث الثاني

طـــرق البحث الفرديـــــة

تعد هذه الطرق من طرق المنهـج العلمـي التجريبـي في ميدان دراسـة وتحليل الظاهرة الاجرامية ، وهدفها البحث عن العوامل الدافعة الى الجريمة بالنسبة لواقعة مادية محددة وشخص معين بذاته ، عن طريق فحص المجرم ودراسة جميع الجوانب المختلفة لشخصيته ، وتشمل النواحي البيولوجيـة والنفسية والعقلية ، من اجل التوصل الى معرفة ما اذا كـان الشخص محـل الدراسة ذا تكوين اجرامـي ام لا ؟ واذا كان الجـواب بالايجـاب ، فتستمر الدراسة لمعرفة الكيفية التي تحقق بها هذا التكوين ، لذا يمكن القـول ان اساليب البحث الفردية تتولى بالدراسة والبحث (حركية الجريمة) (٤٥) وستقصر كلامنا على اهم هذه الدراسات وهي الدراسة البيولوجية والدراسة النفسية والعقلية •

المطلـــب الاول

الدراســـه البيولوجيـــه

تتمثل هذه الدراسـة بالفحص الطبـي الشامـل للاعضـاء الخارجيـة والاجهزه الداخلية لمجرم معين بذاته ، لملاحظة ماقـد يشوبها مـن نقص او تشويه او خلل يساعد الباحث على تحليل سلوكه الاجرامي(٤٦) ، والبحث في اسباب تكوين هذا السلوك ، والربط بين هذا الخلل وبين هذا التكوين ، وبالاضافة لهذا الفحص فأن الدراسات البيولوجية قد امتدت لتشمل دراسة

---

٤٥ ــ د • مأمون محمد سلامه ، المرجع السابق ، ص ٩٣ و ٩٤ •

٤٦ ــ د • يسر انور علي ود • امـال عبد الرحيم عثمان المرجـع السابـق ص ١١٥ •

تأثير اختلالات الغدد كتأثيرات افرازات الغدد الصماء مثلا على الجهاز العصبي والجهاز النفسي للشخص ، واثرها في سلوكه الاجرامي ، وقد اظهرت الابحاث العلمية التي اجراها بعض العلماء اهمية الدراسة البيولوجية، والتي انتهت الى ضرورة الاهتمام بالانثروبولوجيا التفاضلية اذ يمكن بموجبها تقسيم الاشخاص بحسب الاشكال الخارجية لاعضاء الجسم واثر ذلك على تكوينهم النفسي ومشاعرهم واحاسيسهم . مما يفسر لنا تكوينه الاجرامي في ضوء هذا التقسيم ، اضافة الى اظهار هذه الابحاث لاهمية التكوين النفسي للفرد الذى له صلة وثيقة بافرازات الغدد الصماء وتأثير اختلالاتها على سلوك الفرد وتصرفاته(٤٧) .

وقد استخدم انصار هذه الطريقة الاجهزه العلمية المتطورة في فحص الغدد واجهزة الجسم الداخلية اضافة الى الفحص الطبي الشامل ،كاجهزة الاشعة والتحاليل البيوكيميائية وتخطيط الدماغ .

اما عن تاريخ دراسة الاعضاء الخارجية لجسم المجرم فانها تمتد الى زمن بعيد. لكنها لم تتخذ منهجا علميا الا على يد العالم الايطالي لومبروزو الذى يعتبر اول من ربط تفسير السلوك الاجرامي للفرد بالعوامل البيولوجية من خلال نظرته الى المجرم بوصفه انسان يحمل او صافا خاصا وسنتعرض لتفاصيل هذه النظرية في الباب الثاني من هذا المؤلف .

---

٤٧ . د. مأمون محمد سلامه، المرجع السابق ،ص٩٤

المطلب الثاني

الدراسة النفسية والعقلية

وقد برزت اهمية هذه الدراسة من خلال ماذهب اليه بعض المتخصصين في علم الاجرام من ان : السلوك الاجرامي سببه خلل في النفس اونقص في العقل ،كما ذهب البعض الاخر الى القول بان الجريمه ليست الاحدثا طارئا ولاتتوقف على تحقيق ظرف من الظروف وبانها امر محيط باعماق النفس لانه السلوك الناشيء عن الصراع الداخلي والتعارض مع قيم المجتمع ومصالحة بسبب فشل الانسان في تحقيق رغباته ومتطلباته الاساسية ،كما ان هناك من يرى بان الجريمة ليست الاعرضا من الاعراض العقلية ،والقد كان من نتائج الربط بين الجوانب النفسية والعقلية للمجرم وبين السلوك الاجرامي ازدهار علم النفس الجنائي الذى يهتم بدراسة الاحوال النفسية للمجرمين وتحديد درجة ذكائهم ومدى الخلل الذى يصيب عواطفهم وغرائزهم كما ذكرنا ،وتعتمد هذه الدراسات على طريقة دراسة حالة مجرم معين بالذات بالشكل الذى تعرضنا له تفصيلا عند دراسة طريقة الحالة .

وقد كان الاسلوب المتبع في الكشف عن نفسية المجرم في المراحل الاولى للدراسات النفسية يتحقق في جمع البيانات والمعلومات عن المجرم بالاستناد على طريقة الاستبيان اوالمقابلة ثم العمل على تجميعها وتنسيقها لغرض استخلاص العامل الدافع في السلوك الاجرامي، وقد استخدمت احدث الاجهزه والالات والوسائل الدقيقة في دراسة الظواهر النفسية ورصد الكثير من انفعالات المجرم والعديد من الظواهر النفسية المختلفة بشكل يدعو الى الاطمئنان مجنبا الباحث مواطن الخلل والزلل قدر الامكان ،وبهذا الصدد فقد تم انشاء اول معهد للتجارب النفسية في مدينة لايبزك في المانيا سنة ١٨٧٩ ،مالبث ان انتشرت ابحاثه في ارجاء المانيا وكثيرمن البلدان الاوربية

والامريكية ،حيث كان معهدا علميا ناجحا في مجال دراسة السلوك الاجرامي لان نشاطه لم يقتصر على رصد الكثير من الظواهر التي يتعذر مراقبتها بالمشاهده المجرده بل تعداها الى انشاء وتكوين الظاهره المرضية نفسها بوسائل مصطنعة في الفعل الطبيعي للانسان تحت الفحص والاختبار ولعل من اكثر هذه الاعراض وضوحا هي الاختلالات المدبرة تحت تأثير التنويم المغناطيسي ، حيث ساعدت هذه التجارب على تفسير الكثير من الظواهر التي يتعذر دراستها باستخدام الوسائل العلمية الطبيعية ، وتستهدف الدراسات النفسية والعقلية فحص مستوى الذكاء والميول والاهواء الغريزية اى الناحية الشعورية والعاطفية ، وتستخدم هذه الوسائل من جهة اخرى لمعالجة المريض نفسيا باساليب حديثة اشهرها : العلاج بالايحاء والعلاج بالتنويم المغناطيسي والعلاج بتفريغ الانفعالات المكظومة والعلاج بالتحليل النفسي(٤٨) .

وكان للفقهاء المسلمين وسائلهم الخاصة في علاج الامراض النفسية التي تتلائم مع النفس واهوائها وأفاتها وعللها ، ويمكن القول ان ابرز من استخدم هذه الوسائل في العلاج ابن سينا والغزالي ،اذ عالج الاول كثير من الامراض النفسية بطرق مختلفة ذكرها في كتابة القانون في الطب ، اما الثاني فقد عالج كثير من الدوافع الفطرية والمكتسبة والانفعالات ، ومن اهمها الخوف والغضب باسلوب يتناسب مع دقتها وعمقها واثرهما في السلوك وذلك في كتابة احياء علوم الدين(٤٩) .

---

٤٨ ـ المستشار محمد فتحي ، علم النفس الجنائي علما وعملا ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط ٢ ٩٦٩ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٨ .

٤٩ ـ أبي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين في القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م .

الباب الثاني

النظريات العلمية في تفسير الظاهرة الاجرامية

ثار الجدل بين علماء الاجرام بصدد تفسير الظاهرة الاجرامية ويرجع السبب في ذلك الى ان للظاهرة الاجرامية ذاتية متشعبة الجوانب ، سواء اكانت ظاهرة في حياة الفرد ام ظاهرة في حياة المجتمع ، فهي كظاهرة فردية تثير دراسات يغلب عليها الطابع البيولوجي والنفسي ، وهي كظاهرة اجتماعية تثير دراسات يغلب عليها الطابع الاجتماعي ، ولذا فقد تعددت تبعا لذلك النظريات التي قيلت بصدد تفسير هذه الظاهرة ، وسنخصص فصلا مستقلا لكل نوع من انواع التفسير للظاهرة المذكورة ، وبضمنها التفسير الذى يغلب عليه الطابع التكاملي اى تفسير الظاهرة الاجرامية من خلال دراسة العوامل الفردية والاجتماعية دون تغليب لدور اى منهما على الاخر .

الفصـــــل الاول

التفسير الفـــردى للظاهـــرة الاجراميـــة

يتضمن هذا التفسير دراسة المظاهر العضوية والنفسية للانســـــان المجرم ، لذا فأن هذا الفصل يتولى مناقشة اهم النظريات العالمية حول تفسير الظاهرة الاجرامية على اساس انها ظاهرة فردية تدخل في مجال الدراسات الانثروبولوجية الجنائية ، الخاصة بدراسة طبائع الانسـان المجـرم وذلـك بالاستناد على التفسيرات البيولوجية والنفسية للجريمة ، ولاهمية هـــذه التفسيرات فقد اثرنا معالجتها في مبحثين نخصص اولهما للتفسير البيولوجي ونناقش في ثانيها التفسير النفسي ٠

المبحث الاول

التفسير البيولوجي للظاهرة الاجرامية

يضم التفسير البيولوجي عدد من النظريات البيولوجية التي اهتمت بدراسة المجرم من الناحية التكوينيه اى دراسة الظاهرة العضوية له ، ولعدم اتساع المجال لذكر جميع هذه النظريات فاننا سنقتصر على اهم هذه النظريات واشهرها في ميدان الدراسات المتصلة بالسلوك الاجرامي ، وهي نظرية لومبروز ونظرية جورنج ونظرية هوتون ، لذا فقد قسمنا هذا المبحث الى ثلاث مطالب ، خصصنا كل واحد منهما لنظرية من النظريات الثلاث المذكورة .

المطلب الاول

نظرية لومبروزو

الاستاذ سيزارى لومبروزو (١٨٣٥ ـ ١٩٠٩) هو طبيب الامراض العقلية واستاذ الطب الشرعي والعصبي في الجامعات الايطالية ، اشتغل في بداية عمله طبيبا بالجيش الايطالي خلال الفترة (١٨٥٩ ـ ١٨٦٢) عين بعدها استاذا للطب الشرعي بجامعة بافيا ، ومن استاذ لنفس الفرع بجامعة تورينو(١) ، وقد اتاحت له هذه الفرص ان يتجه الى البحث الجنائي ودراسة اسباب الظاهرة الاجرامية بصورة خاصة ، وقد دفعته هذه الرغبة العلمية الى البحث عن اسباب هذه الظاهرة في شخص المجرم ، وخلال عمله في الجيش تحددت المنطلقات الاساسية لفكرته عن دراسة الظاهرة العضوية للمجرمين وابتدأت جهوده العلمية بالتأمل في سلوك بعض الجنود المنحرفين عن طريق فحصهم ودراسة المظاهر العضوية والتكوين الجسماني لهم من اجل التوصل

---

١ ـ د . عبد الفتاح الصيفي و د . محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

الى تحديد الخصائص المشتركة بينهم ، ومن ثم مقارنتها مع الخصائص المشتركة للجنود الاسوياء ، وقد لفت نظر لومبروزو انتشار الرسوم القبيحة والوشم على اجسام الجنود الاشرار ووجود الشذوذ البدني لبعض المجرمين الذين اقترفوا جرائم متسمة بالعنف والقسوه(٢)، لذا فقد تكونت لديه القناعة بوجود نموذج للانسان المجرم بطبيعته او بالفطره ، وهو الشخص الذى ترشحه منذ ولادته خصائص بيولوجية معينة لان يصبح مجرما ، وذهب الى ان المجرم يتصف ببعض مظاهر الشذوذ في تكوينه الجسماني وقد اطلق عليها علامات الرجعة ، لانها تدل على عدم انسجامه وارتداده الى الانسان البدائي الاول وان هذه العلامات الاجرامية التي يتميز بها هذا المجرم هي نفس الخصائص البيولوجية التي يتصف بها الانسان البدائي ، وقد ضمن لومبروزو هذه النتائج التي توصل اليها كتابة الموسوم : (الانسان المجرم) الصادر سنة ١٨٧٦ ، ومن استعراض مجمل الاراء والاستنتاجات التي انتهى اليها في هذا المؤلف يتبين بانها كانت تهدف جميعها الى اثبات الطبيعة الوراثية للاجرام ، لان من شأن هذه الطبيعة هواملاء صيغة الجريمة(٣) وبالنظر لتعرض الاراء المذكورة لكثير من اوجه النقد فقد عمد لومبروزو الى تعديل العديد من ارائه في الطبعات الجديدة المعدله لمؤلفه (الانسان المجرم) والتي اصدرها في سنة ١٨٩٦ وفي سنة ١٨٩٧ ٠

وبشأن الطبيعة الوراثية للاجرام فقد اعاد صياغة هذه الفكرة بقوله : ان العلامات الارتدادية لاتسبب بمفردها السلوك الاجرامي ، وانما يجب ان تتفاعل مع شخصية من يحملها فيما اذا تهيأت لها الظروف لانتاج السلوك الاجرامي ، وهذا يعني ان لومبروزو تراجع عن راية بصدد قابلية العامل

---

٢ ـ د ٠ عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، المرجع السابق ص٧

B. Di Tullio, Manuel D'anthropolgie criminelle, paris 1951, p. 42.

الوراثي في تحقيق الجريمة بمفرده ، لكنه غلب هذا العامل على ماسواه من العوامل الاجرامية الاخرى ، وانتهى بذلك الى النتيجتين الاتيتين : ـ

١ ـ ان العلامات الارتدادية تكون موجودة لدى اغلب المجرمين وليس جميعهم ، كما انها يمكن ان تكون موجودة لدى غير المجرمين ٠

٢ ـ لايمكن لعامل الوراثه بمفرده من تحقيق الجريمة ، وانما ينبغي ان تتظافر معه عوامل اخرى يكتسبها الفرد بعد الميلاد(٤) ٠

وتطبيقا للمنهج التجريبي الذى تبناه لومبروزو وصولا الى اثبات الصفات العضوية التي تميز بها المجرمون عن غيرهم ، فقد قام بتشريح حوالي ٣٨٣ جمجمة لمجرمين متوفين ، كما قام بفحص عدد اكبر من المجرمين الاحياء يصل الى حوالي ٥٩٠٧ شخصا ، وكان من ثمره هذه الجهود التي بذلها في هذا الاتجاه ترسخ القناعة لديه بتحقيق علامات الرجعه او العلامات الارتدادية لدى بعض المجرمين ، اضافة الى تبنيه لمبدأ الجبرية في اسناد المسؤولية الجنائية دون مبدأ الارادة الحرة ، ومقتضى مبدأ الجبرية هذا هو ان المجرم مسيرا ومجبرا على اقتراف السلوك الاجرامي ، متجاهلا بذلك اى دور للعوامل الاجتماعية في احداث هذا السلوك ٠

ومن ابرز الحالات التي بحثها لومبروزو ، والتي كان لها من بعد التأثير الواضح على ارائه واستنتاجاته حالة احد المجرمين الخطرين يدعى فيللا (Villea) والذى كان لصا وقاطع طريق ، فقام بفحصه اثناء حياته ثم تولى تشريح جثته بعد وفاته ، وقد وجد نتيجة تشريحه تجويفا في قاع الجمجمة مشابها لما موجود لدى بعض الحيوانات الدنيا كالقردة والطيور ، كما توصل الى تكوين فكرة عن فللا من خلال هذا الفحص بانه

---

٤ ـ د ٠ رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٧٩ ٠

كان شخصا متميزا بخفة غير عادية في حركته كما كان مغرورا بنفسه وحبه للسخرية والاستهزاء من الاخرين(٥) ٠

كما تأثر لومبروزو ايضا بالفحص الذى اجراه على مجرم اخر خطير يدعى فرسيني (Verseni) اعترف بقتله عشرين امرأة بطريقة وحشية اضافة الى شرب دماء ضحاياه قبل ان يقوم بدفنهن في المكان الذى اختاره لاخفاء جثتهن وقد تبين له من فحص التكوين البدني لهذا المجرم اتصافه ببعض الخصائص الجثمانية والتشريحية للانسان البدائي ، ومن الوقائع الخطيرة التي اهتم بها لومبروزو ايضا جريمة القتل التي اقترفها مسديا (Misdea) والذى كان جنديا في الجيش الايطالي ومصاب بمرض الصرع ، وقد اقترف هذه الجريمة بسبب سخرية أحد رؤسائه من مقاطعة كالابريا التي ينتمي اليها ، حيث كان لهذه السخرية وقعا سيئا في نفس مسديا فما كان من هذا الاخير الا ان انفعل انفعالا شديدا فقد معه اعصابه وقتل ثمانيه من رؤسائه وزملائه ثم سقط مغميا عليه فاقد الوعي لاصابته بنوبة الصرع التي استمرت اثني عشر ساعة ، ولما افاق من هذه النوبه فانه لم يتذكر شيئا مما صدر عنه وعن الجريمة التي اقترفها(٦) ، وقد انتهى لومبروزو عند فحصه الى وصف نوبة الصرع التي اصابت مسديا بانها وراثية اضافة الى ان سلوكه كان متسما بالوحشية والحيوانية ، وحينئذ اعلن ان العلاقة بين الاجرام والصرع علاقة وثيقة ، وان المجرم الصرعي يمكن تصنيفه ضمن فئة المجرمين بالميلاد او بالفطرة ٠

---

٥ ـ د ٠ عبد الصيفي و د ٠ محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية ، بدون تاريخ ص ٥٤ و ٥٥ ٠ ود ٠ عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، المرجع السابق ، ١٩ ٠

٦ ـ د رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٧٩ و ٨٠ و ٨٢ ٠

وفي بداية الامر قسم لومبروزو المجرمين الى ثلاث فئات هـي : المجـرم بالفطرة او الميلاد والمجرم المجنون والمجرم بالعاطفة ثم انتهى به الامر الـى تقسيمهم الى خمس فئات ، بعد ان اضاف الى الفئات الثلاث السابقـة المجرم بالصدفة والمجرم بالعادة وعلى النحو الاتي : ـ

اولا ـ المجرم بالفطرة او الميلاد :

وهذه هي الفئه المميزه من المجرمين في نظره والتي كانت محور نظريته وهو الشخص الذى يولد وفي نفسه بذرة الاجرام ، والعلاج الذى اقترحـه لومبروزو لهذه الفئة من المجرمين يتمثل في الابعاد النهائي الى محل ناء ليكون المجتمع في مأمن على كيانه واحتجازه احتجازا مؤبدا أو عزله في مكان ما مع فرض اشد الرقابة عليه والافضل في نظر لومبروزو ان يقتل لانه لا سبيـل للوقاية من شروره الا بهذا الاسلوب ، ويتميز المجرم بالفطره عـن الانسان العادى بمظاهر شذوذ بدنيه تظهر في ملامحه من اهمها : ـ

١ ـ عدم انتظام الجمجمة وصغر حجمها ٠
٢ ـ بروز عظام الوجنتين وضخامة ابعاد الفك ٠
٣ ـ شذوذ في حجم الاذنين ٠
٤ ـ عدم انتظام وتشابه نصفي الوجه
٥ ـ ضخامة الشفتين وبروزهما
٦ ـ الطول المفرط للذراعين ٠
٧ ـ غزارة شعر الرأس والجسم وجفافها ٠

كما يتميز هذا الشخص بصفات نفسيه مختلفة ؛ مما هوموجود لـدى الانسان العادى تبدو في : ـ

١ ـ القسوه البالغة وعنف المزاج وحب الشر .

٢ ـ انعدام الاحساس بالالم وميله الى الوشم .

٣ ـ اللامبالاة وعدم الشعور بتأنيب الضمير وعدم الحياء .

ثانيا ـ المجرم المجنـــون :

وهو الشخص الذى اصبحت حالتـه خطـره بسبب الجنون ، اذ لولا الجنون لما كانت هذه الخطوره ، فالجنون حالة سابقة علـى حالـة الخطورة لانه يفقد بسبب الجنون ملكة التمييز بين الخير والشر . ولو انه يشبه في سلوكه وتصرفاته المجرم بالميلاد الى حد ما ، الا ان حالة هذا الشخص حالـه مرضية تستدعي معالجته عن طريق وضعه في مصح او مأوى علاجي معـــد لهذا الغرض ليؤمن شره ويشفى من مرضه ان امكن واذا تعذر معالجته مـن هذا المرض فالافضل استئصاله من المجتمع وتخليص المجتمع من شره .

وقد قسم لومبروزو هذه الفئه من المجرمين الى ثلاث طوائف هي :

١ ـ المجرم المجنون :

وهو الشخص المصاب بنقص في عقله ، ويدخل ضمن هذه الطائفـــة حالات انفصام الشخصيـة (الشيزوفرينيـا) وجنـون العقائـد الوهميـة (البرانويا) .

٢ ـ المجرم الصرعي :

وهو الشخص المصاب بمرض الصرع الوراثي غالبا . والذى يتحول الى مرض عقلي متى ما تفاقم لديه المرض او ازداد مضاعفاته ، وفي هذه الحاله يصنف كمجرم مجنون وليس كمجرم صرعي .

٣ ـ المجرم السيكوباتي :

وهو الشخص المصاب بخلل او شذوذ يصيب قواه النفسيـه فيؤدى الى

انحراف نشاطها عن السير الطبيعي ، وتعتبر حالة المجرم السيكوباتي من اهم حالات التخلف النفسي التي لها علاقة وثيقة بالسلوك الاجرامي ومن اهم ما يتميز به هذا المريض هو عجزه عن التحكم في غرائزه ٠

ثالثا ـ المجرم بالعاطفـــه :

وهو الشخص الذى يتميز بحساسية خاصـة تجعلـه يتأثـر بسرعـة يخضع للانفعالات والعواطف المختلفة فيندفع نحو ارتكاب الجريمة دن سبق اصرار أو عزم وتصميم . وبعد ذلك يرجـع الى مزاجـه الاعتيادى وحالتـه الطبيعية فيشعر بتأنيب الضمير ، والصفه الغالبه لجرائم هـذه الفئه هـي جرائم الاعتداء على الاشخاص والجرائـم السياسيـة ، لان المجرم المذكـور سريع الندم بعد ارتكابه للجريمة فانه ليس هناك فائدة مرجوه من عقابـه لذا يفضل لومبروزو عدم اخضاعه لعقوبة قد تفسده وتجعل منه مجرمـا بالعادة ، ومن المفضل ابعاده عن الوسط الذى ارتكب فيه الجريمة والزامـه بتعويض الضرر الذى تسبب فيه ان كان كبيرا او عدم تنفيذ الحكم ضده ، لان وقف تنفيذ الحكم قد يحثه على التوبة ويسرع في تحقيقها ٠

رابعا ـ المجـرم بالعادة :

وهو الذى لايولد مجرما بالوراثة ، وهـذا يعني عدم تحقـق علامـات الرجعة لديه ، الا انه يكتسب الاجرام من محيطه ويعتاد علـى ارتكـاب الجرائم بتأثير الظروف الاجتماعية ، والصفة الغالبة لجرائم هذه الفئة هـي جرائم الاعتداء على الاموال وخاصة جرائم السرقة(٧) ، لذا ينبغي العناية بهذا المجرم من خلال فرض الرقابة المقرونة بالتوجيـه والارشـاد وتنسيب اعمال مناسبة له بحسب ملكاته الذهنية وقدراته البدنية لمدة زمنية غيـر

---

٧ ـ د ٠ عمر السعيد رمضان المرجع السابق ، ص ٢٠.

محددة تنتهي هذه المدة بزوال الحالة الخطرة وتحقق صلاحه ، واذا اقتضى الامر يمكن عزله عن المجتمع ليؤمن شره ٠

خامسا ـ المجرم بالصدفة :

وهو الشخص الذى لا يتوفر به الميل الاصيل للاجرام ، الا انه يتميز بضعف الوازع الخلقي بحيث يتأثر بسرعة المتغيرات الخارجية فيعجز عن تقدير نتائج اعماله وتصرفاته ، لذا يرتكب الجريمة بدافع حب الظهور او التقليد والجزاء المناسب لمثل هؤلاء المجرمين لايتحقق بتطبيق العقوبة لانها يمكن ان تؤثر في سلوكه من خلال اختلاطه بغيره من المجرمين ، ويفضل ابعاده عن محيطه وايداعه في مجمعات زراعية او صناعية لمدة زمنية غير محددة ، تكون مرتبطة بتحسن حالته مع الزامه بتعويض الضرر الذى احدثه(٨) ٠

تقييم نظرية لومبروزو :

اولا ـ مزايا نظرية لومبروزو :

لا ريب في ان الاستاذ لومبروزو قد انتهج اسلوبا جديدا في الدراسة والبحث من خلال اهتمامه بدراسة المجرم من الناحية التكوينية وصولا الى العوامل الداخلية التي دفعته الى اقتراف السلوك الاجرامي ، وقد كان لهذه المبادرة الفضل الاكبر في تمهيد الطريق امام البحوث والدراسات الخاصة بتحليل الظاهرة الاجرامية وخاصة استعانته بالوسائل التجريبية بهذا الصدد مما ترتب عليه ظهور علم الانثروبولوجيا الجنائية بهذا الشكل واهتمامه بدراسة المظاهر العضوية والنفسية للانسان المجرم ، حيث اصبح الان احد الفروع الرئيسية لعلم الاجرام وله الفضل في استخدام اسلوب المقارنة الاحصائية بين المجرمين وغيرهم على الرغم من انه لم يكن مختصا بعلم الاحصاء وبذا فانه فتح المجال امام غيره من المختصين والباحثين والخبراء

---

٨ ـ د ٠ رؤوف عبيد ، المرجع السابق ، ص ٨٠ ـ ٨٣

للقيام بدراسات علمية جادة تعتمد الاحصاء اساسا من اجل التوصل الى معرفة الاختلافات البيولوجية بين المجرمين وغيرهم(٩) ٠

ويمكن القول ايضا بان الاسلوب الذى انتهجه لامبروزو كان متسما بالابتكار منهجا وصياغة ، فمن حيث المنهج قام بنقل المنهج العلمي التجريبي من العلوم الطبيعية الى ميدان العلوم الجنائية رغم مافيه من صعوبة اما من حيث الصياغة فانه نجح في صهر اراء كل العلماء والباحثين الذين سبقوه ومن ثم اعادة صياغة اراءهم باسلوب جديد ضمنه ثمرة تجاربه واستنتاجاته التي توصل اليها ، كما اثرت نظريته بالسياسه الجنائية التي كانت مطبقة في زمانه فاعتمدت الكثير من ارائه(١٠) وخاصة المتعلقة بفئة المجرمين بالولادة والتي يخضع المجرم فيها للميل الاجرامي . هذا الميل الذى يدفعه لاقتراف الجريمة مع عجزه عن مقارنة هذا الميل الذى يخضع له ويؤثر في سلوكه وافعاله ٠

ثانيا : نقد نظرية لومبروزو

رغم المزايا التي اتسمت بها نظرية لومبروزو التي سبق الاشارة الى اهمها ، الا انها تعرضت لانتقادات كثيرة من حيث منهجها ومن حيث مضمونها ، وسنعرض الان اهم اوجه النقد الموجه اليها من قبلنا او قبل الباحثين الاخرين ٠

١ ـ نقد المنهج العلمي الذى استخدمه لومبروزو : وسوف نجمل نقدنا هذا بالفقرتين الاتيتين :

---

٩ ـ د ٠ د ٠ عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص ٢٠ ٠

Ernst Seeling, Traite de criminologie, 1956, p. 30.

أ ـ اكتفى لومبرزو في تفسير للسلوك الاجرامي على دراسة الناحيـة التكوينية للمجرمين فقط في حين ان هذا التفسير قاصر بطبيعته عن الاحاطه بالسلوك الانساني ، في مفهومه الواسع ، فالفحص الذى اجراه على اجسـاد المجرمين والتشريح الذى قام به لجثث المجرميـن لم يُمكـن لومبروزو مـن الاطلاع على كل الخصائص البيولوجية لجميع الافراد سواء كانوا مجرمين أم غير مجرمين ، لان اسلوب المقارنة الصحيحة يقتضي مثل هذه المقارنة .

ورغم ان اساس نظريته قائمة على الفحص والتشريح الا انه لم يثبت من الناحية العلمية صدق النظرية اللومبروزية بهذا الصدد ، اذ لم تتجلى العلامات التي ادعى لومبروزو انها علامات تميز المجرمين دون سواهم رغـم الفحص والتشريح الذى شمل الاف الاجساد والجثث من بعده .

ب ـ ان الخصائص البيولوجية والنفسية التي حددها لومبروزو والتـي اعتبرها اساسا لتمييز المجرم عن غيره ، من شأنها ان تنسحب الى نفس هـذا المجرم . ووفقا لمنطق نظريته يجب معاملة هذا الانسان معاملة المجرمين حتى وان لم يقترف السلوك الاجرامي ، ان مثل هذا الرأى لايمكـن التسليم بـه بالنظر لصعوبة الاحاطه بالنفس الانسانية بمثل هذه البساطه التي تصورها لومبروزو ، والبحث العلمي مازالت وسائله عاجزه عن سبر اعماق النفس وكوامنها الخفيه فالخطورة الاجرامية لاتكمن في المظهر الخارجـي للانسـان ولكنها تكمن في اعماق النفس ، اذ الجريمة تقترف بالنفس قبـل ان تقترف بالجوارح . لذا فأن الوسائل العلمية لم تتمكن لحـد الان مـن الكشف عـن مجاهل النفس الانسانية فما الذى حدا بلمبروزو لان يكون متفائـلا لهـذا الحد في الحكم على مكنونات النفس من خلال المظهر الخارجي لجسم الانسان، فالنفس الانسانية تكون عالما قائما بذاته يضم مجموعة غير متناهيـه مـن المشاعر والاحاسيس والدوافع التـي تتبايـن ليس مـن شخص لاخر فحسب

ولكن في النفس الانسانية الواحدة وخلال فترات زمنية مختلفة قد لاتتجاوز في بعض الاحيان بضع لحظات وتبعا للحالة النفسية والظروف التي تحيط بذلك الانسان ٠

٢ ـ نقد مضمون اراء لومبروزو :

وسوف نجمل نقدنا هذا بالفقرتين الاتيتين :

آ ـ لم يثبت علميا توافر علامات الرجعة او الارتداد لدى الانسان البدائي ، وما يصاحبها من ميل طبيعي الى اقتراف الجريمة ، وبتقديرنا انه غاية في التجني اتهام الانسام الفطرى بالاجرام ، ومن خلال استعراضنا لسلوك الكثير من الجماعات والقبائل البدائية لم نلمس تأصل الروح الاجرامية لديهم بل على العكس يشهد سلوكها على براءتها ، ومن تحليل اول جريمة قتل وقعت في التاريخ يمكن ان نستدل على نبل الانسان وطهارته ، لان قابيل حين عزم قتل اخيه هابيل لم يقاومه الاخير بل اثر ان يكون مقتولا لا قاتلا ، وان انتصار الشر في هذه الحالة لايدل على ان الانسان القديم شريرا بالفطره، قال الله تعالى وهو اصدق القائلين (واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال : لاقتلنك قال : انما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك ، اني اخاف الله رب العالمين ، اني اريد ان تبؤ بأثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل اخيه . فقتله فاصبح من الخاسرين)) * وفي هذا يقول المفسرون رحمهم الله (ان هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة ونموذجا من الطيبة والوداعة ، كما تقدم نموذجا لطبيعة الشرو والعدوان وتضعهما وجها لوجه ، كل منهما يتصرف وفق طبيعته ، وكل مايمكن قوله

---

* سورة المائدة ، الايات ٢٧ ـ ٣٠ ٠

بهذا الصدد هو ان هذا الحادث وقع في فترة طفولة الانسانية ، ومع ذلك فان الانسان البدائي والمتحضر قد يسلك كل منهما طريق الشر والجريمة ٠

ب ـ لايمكن التسليم بوراثية الاجرام . ومايترتب على هذا الرأى من نتائج ، وقد استنبطنا ذلك من قوله تعالى (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها) * وهذا يدل على الانسان يمكن‌ان ينهج نهج الخير ويمكن ان ينهج نهج الشر سواء اكان سلوكه فطريا او مكتسبا ، لذا فان من غير المقبول علميا ومنطقيا القول بوجود مجرم بالفطره او بالولادة وهو الشخص الذى يولد وفي نفسه بذرة الاجرام ، فعلميا لم يثبت حتى الان قابلية الصبغيات (وهي التي تحمل الخصائص الوراثية) على نقل خصائص اجرامية او سلوك منحرف من السلف الى الخلف لان السلوك لايمكن ان يورث اما من الناحية المنطقية فأن دراسة التاريخ القديم والحديث تدل على خلاف هذا الرأى ، وما قصة نوح عليه السلام مع ابنه والمحاوره التي جرت بين ابراهيم الخليل عليه السلام مع ابيه ببعيده عنا بالشكل الذى ورد في القرآن الكريم ، وكذا فان في واقعنا المعاصر ما يدل على خلاف الرأى القائل بوراثية السلوك الاجرامي ، ولذا فان الاجساد التي افترض فيها لومبروزو انها تحمل بذور الجريمة غير موجودة ، حقيقه ، فكما سبق ان بينا بان الانفس والارواح هي التي تنهج منهج الخير او الشر ، وان سبب اختيارهما لاى المسلكين لايكون بسبب الفطره او الطبيعه لان ذلك يعني الجبرية ، ولو سلمنا بفطرية الاجرام لكان من الظلم ان يعاقب الانسان على فعل مجبر على ارتكابه ، والصحيح هو ان الانسان مخيرا في سلوكه وليس مسيرا ٠

---

* سورة الشمس ، الايتان ٧ و ٨ ٠

المطلب الثاني

نظرية جورنج

الدكتور شارلس جورنج (Gharles Goring) طبيب بريطانسي الاصل اتاحت له خدمته في السجون البريطانية فرصة ملائمة قام خلالها باجراء الدراسات والبحوث التي مثلت الاساس الذى قامت عليه نظريته ، حيث ابتدأ منذ سنة ١٩٠١ باجراء دراسات احصائية بقارنة استمرت ثماني سنوات لفحص عينه شملت (٣٠٠٠) من المجرمين المحكوم عليهم وشملت المجموعة الضابطة عينه تضم عدد كبير من طلاب الجامعات والمعاهد وخاصة طلبة جامعتي كامبرج وأكسفورد ، ومجموعة من الضباط في الجيش البريطاني وبعض العاملين المدنيين فيه وخاصة المهندسين ، وعدد من المرضى الراقدين في المستشفيات البريطانية(١١) وكان يهدف من وراء هذه الدراسة التحقق والتيقن من صحة الفكرةالتي انتهى اليها الاستاذ لومبروزو بشأن تحقق علامات الرجعة او الارتداد لدى بعض المجرمين الى عدة طوائف وذلك بحسب نوع الجريمة المقترفة،ثم قام بفحص ملامح طوائف المجرمين جميعا وقياس اعضائهم وتكوينها من اجل مقارنتها بالصفات والخصائص التي تقابلها لدى غير المجرمين ، وعند انتهائه من هذه الدراسة المقارنة توصل الى عدة نتائج اهمها : عدم وجود علامات او أوصاف تميز مجرمي كل طائفة عن الطائفة الاخرى ، او تميز المجرمين عموما عن غيرهم وعدم وجود اى شذوذ في الملامح الخارجية التي تميز المجرم عن غيره ، الا انه بالرغم من ذلك فأن المجرمين يتميزون عموما عن غيرهم بنقص في الوزن يتراوح بين ثلاثة الى سبعة أرطال ، وقصر في القائمة يتراوح بين بوصة الى بوصتين ، وان

---

١١ ــ د ٠ عبد الفتاح الصيفي ، د ٠ محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٦٣ ٠

هذا النقص البدني له اهميته لانه يمثل في نظر الاستاذ جورنج انحاط عام موروث لدى المجرمين يكمن فيه الميل الى الجريمة ، وهو يظهر في صفاتهم وفي قياس مستواهم العقلي وان للوراثة دور كبير في ذلك(١٢) .

المزايـــا :

تميزت النتائج التي انتهى اليها الاستاذ جورنج بالاهمية ، خاصة بالنسبةلفكرة النمط الاجرامي التيnادى بها لومبروزو وماألتاليه من نبذ لهذه الفكرة من قبل علماء الاجرام ، فضلا عن الجهود التي بذلها خلال قيامه بالدراسة الاحصائية التي استغرقت ثماني سنوات وما اتسمت به من دقة في العمل وحرص وتصميم بالغين على النتائج المتوخاة .

الانتقادات :

ذكر الاستاذ جورنج في نظريته بان النقص البدني الذي يتميز به المجرمون عن غيرهم يمثل دليلا على تحقق انحطاط عام موروث لدى المجرمين ، ثم انتهى الى تغليب عامل الوراثة في السلوك الأجرامي على بقية العوامل الاجرامية الاخرى ، ولم تسلم هذه الاراء والاستنتاجات من النقد العلمي ، حيث وجهت اليها مآخذ عديدة انصبت على الطريقة التي انتهجها جورنج والادلة التي استند اليها في اثبات وراثية الاجرام ، ونذكر فيما يلي اهم هذه الانتقادات :

١ ـ اقتصرت الدراسة الاحصائية التي قام بها جورنج على الذكور دون الاناث ، وهذا يعني من الناحية المنطقية ان النتائج التي انتهى اليها تنطبق على الذكور فقط . الا انه ورغم ذلك ذكر بان نسبة المجرمين

---

١٢ . د . يسرانور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ٧ .

الاناث من الاخوات الى نسبة الذكور من الاخوة هي ٦ الى ١٥٢ ، وهذا رأي لايمكـن التسليم بـه وفقا لمنطلقات نظريتـه ، فالمفروض ان الميل الى الجريمة يورث بنفس النسبة التي تورث فيها الخصائص البيولوجية الاخرى وليس هناك مايدعو لان يختلف هذا الميل من الذكور الى الاناث . (١٣)

٢ ـ بالغ جورنج في اظهار دور عامل الوراثة من خلال دراسته لتأثيـر بعض العوامل البيئة الاخرى على السلوك الاجرامي ، فقـد اظهـر مثلا ضآلة تأثير البيئة على الكفاءة العقلية ، اضافة الى ان دراسته قـد تناولت بعض العوامل البيئية فقط ، وكان الاجدر بـه ان يبحـث في تأثير اهميـة العوامل البيئية كافة دون ان يقصرها على البعض منها ، كي تكون دراسته الاحصائية المقارنة اقرب الى المنطق العلمي الصحيح .

٣ ـ ان ما ذهب اليه جورنج من ان النقص البدني الذي يتصف بـه المجرمون يؤدي بهم الى سلوك طريـق غيـر اجتماعـي لفشلهم في تحقيـق واشباع حاجاتهم الضرورية بالطرق المشروعة ، وان هذا الراي غير مقبول لان القوة التي يستخدمها الفرد في تحقيق متطلباته ومستلزماته الضرورية ليست هي القوة البدنية وحدها هذا من جهة ، ومن جهـة اخـرى لايمكـن القول بأن كل من يكون ضخم الجسم يتمتع بقوة بدنية عالية ، كما لايمكن القول بان كل نحيف الجسم لايتمتع بقدر كاف من القوة لعدم وجود علاقة وثيقة بين القوة البدنية وطبيعة جسم الانسان بدينا كان ام نحيفا .

---

١٣ ـ د . عمر السعيد رمضان ، دروس علم الاجـرام ، المرجع السابـق ص ٢ .

المطلـــب الثالـــث

نظريـــة هوتـــون

ارنست هوتون (Ernest A. Hooton) اساتذ الانثروبولوجيا بجامعة هارفارد الامريكية ابتدأ هو الاخر القيام بدراسة احصائية موسعة منذ سنة ١٩٣٠ واستمرت حتى ١٩٣٩ ، وكان يبغي من وراء هذه الدراسة تقييم النتائج التي انتهى اليها الاستاذ جورنج في نظريته ، وكان موضوعها مجموعات كبيرة من المجرمين وغير المجرمين تقيم في ثمان ولايات امريكية، وقد راعى في انتقائهم واختيارهم تماثلهم قدر المستطاع من حيث النوع والظروف الخاصة المحيطة بهم ، فكانت العينه مكونه من ثلاثه عشر الف وثمنمائه وثلاثة وسبعين شخصا (١٣٨٧٣) من المسجونين ونزلاء الاصلاحيات بعضهم من البيض والبعض الاخر من السود وشملت المجموعة الضابطة عينه تضم ثلاثة الاف ومائتين وثلاثة شخصا (٣٢٣٠) انتقاهم من بين طلبة الجامعات والمعاهد ورجال الشرطة ورجال الاطفاء والمرضى الراقدين في المستشفيات وقد كان بعضهم من البيض والبعض الاخر من السود ايضا •

وبعد اتمام الدراسة وبحوثه هذه في سنة ١٩٣٩ اثمرت جهوده بالتوصل الى مجموعة نتائج اهمها : ان المجرمين يختلفون عن غيرهم اختلافا واضحا في مقاسات اجزائهم الجسمانية ، وتبدو لديهم مظاهر الشذوذ البدني التي تكون الى درجة كبيرة متشابهة لعلامات الرجعة او الارتداد التي نادى بها لومبروزو، وانهم يختلفون ايضا في الملامح الخارجية ويبدو ذلك خصوصا في لون العين وشكل الانف والاذن والشفه والجبهه ، اضافة الى اتصاف المجرمين بانحطاط جسماني حدده بمائه وسبع

صفات ترجع اساسا الى العوامل الوراثية (١٤) ، وان لهذا الانحاط والشذوذ البدني اهميته البالغة في تبرير السلوك الاجرامي لانه يدل على الانحطاط العقلي .

كما اعطى هوتون في دراسته وابحاثه اهمية خاصة للمقارنة بين طوائف المجرمين التي قام بتحديدها بالنظر لنوع الجرائم التي حكموا من اجلها ، وانتهى الى القول بأن كل طائفة تتميز بنوع من الشذوذ البدني تمثل الميل الى ارتكاب نوع معين من الجرائم تختلف عن الجرائم التي يرتكبها مجرم اخر لايتحقق لديه نفس الشذوذ ، فالقاتل تختلف اوصافه وسماته عن السارق وهو بدوره يختلف عن مرتكب الجرائم المخله بالشرف . وضرب امثله لهذه الصور قائلا : ان طوال القامة ضعاف الجسم يميلون الى اقتراف جرائم النهب وجرائم القتل ، وان طوال القامة ذو الاجسام الضخمة يميلون الى اقتراف جرائم الغش والخداع وان ذوي الاجسام الضخمة قصار القامة يميلون الى اقتراف الجرائم المخلة بالشرف (١٥) .

المزايـــــا

ما من شك في ان لنظرية هوتون موشرا ايجابيا يتضح من خلال الجهود الكبيرة التي بذلها من اجل دراسة وتقييم نظرية جورنج تقييما علميا دقيقا استند فيه الى اسلوب الدراسة الاحصائية التي اجراها والتي شملت مجموعات كبيرة من المجرمين حرص عند القيام بها على تهيئة كافة الاجواء والظروف الملائمة لانجاح دراستة وتحقيق الهدف الذى سعى من اجله طوال

---

١٤ ـ د . يسر نور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ٧٦ ـ ٧٧ د . فوزية عبد الستار مبادىء علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

١٥ ـ د . عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، المرجع السابق ص ٢٢ .

تسع سنوات ، بذل خلالها كل ما وسعه جهدا للوصول الى افضل الوسائل لتشخيص ظاهرة الاجرام والقضاء عليها ٠

الانتقـــــــــــادات

تعرضت نظرية هوتون لانتقادات عديدة من جانب العلماء اهمها :

١ ـ لقد اخفق هوتون في استخدام الاسلوب الاحصائي استخداما علميا صحيحا لانه قصر دراسته على السجناء ونزلاء الاصلاحيات فقط على اساس انهم وحدهم يمثلون عينة المجرمين كما اختار في دراسته للمجموعة الضابطة عينة تضم طلبة الجامعات والمعاهد ورجال الشرطة ورجال الاطفاء والمرضى في المستشفيات ، حيث افترض فيهم ان يمثلون طائفة غير المجرمين ، في حين ان نسبة التمثيل في كلا المجموعتين لم تصل الى الحد الذى يعتبره المنطق العلمي اساس مقبول للمقارنة ٠

٢ ـ لم يستطع هوتون ان يقدم دليلا علميا على ان الانحطاط الجسماني والشذوذ البدني الذى يتميز به المجرمين هو انحطاط موروث ، فقد تكون الوراثه مصدرا للبعض هذه الصفات الا انه من المسلم به علميا ان التأثير الاساسي في نمو جسم الانسان تكون لعوامل التغذية ولظروف بيئيه اخرى ٠

٣ ـ ان الطريقة التي استخدمها هوتون في وصفه الطوائف المختلفة للمجرمين وفقا لانواع جرائمهم كانت طريقة بدائية وغير علمية لانه استند في هذا الوصف على نوع الجريمة الاخيرة التي اقترفها هؤلاء المجرمون ، وقد فاته ان يلاحظ ان هناك نسبه كبيرة منهم قد سبق وان اقترف جرائم اخرى قد تكون مختلفة في نوعها تماما عن الجرائم التي وضعوا في السجن من اجلها فان هناك احتمالا كبيرا ان تختلف النتائج التي انتهى اليها ، وهذا كله يزعزع الثقة في قوة الحجج العلمية التي اسند اليها هوتون نظريته(١٦) ٠

---

١٦ ـ د ٠ يسر انور علي و د ٠ امال عبد الرحيم عثمان ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب المرجع السابق ، ص ٧٧ ، ٧٨ ٠

المبحــــث الثاني

التفســير النفســي للظاهــرة الاجراميــة

اتجه بعض العلماء الى تفسير الظاهرة الاجرامية في ضوء النتائج التي تحققت عند دراسة الجوانب النفسية للمجرم ، ويحسن بنا ونحن نحاول الغور في اعماق النفس البشرية وسبر مجاهلها ان نلقي الضوء على فكـرة النفس ، ونناقش الابحاث والدراسات التي قيلت بصددها ، من اجل اعطاء فكرة واضحه عن الدراسة النفسية ، ليتسنى لنا الربط بينها وبين السلوك الاجرامي ، وقد حاولت مدرسة النفس التقليدية من قبل تفسير الظاهـرة الاجرامية عن طريق ربط السلوك الاجرامي بالمتغيرات التي تصيب الجهاز العصبي ، ووفقا لمنطق هذه المدرسة في التحليل والاستنتاج فانه متى مـا تعرض المخ ، وهـو المسيطر علـى الجهاز العصبي ، لاي خلل وبالاخص الخلل الناتج عـن التهابات الاغشية ، فقدت المراكز العليا للمخ السيطرة على مركز الانسان وبالتالي تخلص من رقابة هذه المراكز له ، وهذا الخلل يحتمل معه ان يقـوم الشخص بارتكـاب الفعل المجـرم لاتصـاف سلوكـه بالانانية المفرطـــة ٠

وكان المنهج الذي استخدمته هذه المدرسة فيالبحث قائما على اساس موضوعي محض ، فلسفته عدم التفريق في المقارنة بين الظاهرة النفسية والظروف الخارجية المحيطة بالفرد ، والذى نراه ان هـذا المنهـج العلمـي يمكن ان ننتقده من اوجه شتى من اهمها عدم وجود تناسب بين هذا المنهج باعتباره منهجا موضوعيا(١٧) وموضوع الدراسة الـذي يجب ان يكـون شخصيا لتعلقه بالنفس الانسانية ٠

---

١٧ ٠ د عبد الفتاح الصيفي علـم الاجرام ، المرجـع السابق ، ص٩٢ ود ٠ عبد الفتاح الصيفي ود محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ، ص ٩٨ ٠

لذا فان فحوى الاتجاه النفسي في التفسير العلمي لظاهرة الجريمة هو البحث عن عوامل الجريمة في شخصية المجرم ، وذلك بتحليل شخصيته تحليلا كاملا ، لاسيما من حيث العوامل الاجتماعية والاضطرابات العاطفية والعلل والامراض النفسية والتي يعتبر تحققها نتيجة للتفاعل الاجتماعي اكثر مما هو نتيجة لعوامل الوراثة الطبيعية(١٨) .

ويتضمن الاتجاه النفسي العديد من النظريات التي حاولت اعطاء تفسير للسلوك الاجرامي ، الا ان الطابع الغالب على هذا الاتجاه كان للنظرية العالم النمساوي فرويد في التحليل النفسي التي تلزم بالرجوع الى نفسية المجرم وتحليل شخصيته تحليلا كاملا يبتدأ من مراحل عمره الاولى ويشمل مختلف مراحل حياته ثم البحث في علاقاته مع الاخرين ، ويرى فرويد ان من شان هذا التحليل الكشف عن صراعات النفس الداخلية ، ومن ثم الكشف عن العوامل الدفينة للاجرام(١٩) .

وشخصية فرويد التي ترتبط بنظرياته الذائعة صيتا هي من الشخصيات التي لها رنين في مسامع الباحثين والمثقفين بل ابهرت الكثيرين كما يتجلى من خلال وصف المؤلفين بانه باحث مجدد احدث مدرسة خاصة به ومما زاده اثرا ان هذه المدرسة تشعبت الى شعب شتى لانه احدث تحليلا للنفس ، والنفس مرتبطة بكل فروع الحياة ، علما باننا لسنا مع هؤلاء لان فرويد ابهر معاصريه ، وهو يبهر من لا خلفيه له في علم النفس الذي

---

١٨ . سيجموند فرويد مدخل الى التحليل النفسي ، ترجمة جورج طرابلس دار الطليعة بيروت ، ١٩٨٠ ، ط ١ ص ٦٢٥ .

١٩ ـ ادوين هـ . سذرلاند ورونالد كريسي ، مبادىء علم الاجرام ، ترجمة اللواء محمود السباعي و د . حسن صادق المرصفاوى ، مكتبة الانجلو ـ مصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٧٣ ، د . جلال ثروت ، الظاهرة الاجرامية ، الاسكندرية ١٩٧٢ ، ص ٦٢ ، ٩٥ .

وضع قواعده المفكرون المسلمون ، ولعل من اسباب انبهار معاصرى فرويد انه ابتدع تقسيما جديدا للنفس الانسانية ، فيرى فرويد ان الجهاز النفسي للانسان يتكون من ثلاث اقسام تمثل الجوانب الشهوانية والعقلانية والمثالية للنفس ، وانها في صراع مستمر يتحدد في ضوئه سلوك الانسان ، وكانت الطريقة التي تلقى بها الباحثون من معاصرية مثل هذه الاراء قد منعتهم حتى من مجرد فرض التساؤل عن امكانية اثبات صحته علميا مع ان ما يميزها عن غيرها من الاراء انها ولدت بصفتها ثمرة من ثمرات المنهج العلمي التجريبي الذى اتسعت مفاهيمه واهدافه لتشمل الانسان الى جانب علوم الطبيعة ٠

وهذا البحث الوجيز في تقييم نظرية فرويد يتميز بانه لايقتصر على تحليل مضمون هذه النظرية فحسب وانما يتضمن ايضا تحليلا علميا مقترنا بالنقد مستخدما نفس الاسلوب العلمي في التحليل عن طريق مقارنة الافكار والاراء التي تضمنتها هذه النظرية مع الافكار والاراء الاخرى في اطار المنهج العلمي التجريبي ذاته والذى استمدت منه هذه النظرية اسلوب عرضها ٠

وفي ضوء هذا التصور ، فان ادراك الغاية المرجوه يتطلب عرضا لمضمون هذه النظرية من وجهه نظر رائدها وانصاره التزاما بالامانة العلمية التي تقتضيها طبيعة الاسلوب العلمي في التفكير والتحليل ، ثم محاولة لتقدير هذا المضمون ، وهذا مايمكن تحقيقه في مطلبين ، اعرض في اولهما مفهوم السلوك الاجرامي عند فرويد ، واتناول في ثانيهما تقييم هذا المفهوم ٠

المطلـــب الاول

مفهوم السلوك الاجرامي عند فرويد (٢٠)

صاحب هذه النظرية العالم النمساوى سيجموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) طبيب اشتغل بدراسة علم الاعصاب ، واصبح مساعد لارنست بروك الذى كان مديرا لمختبر الفسلجه (علم وظائف الاعضاء) في جامعة فيينا اشتغل في سنة ١٨٨٢ طبيبا في المستشفى الرئيسي بفيينا واستمر يواصل ابحاثه ودراساته في تشريح الجهاز العصبي الى جانب عمله السريرى كطبيب ، من اهم مؤلفاته (الميكانيزم السيكولوجي للظواهر الهستيرية) ، وهو مؤلفه الاول الذى نشره سنة ١٨٩٣ و ((مدخل الى التحليل النفسي)) و ((نظرية الاحلام)) و ((النظريـة العامـة للامراض العصابيـة)) و ((محاضرات جديدة في التحليل النفسي)) و ((افكار لازمنة الحرب والموت)) و ((القلق والـذات والغرائـز)) و ((الاضطراب النفسي في الحياة اليومية)) و ((عسر الحضارة)) .

---

٢٠ ـ ولد فرويد يوم ٦ ـ ٥ ـ ١٨٥٦ في مدينة فرابيرج من مقاطعة مورافيا ، وهي مدينة صغيرة تقع حاليا في جيكوسلوفاكيا ، وبعد بلوغه الثالثة من عمره اخذتـه عائلته الى فيينـا والتـي عاش فيهـا مايقارب من الثمانين عاما ، دخل فرويد مدرسة الطب سنة ١٨٧٣ ، وتسلم الشهادة الطبية من جامعة فيينا سنة ١٨٨١ ، ولما لم يسيطر النازيون على النمسا سنة ٩٣٧ سافر الى انكلترا ليقضي بقية حياته هناك حيث توفي في لندن سنة ١٩٣٩ ، كالفن ـ س . هول ، مبادىء علم النفس الفرويدى تعريب الاستاذ دحام الكيال ، مكتبة النهضة، بغداد ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ . ط ٢ ، ص ١٠ ، المستشار محمد فتحي ، علم النفس الجنائي علما وعملا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ط ٤ ، ص ٣٠٠ ، د . مصطفى فهمي ، علم النفس التكنيكي ، مكتبة مصر ـ فجاله القاهرة ، ١٩٦٧ ص ٢٩١ .

ولذا فقد كان مفهوم السلوك الاجرامي عند فرويد واسعا حفل بالكثير من التفاصيل ، ولكن الذى يهمنا في هذا الصدد ارائه واستنتاجاته التي استند اليها في تفسير السلوك الاجرامي ، وهذا ما ساحاول ايضاحه في فروع ثلاث ٠

الفرع الاول / تحليل فرويد للنفس

الفرع الثاني / اثر الخلل النفسي في السلوك الاجرامي

الفرع الثالث / اثر العقد النفسية في السلوك الاجرامي

الفـــــرع الاول

(تحليـــل فرويد للنفس)

يقسم فرويد الكيان النفسي الى ثلاثة اقسام :

اولا ـ القسم الاول : الذات الدنيا ((Id))

وهي الجانب الشهواني من النفس ويضم الاحاسيس والغرائز والنزعات الفطرية الموروثه التي كان يتصف بها الانسان في العصور البدائية الاولى اى قبل عصر المدنية ، وهي تشمل الغرائز البدنية النازعة نحو الميول التي لا تتفق مع النظام الاجتماعي المتطور وقيمة السائدة ، كالاعتداء والتعذيب والانتقام والافعال الجنسية المحرمة ، وقد اضطر الانسان الى كبت هذه الغرائز والنزعات بحكم التربية والتعليم وبالخضوع للقيم المجتمع وضوابطه الا ان هذه الغرائز والنزعات رغم هذا الكبت فانها تبقى قابعة في اعماق النفس الانسانية ، غير انها تظهر كلما تهيأت لها الظروف والاحوال الملائمة بشكل صريح او مقنع بحثا عن الفرصة المؤاتية للاشبـــاع ٠

وتمثل الاحلام لدى فرويد اهم صور الشكل المقتنع للميول البدائيـة ويرى انها جميعا تمثل التعبير عن الرغبة المكبوتة في اعماق النفس سـواء إكانت تعبر عن الحب ام الكراهية ، فحالة النوم الطبيعي تقدم مثلا رائعا على مرونة الحياة العقلية ، وهي الحالة التي نرغب في تحققها كل ليلـة ، ويستطرد فرويد قائـــلا : ـ

لقد حرصنا عند رؤيتنا للاحلام ان نعمد على تفسيرها جميعا ، حتى وان كانت هذه الاحلام سيئة ، وقد اكتسبنا عن طريق التجربة اننا كلمـا نمنا تخلينا جانبا عن اخلاقياتنا التي اكتسبناها بالكفاح والجهد المتواصل، بكل سهولة وكاننا نخلع ملابسنا ، لكننا سرعان مانعود الى ارتدائها مـرة اخرى في الوقت الذى نستيقظ فيه من النوم ، وان يكـون هـذا السلـوك منتجا لاى ضرر او خطر فمن يكون في حالة النوم هو مشلول محكوم عليـه بالعجز ، ولذا فاننا نستطيع بواسطة الحلم وحده ان نفسر الارتداد فـي حياتنا الانفعالية الى احدى المراحل السابقة المتطور(٢١) ٠

وبناء على ذلك فانه يمكن اعتبار الحلم موضوعا للتحليل النفسي ، فهو يمثل ظاهرة للحياة النفسية اثناء النوم ، لانه غالبا مايستيقظ الانسان من النوم بسبب حلم ، وكما انه غالبا مايكون في حلم عندما يستيقظ مـن تلقاء نفسه ٠ ولذا يبدو الحلم وكأنه حاله وسطيه بين النـوم واليقظه ، حيث يمثل استجابة لتنبيه معكر لصفو النوم ، وهي النقطة الوحيدة التـي يتمكن علم النفس التجريبي من تفسيرهـا ، علـى اساس ان الحلـم هـــو ظاهرة نفسية ، لانه لو كان ظاهرة بدنيـة لمـا اثـار مثل هـذا الاهتمام ، ويدلل فرويد على صحة هذا الرأى بالشبه الواضح بيـن حالـة التنويـم

---

٢١ ـ سيجموند فرويد ، افكار لازمنة الحرب والموت ، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة ١٩٧٧ ، ط ١ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ٠

المغناطيسي (الاصطناعي) وحالة النوم الطبيعي التي هي شرط حدوث الحلم قائلا : اننا في حالة النوم الطبيعي نصرف اهتمامنا عن العالم باسره، ونفس التصرف نقوم به في حالة النوم الاصطناعي . لذا فأن الموقف النفسي في كلتا الحالتين متماثل حقا ٠

والذا فانه يرى في نظرية الاحلام المفتاح الاساسي للتحليل النفسي الذى يمثل المدخل الطبيعي للمذهب التحليلي برمته(٢٢) ٠

لذا فأن الذات الدنيا وفقا لتصور فرويد هي العالم الذاتي الحقيقي الذى يحرص على بلوغ اللذه ، ويبتعد عن الالم في الجانب المهم والمنيع

---

٢٢ ـ سيجموند فرويد ، نظرية الاحلام ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٨٠ ، ط ١ ، ص ٦ ، ١١ ، ٢١ ، ١٧ ، ١٧ ، ٢٧ ،

٢٣ ويروى العلامة ابن سينا في مؤلفه الشفاء في معرض كلامه عن الاحساسات العضوية الداخلية وتأثيرها في الاحلام : القوة المتخيله ليس كل محاكاتها الى يكون لما يفيض في النفس في الملكوت ، بل اكثر مايكون ذلك منها انما يكون اذا كانت هذه القوة قد سكتت عن محاكاة امور هي اقرب اليها ، والامور التي هي اقرب اليها منها طبيعيه ومنها ارادية ، فالطبيعية هي التي تكون من ممازجة قوى الاخلاط للروح التي تمتطيها القوة المصورة والمتخيلة ، فانها اول شيء انما تحكيها وتشتغل بها ، وقد تحكي ايضا مايتكون في البدن من اعراض ، مثل ما يكون عندما تتحرك القوة الدافعة للمني الى الدفع ، فان المتخيله حينئذ تحاكي صورا من شأن النفس ان تميل الى مجامعتها ، ومن كان به جوع حيكت له ماكولات ، ومن كان به حاجة الى دفع فضل حكي له موضع ذلك ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

د ٠ محمد عثمان نجاتي ، الادراك الحسي عند بن سينا ، بحث في علم النفس عند العرب ، دار الشروق ، بيروت ـ القاهرة ، ١٩٨٠ ، ط٣ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، وهو يرى بهذا الصدد : ان الدراسات النفسية عند المفكرين المسلمين ظهرت في اوضح صورها واكملها عند العلامة بن سينا الذى يعتبر اول مفكر مسلم اهتم بعلم النفس اهتماما كبيرا لم تجده عند احد من المفكرين قبله ٠

من الشخصية ، الذى يصعب الوصول اليه ، الا ان دراسة الاحلام والامارات العصبية قد يسرت الكشف والتعرف على جانب صغير من هـذه الذات ، ويمكن التعرف على الذات عند قيام الشخص باقتـراف فعـل مايندفـع للقيام به كالقاء صخره من خلال الشباك فهو دون ادنى شك انسان وقـع تحت سيطرة الذات الدنيا عليه ، ونفس الشيء بالنسبة لشخص الـذى لا يحسن استخدام وقته في المواضع النافعة فيقضي الكثيـر منـه في احـلام اليقظه وبناء القصور في الهواء نتيجة خضوعه لتسلط الذات الدنيا(٢٣) ٠

ثانيا : القسم الثاني / الذات ((Ego)) او النفس :

وهو الجانب الواعي الذى ينسجم مع الواقع ، او هو الجانب العاقل من النفس ، ولصلة هذا الجانب المستمرة بالواقع الاجتماعي ، فان واجبه يكمن في تحقيق التكييف بين الميول والنزعات الغريزية البدائية لاسيما الغريزة الجنسية من جهة وبين القيم السائدة في المجتمع من جهة اخرى ٠

وتتمثل وظيفة هذا القسم بالقيام بدور الوسيط بين ميول ونزعات النفس البدائية وبين مقتضيات النظام الاجتماعي التي املتها القيم الدينية والاخلاقية والقانونية ، لذا فان عجز هذا القسـم او عـدم نجاحـه في اداء مهمته يفضي الى انفلات شهوات النفس البدائية بشكل يتعارض مع القيم المذكورة ، او يؤدى الى التسامي بالنشاط الغريزى عند طريق الابقاء عليه مكبوتا فيما وراء الشعور ٠

وبصدد العلاقة بين الذات والذات الدنيا ، يشبه فرويد الذات بالفارس ويشبه الجانب الشهواني من النفس بالجواد الجموح والذى يدفع براكبه

---

٢٣ ـ كالفن ـ س ـ هول ، المرجع السابق ، ص ٢٨ ٠

في اغلب الاحيان الوجهه التي يريدها ، فوظيفة الفارس كبح جماح الفرس لغرض السيطرة عليها والا انساق معها حيث تريد وهذا يعني الاخطار والاهوال(٢٤) .

ويمكن الاعتقاد بان الذات هو تركيب معقد من الانماط النفسيه تعمل في الوسط بين الذات الدنيا والعالم الخارجي ، لذا فأن التكيفات في الوظائف النفسية تساعد الفرد في السيطرة على غرائزه ومحيطه مستخدما الفطنه و الذكاء في هذا الصدد لتحقيق اكبر لذة ممكنه ، فكل فرد يتمتع بقابليات موروثه للتفكير والاستنتاج ، ويتم ممارسة هذه القابليات بالتربية والتعليم وبالتجارب من اجل تعليم الافراد الطريقة التي تمكنهم من التفكير بفاعليه اكبر ، لان شأن التفكير الفعال هو الوصول الى الحيقيقة .

ثالثا ـ القسم الثالث / الذات العليا ((Super ego))

وتشمل الذات المثالية او الضمير وهو الجانب المثالي من النفس ، حيث تكمن فيه المبادىء السامية التي اكتسبها الطفل من والديه ومعلميه ومن القيم الدينية والاخلاقية والاجتماعية ، وهو مصدر قوة رادعة للشهوات ومنه يستمد العقل القوه اللازمة لضبط النزعات والغرائز وابدائية .

فوظيفة الضمير مراقبة العقل في اداء واجبات وظيفته ومحاسبته عن اى اخلال في توجيهه النزعات الفطرية ، وصولا الى الاشباع المتزن لهذه

---

٢٤ ـ والتشبيه الذى اورده فرويد ليس بغريب علينا ، فمن امثلة العرب المعروفة قولهم ((ان فلانا قوى الشكيمة)) اى انه قادر على حكم نفسه او قولهم ((ان فلانا لم يقوا على كبح جماح نفسه)) اى تغلبت عليه شهوات نفسه ، المستشار محمد فتحي ، المرجع السابق ص ٩٤ ، استاذنا المرحوم عبد الجبار عريم ، نظريات علم الاجرام ، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٧٣ ، الطبعة السادسة ، ص ١٨ ص ١٨١ .

النزعات بطريقة مشروعة وطبقا للقيم السائدة في المجتمع .

وتنقسم الذات العليا الى قسمين :

أ ـ الذات المثالية : التي تطابق افكاره وانطباعاته لما يعتبره والديه اخلاقيا وجيدا ، ويقوم الوالدين بايصال قيمها ومثلهما في الطهارة والنقاوه الى طفلهما من خلال تشجيعه للسلوك بحسب تلك القيم والمثل ، فالطفل الذى يكافىء ويشجع لنظافته واناقته . فان هذه النظافة والاناقة تصبح اخيرا من الاعمال المثالية بالنسبة له .

ب ـ الضمير : الذى يقابل تصورات الطفل واحاسيسه الامر الذى يعتبره والداه رديء واثم .وتتبلور هذه الصور لدى الطفل من خلال الجزاء الذى يتعرض له ، فاذا ما نال عقابا لقذارته ولعدم اهتمامه بمظهره فأن هذه القذارة تصبح بالنسبة اليه من الاعمال الرديئة والممقوته .

لهذا يمكن القول ان الذات المثالية والضمير هما جانبان مضادان لزاوية اخلاقية واحدة . فالذات العليا تمثل في الشخصية معاني القيم التقليدية ومثل المجتمع كما يتلقاها الاطفال من والديهم ، ونتيجة لهذا الترابط ينبغي الاعتقاد بان الذات العليا للطفل ليست انعكاسا لتحكم الوالدين وانما تمثل انعكاسا للذات العليا لهؤلاء الوالدين . وبالاضافة الى الوالدين فهناك من يمثلهم في نظر الطفل على مدى مراحل حياته المختلفة ويكونون المثل الاعلى له ، كالمربين والمعلمين ورجال الدين والاداريين فان جميع هذه السلطات تساهم في تكوين الذات العليا للطفل(٢٥) .

---

٢٥ ـ كالفن ـ س ـ هول ، المرجع السابق ص ٣٣ و ٣٦ ، المستشار محمد المرجع السابق ص ٩٤ ، ٩٥ ، وانظر بهذا المعنى المراجع التالية التي تعرضت لموضوع تقسيم فرويد الشخصية . الدكتور اكرم نشأت ابراهيم علم النفس الجنائي ، مطبعة المعارف بغداد ٩٦٨ ، ط ٤ ص ـ

الفـــرع الثانـــي

اثـر الخلـل النفســي فـي السـلوك الاجرامي

اذا امكن القول ان الذات الدنيا هي نتاج التطور ، وانها المثل النفسي للهبه البايولوجية للمفرد ، فان الذات هي حصيلة التفاعل بين الفرد وبيـن الواقع الموضوعي المختص والعمليات العقلية العليا ، بينمـا تمثـل الذات العليا نتاج التقاليد الحضارية وترمز لعجلة الحياة المتطورة واسماء الذات الدنيا والذات العليا لاتعني شيئا بذاتها بل انها تمثل طريق مختصر لتنظيم انماط مختلفة تحقق من خلال الشخصية الانسانية ككل ٠

فالذات تكونت خارج الذات الدنيا وتكونت الذات العليا خارج آلذات وان هذه الاقسام الثلاث تتفاعل مع بعضها وتستمر بالتفاعل حتى تتآلـف وتندمج جميعا في جهد موحد لتحقيق الاتزان الداخلي الذى يكون من سمات الشخص الاعتيادى ٠

الا ان هذا التآلف لا يتحقق بسهولة ، فقد ينجم عن هذا التفاعل حالة من عدم التوافق او عدم الانسجام بين هذه الاقسام مما يؤدى بالفرد الـى ارتكاب سلوك مخالف لنظام المجتمع وقيمـة السائـدة يتمثـل في السلـوك الاجـــرامي ٠

---

٤٨ ـ ٨٧ استاذنا المرحوم عبد الجبار عريـم ، المرجـع السابـق ص ١٧٨ ـ ١٨٢ ، د رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٧ ٠ ط ٤ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ، د فوزية عبد الستار ، مبادى علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٤٤ ، د عبد الفتاح الصيفي ، المرجع السابق ص ٨٧ ـ ٩٨ ، د عبد الفتاح الصيفي و د محمد زكي ابـو عامر ، علـم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ٠

اما بصدد التحليل النفسي فقد تكلم عنه فرويد على اساس ان نظرية للشخصية ، حيث قام بتحديده استنادا على انه ((فكره ديناميكية ، تأخذ بالحياة العقلية الى التفاعل المتبادل بين الدفع والردع للقوى)) (٢٦) فالذات الدنيا تمتلك قوة دافعة في حين تمتلك القوى الرادعة كل من الذات والذات العليا ، اللتان يتم خروجهما لسبب واحد ، هو ضرورة منع الافعال الشريرة للذات الدنيا ، وفي الوقت الذى تتخذ فيه كل من الذات والذات العليا الاجراءات لضبط الذات الدنيا . فانهما تمتلكان قواهن الدافعة كذلك .

وعلى الرغم من ان الصراعات النفسية عديدة ويتعذر حصرها ، لانها تتحقق بعدد ما يحصل من مرات تتصارع فيها القوى الدافعة مع القوى الى ادعة ، الا انه يمكن ان تصنف مع احد المجموعتين الاتيتين : ـ

الاولى : والتي يكون فيها الصراع بين الذات الدنيا والذات .

ثانية : التي يكون فيها الصراع بين الذات والذات العليا .

اى انه ليس هناك صراع مباشر بين الذات والذات العليا لانه يكون على الدوام مقترنا بتداخل الذات بينهما ، ويتحقق هذا الصراع وفق المعادلات الاتية :

الذات الدنيا ضد الذات

الذات العليا ضد الذات

الذات الدنيا + الذات : ضد الذات العليا

الذات العليا + الذات : ضد الذات الدنيا

---

٢٦ ـ كالفن ـ س ـ هول ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

اى ان كل من الذات والذات العليا يحاول ان يجر الذات لصالحهـا لتحقيق اغراضها الخاصة . ومن شأن اى تناحر بسيط قـد يحصـل بيـن الذات الدنيا والذات ان يتطور الى صراع كبير اكثر تعقيدا من ذى قبـل متى ما تدخلت الذات العليا وضمت قواها بجانب احداها ضد الاخـرى . لهذا تعد الذات هي بداية واساس كل صراع . والذى تكون نتيجته مؤثره تأثيرا بالغا في نمو الشخصية(٢٧) .

لذا فأن السلوك الاجرامي وفقا لرأى فرويد يتحقق اما : نتيجـــة عجز الجانب العقلاني (الذات) عن تحقيق الانسجام او التوافـق بيـن النزعات والميول الفطرية الغريزية وبين النظام الاجتماعي والقيم السائدة فيه (الواقع الاجتماعي) ، وأما نتيجة انعدام الجانب المثالي اى العجز عن ممارسة وظيفته في الرقابة والردع من اجل الوصول الى تحقيق المتطلبـات المشروعة للجانب الشهواني من النفس دون الاخلال بالواقع الاجتماعـي . وتؤدى حالتي العجز المذكورتين الى ارتكاب الجريمة ، نتيجة عدم مراعـاة الضوابط الاجتماعية المذكورة ، وتقع هذه الجرائم اما عن طريق انفلات الغرائـز والميـول الشهوانيـة ، واما عـن طريـق العقـد النفسيـــة التي تكبت في الجانب اللاشعورى(٢٨) من العقل وتقوم بتوجيه سلوك الانســان وجهة اجرامية دوى اى وعي او ادراك منه .

كما قد تجرف الذات الدنيا بتيارها الشديد الذات ، مما تجعل هـــذه الاخيره خاضعة لسلطان الذات الدنيا ومن ثم تعمل على تسخيرهـا لتنفيـذ

---

٢٧ ـ كالفن ـ س . ـ هول المرجع السابق ص ٣٧ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ .

٢٨ ـ د . حسين ابراهيم صالح عبيد ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب، القاهرة ٩٧٨ ، ص ٤١ ، عبد الجبار عريم ، المرجع السابق ص ١٨٦ ، د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٤٤ و ٤٥ ، د . يسر انور ود . امال عثمان ، الوجيز في علم الاجـرام وعلـم العقـاب ، القاهـرة ١٩٧٧ ، ص ١٤٨ .

رغباتها وميولها ونزعاتها الطائشة دون الالتفات لارشادات الذات العليا وتوجيهاتها ودون اى مراعاة للقيم الاجتماعية ، مما ينتج عنه ممارسة اعمال وتصرفات غير اجتماعية تحقق اغلبها الجرائم(٢٩) ٠

اما الشخص الاعتيادى ذو السلوك الاجتماعي المتزن ، فهو الذى تتفاعل جوانب كيانه النفسي مع بعضها تفاعلا طبيعيا مثمرا يؤدى الى التوافق والتآلف ومن ثم تندمج جميع هذه الجوانب في السير باتجاه واحد هدفه تحقيق التوازن في شخصية الشخص المذكور(٣٠) ٠

---

٢٩ ـ د ٠ اكرم نشأة ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ٨٨ ٠

٣٠ ـ د ٠ رؤوف عبيد ، المرجع السابق ص ١٢٤ ، وبهذا الصدد يجمع عدة باحثين متباينين في اتجاهاتهم النظرية من بينهم غازون والج وجبيزيل والمحللين النفسيين الفرويديين ، على ان بلوغ الطفل السنة الخامسة من عمره يمثل مرحلة جديدة من مراحل ارتقائه الاجتماعي تفوق المراحل السابقة سعة وعمقا فمن حيث السعة تكون مجالات نشاطه الاجتماعي اكثر اتساعا لتشمل جماعات اللعب مع الاطفال المماثلين له اضافة لاسرته واما من حيث العمق فتكشف للطفل اعماق وجدانية وعالم باطني من خلال الصراعات الانفعالية العميقة التي يتعرض لها ، ولهذا فان من نتيجة هذه المرحلة اقتراب الطفل من نموذج الشخصية الراشدة القادرة على التكامل الاجتماعي والمتجهه اليه وعلى حد قول العالم جيزيل (ان الطفل في الخامسة من عمره يكاد يكون سيره مصغره للراشد الذى سيكونه فيما بعد) د ٠ مصطفى سويف ، الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط ٣ ، ص ١٩٤ ٠

الفـــرع الثالـــث

اثـــر العقـــد النفسيـــه في السلوك الاجرامي

تناولنا في الفـرع السابـق ارتباط تحليـل فرويـد للنفس بتفسيره للسلوك الاجرامي ، وتطبيقا لهذا التحليل يورد فرويد امثلة لما يتعرض له الكيان النفسي من خلل واضطراب نتيجة العجز الوظيفي لقسمي (العقــل و (الضمير) عن اداء المهام المنوطه بهما ، وتبدو اهم هذه الامثلة في عقـدة او ديب وعقدة الذنب .

اولا

عقـــدة او ديـــب

يفسر فرويد كل العلاقات العاطفية بالازدواج . اى وجود مشاعر الحب والكراهيه تجاه الشيء الواحد في نفس الوقت، وقد عمم فرويد هذا التفسير على جميع الافراد ، وعقدة او ديب هذه هي عقدة نفسية تظهر بوادرهـــا عند الطفل بعد اجتيازه مرحلة الجنسية الذاتية وبلوغه السادسة من عمـره حيث يمر بموقف نفسي حرج ، اطلق عليه (موقف او ديب) حيث تتحـول الميول والرغبات الجنسية التي كانت مرتبطة بذات الطفـل الى اول كائـــن خارجي يؤثر فيه عادة ، وبالطبع فهو الام ؛ فيحرص على ان لا يشاركه احد في حبها وان تبقى خالصه له ، ولكن هذه الامنية تصطدم بعقبة كبيرة هـي وجود الاب ، فيشعر هذا الطفل ان ابيه ينافسه في حب امه ، ويسبب هـذا الشعور نوع من الغيره والانانية لذلك يبدأ بكراهيته وعدم الشعور بالراحة عند وجوده ، وتثور لديه رغبة شديدة في التخلص منه ؛ الا ان هذه الرغبـه تصطدم في نفس الطفل بنزعة اخرى تعترضها وتسير باتجاه معاكس لهـا

وهو شعور الطفل بحب ابيه ، فهو الذى يحميه ويحبه ويحيطه بالرعاية والحنان ، ولهذا السبب ينشأ في نفس الطفل صراع بين نوعين متناقضين من الرغبات التي تحمل المشاعر تجاه الاب ، الاولى تمثل مشاعر الكراهية وتمثل الثانية مشاعر الحب ، فان لم يقم قسم العقل (الذات) عند الطفل بممارسة مهامه في تكييف هذا الازدواج من المشاعر العاطفية بما يتفق مع الواقع الاجتماعي بمكوناته الدينية والاخلاقية والقانونية وذلك بتغليب شعور الحب نحو الاب ومن ثم التخلص من الاثار السيئة لهذا الشعور فمعنى ذلك ان الشعور بكراهية الاب ستزداد يوما بعد يوم مما يؤدى الى شعوره بعقده نفسيه خطيره تستقر في جانب اللاشعور من عقل هذا الطفل تسمى عقدة اوديب (٣١) ٠

ولهذه العقدة اثار سيئه تنعكس على سلوك المصاب بها حيث :

١ ـ يتعرض الابن للقلق وعدم الاستقرار بسبب غيرته الشديدة من ابيه فيفقد القدرة على تكوين التوازن النفسي والتكييف الاجتماعي وبالتالي يعجز عن اتيان السلوك المعتاد فيأتي سلوكه بشكل شاذ ٠

٢ ـ ان البغض اللاشعورى للاب ، يولد في نفس الابن شعور بالكراهيه لمثل كل سلطه ، فيكره المربي في الدار والمعلم في المدرسة والمدير في الدائرة ورب كل عمل ويميل الى انتهاك القوانين والانظمة المرعية رسمية كانت ام غير رسمية عن طريق ارتكاب الاعمال او القيام بانماط سلوكية يعاقب عليها

---

٣١ ـ د اكرم نشأت ابراهيم ، المرجع السابق ص ٩٢ ، ٩٣ د ٠ حسنين صالح عبيد ، المرجع السابق ص ٤٢ د ٠ عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، القاهرة ٩٧٤ ،ص ٧٠ داحمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة ٧٦ ص ٣٣٧ وهويرى بهذا الصدد (ان هذه المرحلة عادية في هذه الفترة ويجب على الوالدين الايظهر تعلقهما بالاخر امام الاطفال وان كان لابد من هذا الانفعال فيجب ان يشارك الاطفال في هذا الوجدان) ٠

القانون بوصفها جرائم او تحرمها القيم الاخلاقيـة فيثيـر نقمـة المجتمـع بوصفه سلطه ادبية يتولى حماية هذه القيم ٠

٣ ـ اما حب الابن المفرط لامه فيعوض له عن الرغبة في الزواج لان هذا الحب يحقق له اشباعا لرغباته بصورة رمزية فيعرض عن الزواج نهائـيا اما اذا وجد نفسه مضطرا للزواج فانه يفضل ان يختار زوجه اكبر منه سنا لكي يجد فيها تعويضا عن امه ، كما ان مـن شـأن الافراط في حب امـه ان يتعرض الصدمة العنيفة عند وفاتها اذ قد تسبب له انهيارا نفسيا(٣٢) ٠

ثانيـــا

عقـــدة الذنـب

وتتحقق هذه العقدة النفسية ، عندما يسيطر على الانسان شعـور بالذنب والتقصير ، بسبب مغالاة الجانب المثالـي (الضميـر) في معاملـة الجانب الشعورى (الذات) نتيجة سيطرة استبدادية ، وتنشأ هـذه العقـدة على الاغلب في المراحل الاولى من حياة الانسان ، حيـث يقـوم بحكـم هذه المرحلة بتصرفات غير معقولة ، (وهو امر طبيعي مألوف بالنسبـة لمرحلـة الطفولة) فاذا ما غالى الوالدن في توبيخ الطفل وتوجيه العقوبـة القاسيـة له سواء اتم ذلك عن طريق الضرب او الكلمات التابيه من اجل اشعاره بحجم الذنب ، على الرغم من ان الاخطاء التي ارتكبها هي تافهه وبسيطة ، فـأن من شأن هذا التصرف الخاطىء من جانب الوالدين ان يسبب خللا كبيرا في الجانب المثالي للطفل حيث يكون قاسيـا في محاسبتـه وصارمـا في رقابتـه وتوجيهه ، بحيث انه يجعل ابسط الهفوات والاخطاء في نظـر هذا الطفل خطايا كبيرة يستحق من اجلها العقاب الشديد ، وبهذا الصدد يرى الاستاذ

---

٣٢ ـ د ٣٢ ـ د ٠ اكرم نشأت ابراهيم ، المرجع السابق ص ٩٣ ، ٩٤ ٠

جونس ان الذات العليا يجب ان تتصف منذ مرحلة الطفولة بالصبر والاناة والتعقل وان توجه بكل عناية وحكمة درءا لما قد ينشأ عن معاملتها بالقسوة والعنف من نتائج خطيره ، لانه من الحقائق المسلم بها ان هذا الجانب من نفس الطفل يكون قوى المظهر في هذا الدور من حياة الانسان بشكل يصبح معه جعل الهفوات البسيطة والبريئه جرما كبيرا في نظر هذا الطفل ، وبالتالي يستأثر هذا الشعور بالخطيئه بعقل الصغير ويسيطر على ملكاته ، لذا فأن الكشف عن علة هذا الشعور المرضي تعد في نظر علماء التحليل النفسي من اخطر الخطوات شأنا في سبيل الوصول الى شفاء المصاب ، ولهذا يرى فرويد ان : (شدة الشعور بالخطيئه قد يكون من اقوى البواعث على الاجرام لا نتيجة ارتكاب الجرم ذاته)) (٣٣) ٠

ويضاف الى ماتقدم فأن هذه العقدة قد تصيب الفرد من جانب اخر حيث تبدو بوادرها في شعور بالاضطراب النفسي نتيجة غياب الذات العليا او ضعفها في فترة من الفترات فيؤدى بهذا الفرد الى التكاب سلوك شاذ غير مألوف ، لم يصل الى حد تحقيق الجريمة ، ثم يستعيد بعد ذلك الضمير الضمير (الذات العليا) قدرته على التوجيه ورقابة وارشاد العقل (الذات) وهنا تنشأ عقدة الشعور بالذنب والخطيئة لديه ، وذلك بسبب الشعور الذى يتولد لدى هذا الفرد نتيجة تقصير او عجز الذات العليا من السيطرة على اتزانه النفسي في الفترة المذكورة(٣٤) ٠

---

٣٣ ــ المستشار محمد فتحي ، المرجع السابق ص ٩٦ و ٩٨ ٠

٣٤ ــ د ٠ مأمون محمد سلامه اصول علم الاجرام ، القاهرة ٩٦٧ ص ١٧٦ ، د ٠ فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٤٦ ٠

وان هذا الشعور يلح على صاحبه بالتأنيب المستمر ولايستطيع ان يتخلص منه او ان يخفف من تأثيره الا اذا عرض نفسه للمتاعب والمشكلات التي لايصيبه منها الا التعب والشقاء والالم بل قد يذهب الى ابعد من ذلك حين يتورط بارتكاب الجرائم ليثير نقمة وعدوان المجتمع عليه ، ولا تهدا نفسه الا اذا نال الجزاء المناسب الذى يتلائم وجسامة هذه الجرائم(٣٥) .

المطلب الثاني

(تقييم تفسير فرويد للسلوك الاجرامي)

يمثل هذا الفصل محاولة لوضع تفسير فرويد للسلوك الاجرامي في ميزان النقد العلمي ، مستشهدا من اجل ذلك باراء كبار العلماء والمختصين في هذا الميدان ، الذين لاتنقصهم الوسائل والقدرات التجريبية فاثبتوا من خلال تقييمهم لهذا التفسير خطأ كثير من الافكار والنتائج التي انتهى اليها فرويد في نظريته ، الا ان هذا لايعني ان تحليله هذا جاء خلوا من الاراء المفيدة في هذا الصدد . وهذا مايملي علينا ان نقسم هذا المطلب الى فرعين ، نبين في اولهما مزايا هذا التفسير ونخصص ثانيهما لعرض اهم الانتقادات الموجهه اليه .

---

٣٥ ـ د . اكرم نشأت ابراهيم ، المرجع السابق ص ٩٧ ، ويرى فرويد في هذا الصدد انه ينبغي ان يتصور المحلل في نفسه فكرة عن نشأة الشعور بالخطيئه او التقصير تختلف عما يتصوره علماء النفس من ناحية اخرى ، الا ان المحلل ذاته لايتمكن من استجلاء هذه النشأة ايضا ، لاننا لو تسألنا كيف نتمكن من تلمس هذا الشعور لكان الجواب بشكل يتعذر رده : ان الفرد يعلم انه مذنب فاذا اتى امرا يعتبره ((شرا)) وعندئذ تلاحظ مدى تفاهة هذا الجواب ، انظر سيغموند فرويد ، عسر الحضارة ، ترجمة عادل العوا ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ٩٧٥ ، ص ١١١ .

الفـــــرع الاول

(مزايـــا نظريـــة فرويـــد)

ما من شك في ان فرويد كان يتمتـع بقـدرة وقابليـة علـى البحث والتحليل والاستنتاج ، اضافة الى اتصافه بالذكاء المفرط والذى دلت عليه براعته الفائقه في عرض الافكار والنتائج التي توصل اليها بفضل استخدامه المنهج العلمي التجريبي . حيث كان لهذه الاراء اكبر الاثر في نفس الكثير من العلماء والباحثين فالتزموا بها وايدوها ودافعوا عنها بكل ما اوتوا من قوه عندما تتعرض للنقد من قبل معارضيها ٠

ونظرا لان هذه النظرية تناولت بالدراسة والبحث جانب مهم من جوانب شخصية الانسان وهو الجانب النفسي ،فقد اكتسبت اهمية كبيرة لانها لفتت الانظار الى ضرورة اعطاء هذا الجانب مايستحقه من الاهمية من خلال العرض الذى تضمنته نظرية التحليل النفسي ، خاصة عند قيامها بتحليل الجانب اللاشعورى ـوحرصها على ابراز اهمية الغرائز الفطرية واثرها في السلوك الاجرامي وعلى الاخص الغريزه الجنسية ٠

وفرويد لم يكن مجرد طبيب رغم حصوله على شهادة الدكتوراه في الطب وكما لم يكن مجرد عالم تجريبي فلكن مما لاريب فيه ان لثقافتـه الطبيـــة والعلمية دور كبير جعلته ان يكون من اكبر الاطباء المختصين في الامـــراض العصبية ويبدوان هناك جملة اسباب وعوامل دفعـت فرويـد للاهتمـــام بالتحليل النفسي مما حدى بالبعض و(٣٦) الى القول بـأن مبتكر التحليـــل

---

٣٦ ٠د٠ مصطفى فهمي ،المرجع السابق ص ٢٩١،٢٩٢ الاستاذ دحام الكيال في مقدمة الطبعة الاولى من كتاب مبادىء علم النفس الفرويدى المرجع السابق ص ٢، الاانه بالرجوع الى المحاضرات التي القاها الاستاذ فرويد تحت عنوان مدخل الى التحليل النفسي ،لم يذكر ما يؤيد صحةهذا الراءى بل العكس انه ذكر مايدل على ان هذا العلم معروف قبلة بقوله (٠٠ على انه لامناص لي

النفسي هو فرويد بعد ان اكسب خبرة واسعة خلال مدة خدمته التي قدم فيها العلاج النفسي للمرضى المصابين وخاصة المرضى المصابين بالهستريا وقد عمد فرويد الى تحديد منهجه في التحليل النفسي وفق الاتي :

اولا٠ ان التحليل النفسي منهج للبحث في العمليات النفسية التي تكاد تستعصي على اى منهج اخر

ثانيا ٠ان التحليل النفسي فن لعلاج الاضطرابات العصابية (النفسية) يقوم منهج البحث المذكور ٠

ثالثا ٠ ان التحليل النفسي يتضمن مجموعة من المعارف النفسية يتاءلف نظام علمي جديد (٣٧) ٠

كما اهتم فرويد ببحث وظائف الشخصية العادية المتزنة التي تختلف عن الشخصية الشاذة ثم حرص على بعض الاختلافات النفسية بحثا مستفيضا كالقلق والانفعال، اضافة الى ايضاح مفهوم الغرائز والشعور واللاشعور والنوافع الفطرية(٣٨) ، ووضعه حجر الاساس في البحث لدراسة الاحلام وتفسيرها وبيان اثرها في السلوك ٠(٣٩)٠

ولذا فان المزايا التي اشرنا اليها بهذا الصدد ينبغي ان تنصب على الجهود الكبيرة التي بذلها فرويد من اجل ايضاح واظهار الاتجاه النفسي

من الافتراض باءنكم تعرفون ان التحليل النفسي طريقة في المعالجة الطبية للاشخاص المصابين بامراض عصبية) راجع في تفضيل ذلك سيغموند فرويد مدخل الى التحليل النفسي المرجع السابق ص٧ وما بعدها ٠

٣٧ ٠ د ٠ مصطفى فهمي ٠ المرجع السابق ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ٠

٣٨ ٠ كالفن ــ س ــ هول المرجع السابق ص ٢ ، ٦ ٠

٣٩ ٠ المستشار محمد فتحي ،المرجع السابق ص٢٠٤

في التفسير العلمي للظاهرة الاجرامية ، دون ان تشمل الاستنتاجات التي توصل اليها من خلال عرض هذه النظرية اذ فرويد يعتبر اول من لفت الانظار الى اهمية البحث عن عوامل الجريمة في شخصية المجرم من الناحية النفسية ، عن طريق دراسة نفسية هذا المجرم دراسة علمية مستفيضه وتحليل كيانه النفسي تحليلا كاملا ، وصولا الى العوامل الحقيقية للجريمة نتيجة الربط بين تحليله المكيان النفسي للمجرم وما يتعرض له هذا الجهاز من خلل واضطرابات وتحديد العقد النفسية المكبوتة في اعماقه ، وبين ما تسببه هذه الاختلالات والعقد من اثار في السلوك الاجرامي ٠

الفرع الثاني

نقد النظرية الفرويدية

تعرضت نظرية فرويد في تفسيرها للسلوك الاجرامي الى انتقادات كثيره انصب بعضها على المنهج الذى استخدمه فرويد في نظريته ، واستهدف البعض الاخر مضمون هذه النظرية وسنخصص القسمين الاتيين لعرض اهم اوجه النقد هذه :

القسم الأول : نقد منهج النظرية الفرويدية

القسم الثاني : نقد مضمون النظرية الفرويدية

القســـم الاول

(نقـد منهـج النظريـــة الفرويديـــة)

أ ـ اكتفى فرويد بالاعتماد على نتائج ابحاثـه التحليليـة في تفسيره للسلوك الاجرامي في حين ان نطاق هذه الابحاث قاصر بطبيعته عن ذلـك وقد اوضح الاستاذان لويس التاسير وجورج كانغيليم(٤٠) بهذا الصدد :

ان فرويد قد اضطر لمعالجة اكتشافاته وممارساتـه بمجموعـة مـن التصورات الفلسفية المستوردة استعارها من علوم متنوعة تميزت بالابـداع في عصره اثرت تأثيرا كبيرا على تطوره العقلي وفي تحديد نمطه الفكرى ، وهو الذى يفسر لنا بوضوح عجزه عن التمييز بين خواص المـادة والـذات البشرية بصورة مضبوطه ودقيقة ، لان معرفـة خصائص المـادة وتركيبهـا

---

٤٠ ـ لويس التاسير وجـورج ، دراسات لانسانيـة ، ترجمة د ٠ سهيـل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشـر والتوزيـع ١٩٨١ ط ١ ، ص ٤٧ ، وللحيقة فقد ترعرعت بالفعل علوم الحياة في المنصف الثانـي من القرن التاسع عشر ، حيث وضع حجر الاساس لعلم البكتريا بجهود العالمين لويس باستور وروبرت كوخ وتم اكتشاف علم الوراثة بفضـل العالم كريكور مندل ، اضافة الى تطور علوم الفيزيـاء حيـث اكتشف العالم هرمان فون هلمهولتز القاعدة الاساسية لحفظ الطاقة ، هـي ان الطاقة لاتفنى ولكن يمكن ان تحول ، وقد ادى هـذا المبـدا الفيزياوي (تحويل الطاقة) الى تحقق اكتشافات انيه متتابعة هي الديناميك والقوى المحركة وقد تحقق العصر الذهبي للطاقة باكتشاف النظرية النسبية من قبل العالم انشتاين ، وبفضل الجهود القيمة الذى بذلها كبار العلمـاء في الفيزياء الحديثة باكتشافاتهم المتعلقـة باسرار الطاقـة واهمهـم : جيمس ماكسويل وجوزيف تومسن وماري ومدام كوري وجيمس جوليه ، واللورد كلفن وروداف كلوس وديمتري مندليف : انظـر في تفصيـل ذلك ، كالفن ـ س ١ هول المرجع السابق ص ١١ ، ١٢ ٠

وان ادت الى تمكين الانسان من التحكم في كل شيء فوق سطح الارض(٤١)
الا انها لاتملك مثل هذه الصلاحية لاكتشاف اسرار الانسان والتحكم فـــي
ذاتـــه .

وقد ذهب العالم الفرنسي الكيسيس كاريـل(٤٢) في معرض تعليقـة
على الخلط الذى وقع فيه فرويد بين خواص المادة والذات البشرية بقوله :
ان الواجب يقتضينا ان نحول اهتمامات البشرية من عالم الجماد والالات الى
جسم الانسان وروحه ، وصولا الى تكوين العمليات العقلية والعضوية التي
من ثمرتها تكوين العلماء واختـراع الالات ، ويضيف بعد ذلـك موضحـا :
((فكثيرا ما اعتقد العلماء الذين اصابوا نجاحا بعيد المدى في فرع معين من
فروع العلم وبرزوا باختراعاتهم الفذه ، ان معلوماتهم الممتازة في هذا الفرع
تمتد الى باقي فروع العلم ... وهكذا فان العظماء حينما يتكلمـون فـي
شئون لا يلمون بها الماما كافيا يعيقون تقدم البشرية في احد حقوله في حين
انهم يساهمون في هذا التقدم ولكن في حقل اخر(٤٣) لينتهي من ذلك الـى
القول انه ((من الواضح طبعا انه لا يوجد عالم يستطيع ان يتحكم ويتفـوق

---

٤١ ـ وحيد الدين خان ، الدين في مواجهة العلم ، ترجمة ظفر الاسلام خان
ومراجعة عبد الحليم عويس ، القاهرة ٩٧٤ ، ط ٣ ص ٤٧ .

٤٢ ـ ولد الدكتور الكسيس كاريل بالقرب من ليون بفرنسا سنة ١٨٧٣ ،
وحصل على اجازة الطب كما حصل على اجازة في العلوم ، ومارس التدريس
لعدة سنوات في ليون . وفي سنة ١٩٠٥ سافر الى الولايات المتحدة الامريكية
حيث عمل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية لمدة ثلاثين سنة ، ثـم
عاد الى فرنسا سنة ٩٣٩ وقد منح جائز نوبل للسلام سنة ٩١٢ لابحاثه
الطبية القيمة ، لديه عدة مؤلفات اشهرها كتابة (الانسان ذلك المجهول)
والذى اعيد طبعه عدة مرات لاهميته ، وتوفى في باريس سنة ١٩٤٤ .

٤٣ ـ الكيسيس كاريل ، الانسان ذلك المجهول ، ترجمة عادل شفيق ، الهيئه
العامة للكتاب القاهرة بيروت ٩٧٣ ، ص ٤٣ ، ٩ .
الكيسيس كاريل المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

في جميع الفنون التي لا غنى عنها لدراسة مشكلة واحدة من مشكلات الانسان ومن ثم فان تقدمنا في معرفة انفسنا يحتاج الى جهود مختلف الاخصائيين في وقت واحد بشرط ان يقصر كل اخصائي جهوده على جزء واحد من الجسم والشعور او علاقة احدهما بانبيئه . . ذلك لانه من المستحيل ان يفهم العالم الاخصائي الانسان ككل مادام انه غارقا الى اذنيه في دراساته الخاصة ، تلك الدراسات التي تصرفه عما عداها في حين ان دراسة الانسان التي بينا اهميتها لايمكن ان تتم والحاله هذه كما هي الان . . ومع ذلك فان الامر لايخلو من خطورة(٤٤) .

ونحن نرجح هذا الرأى ، اذ ان الانسان عالم قائم بذاته كما اسلفنا ، عجز عن معرفة حقيقة نفسه ، ولعظمة النفس البشرية وما فيها من عمق الاغوار وبعد الاسرار فقد حض البارى عز وجل كل انسان على تدبر كنه نفسه اذ قال ((وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون))(٤٥) قال المفسرون ((هذا الكوكب الذى نعيش عليه معرض هائل لايات الله وعجائب صنعته ، ومعرض لم يظهر منه حتى اللحظة الا القليل من بدائعه ونحن نكشف في كل يوم جديدا منه ، ونطلع منه على جديد . تلك التي تنطوى فيها اسرار هذا الوجود كله ، لا اسرار الكوكب الارضي وحده ، والى هذين المعرضين الهائلين تشير الايتان تلك الاشارة المختصرة التي تفتح هذه المعرضين على مصاريعهما لمن يريد ان يبصر ولمن يريد ان يستيقن ، وهذا المخلوق الانساني هو العجيبة الكبرى في هذه الارض . ولكنه يغفل عن قيمته وعن اسراه الكامنة في كيانه، انه عجيبة في تكوينه الجسماني، وفي اسرار هذا الجسد ، عجيبة في تكوينه الروحي ، في اسرار هذا النفس ،

---

٤٤ ــ الكيسيس كاريل المرجع السابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ .
٤٥ ــ سورة الداريات ، الايتان ٢٠ و ٢١ .

وهو عجيبة في ظاهرة وعجيبة في باطنه لذا يمكن القول ان الانسان يمثل عناصر هذا الكون واسراره وخفاياه » .

فالانسان المعاصر يستطيع تفجير الذرة ، ويقتحم مجاهل الفضاء ويتجول في طبقاته ، ويكتشف مكنون الارض واعماق البحار والمحيطات ويمكنه التوصل الى كل مجهول في هذا الكون ، فهل ان هذه الوقائع الحقيقية عاجزه على ان تبرهن لنا ان الانسان يمتلك القابلية والمقدرة على اكتشاف ذاته وتشخيص الخلل الحاصل فيه وصولا الى اصلاحه ورعاية احواله الذاتية الداخلية ، الا انه رغم هذا التفائل فأن الحقائق القائمة تشير ألى انه لايمكن الوصول الى اسرار الانسان بالسهولة التي تم اكتشاف خواص المادة(٤٦) .

ب ـ ان كيان الانسان اكثر تعقيدا واعمق تركيبا مما تصوره فرويد وقد ادرك اتباعه قبل خصومه هذا التطور الخاطيء وحاولوا تداركه عن طريق معالجة اوجه النقص والقصور فيه ، الا انه رغم تلك المحاولات بقي تصور فرويد قاصرا من هذا الجانب ويسوده طابع الافتراض المتسرع(٤٧) مما دفع البعض(٤٨) الى وصف تحليله هذا بالسذاجه ، لان الانسان ليس بهذه الصورة التي تصورها فرويد ، فهو غاية في التعقيد وانه ككل لايقبل التجزأة او التقسيم ، ومن الصعوبة بمكان ان نحصل على عرض بسيط لكيانه ، فليست هناك وسيلة لادارك الذات الكاملة للانسان او فهم علاقة اجزاء جسمه بالعالم الخارجي ، واذا اردنا تحليل النفس الانسانية تحليلا

---

٤٦ ـ وحيد الدين خان ، المرجع السابق ص ٥٠ و د . عبد الغني عبود ، الانسان في الاسلام . والانسان المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧١ .

٤٧ ـ د . رؤوف عبيد ، المرجع السابق ص ٣١١ .

٤٨ ـ الكيس كاريل ، المرجع السابق ص ١٢ ، ١٣ .

كاملا فلابد من الاستعانة بمجموعة من العلوم والفنون المختلفة ، رغم قناعتنا بان جميع هذه العلوم ستصل في النهاية الى رأى مختلف في غايتها المشتركة ، فهي لاتستطيع ان تفهم الا ما تمكنها وسائلها الخاصة من الوصول اليه ، فالانسان هو ابعد مايكون عن الجماد ، لانه موضع امال الانسانية ومحط افكارها ، ولا شك في ان الانسانية بذلت جهودا مضنية للوصول الى حقيقتها الذاتية ، ورغم هذه الجهود فأننا لم نفهم الانسان فهما كليا . وتبقى الحقيقة المرة وهي ان جهلنا بانفسنا مازال مطبقا(٤٩) .

ان كل ما تقدم ذكره قد اسس على فرض جدلي لصالح النظرية مفاده: ان دراسة شخصية الانسان تكفي لتحديد العوامل الكامنة وراء انماط سلوكه، فاذا اتضح ان مثل هذا الفرض غير مقبول من قبل غالبية علماء الاجرام الان فانه يصبح واضحا لدينا لماذا قال هؤلاء العلماء ان نظرية فرويد تقدمت في تحليل النفس الانسانية خطوه الى الامام ، ولكنها في الوقت ذاته تأخرت في تفسير السلوك الاجرامي خطوات الوراء(٥٠) .

---

٤٩ ـ وحيد الدين خان ، المرجع السابق ص ٤٧ و ٤٨ .
٥٠ ـ د . جلال ثروت المرجع السابق ص ١٠٥ .

القسم الثاني

نقد مضمون النظرية الفرويديه

تعرض مضمون النظرية الفرويدية لانتقادات عديدة ، لعل اثقلها في ميزان النقد العلمي مايأتي : ـ

أ ـ ان ماذهب اليه فرويد في نظريته : افتراضه ان الانسان هو حيوان بشرى وان الذى يتحكم في سلوكه الى حد بعيد هو الاساس البيولوجي لتكوينه ، وان الغريزه الجنسية (الليبيدو) هي التي تحرك جميع الاعمال ولها دور كبير في توجيه نوازع السلوك الانساني نحو النشاط والتحقيق في كل مايعرف من وجوه النشاط . فاوجه الابداع والخلق الرائعه في حياة الانسان بل حتى الروحانيات اساسها هو الجنس. ففي ضوء الغريزة الجنسية تفسر كل الوان النشاط الانساني ، وفي ظلها يفسر النمو الانساني ابتداء من الولادة وانتهاء بالوفاة ، وفي ضوئها تفسر الاحلام ايضا(٥١) .

ان الافتراض الذى وضعه فرويد : ان الانسان حيوان بشرى متأثرا في ذلك باراء دارون . افتراض خاطيء لايحتاج بتصورى الى مناقشة مستفيضة لعدم اهميته العلميه ، اذ من العلوم ، ان الانسان يتميز بخصائص فريدة عن بقية المخلوقات لاتقتصر على العقل وحده على الرغم من اهميته الفائقة ، فاشتراك الانسان في بعض الخصائص مع الحيوان لايعني انه اصبح حيوانا ، فالانسان منذ بدء الخليقه وحتى ان يرث الله سبحانه وتعالى الارض ومن عليها هو سيد المخلوقات جميعا من خلال مظاهر التكريم الكثيرة التي تميز بها الانسان والتي جعلته متفردا بصفات عن بقية المخلوقات ، فقد ورد في القرأن الكريم قوله تعالى ((ولقد كرمنا بني أدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

---

٥١ ـ د . عبد الغني عبود ، المرجع السابق ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

تفضيلا)) (٥٢) كما قال تعالى خالق الحيوان والانسان (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) (٥٣) .

وقد ايد العلم الحديث تفرد الانسان بجملة خواص واوصاف تميزه تماما عن الحيوان ، فقد ثبت نتيجة البحوث والدراسات التي اجراها العلماء : ان للانسان مجموعة خصائص ثابتة تخالف مايبدو عليه لاول وهله نتيجة نظرة سريعة غير متفحصه ، ومن هذه الخصائص انه (قوى غايه القوة ، انه يكيف نفسه تبعا لجميع الطقوس ، سواء في المناطق القطبية متناهية البرودة ، او الاستوائية شديدة الحر ، انه يستطيع مقاومة الجوع ، واختلاف الطقس ويتحمل التعب والمصاعب والاجهاد في العمل ورغم ان اعضاء الانسان ضعيفة هشه ، وان اقل صدمه تستطيع الاضرار بها ، وان جميع الاعضاء تتحلل بمجرد توقف الدورة الدموية ، فأن الانسان هو اصلب من الحيوانات عودا ويستمد قوة التحمل هذه من مرونة انسجته بصفه خاصة ، ومن تماسك هذه الانسجة وقدرتها على النمو بدلا من استهلاكها ، اما الحيوان فأنه يموت وينقرض بمجرد ان تتغير بيئته التي يعيش فيها ، ولكن الانسان يستطيع ان يتكيف مع اى بيئه ، ولذلك فهو يعيش رغم تغيير ظروف بيئته ، فقد ثبت ان الانسان الذى يعيش في المناطق القطبية يكون بدين الجسم مكتنز الدهن ، ليحمى نفسه من شدة البرد ، في حين ان الانسان الذى يعيش في المناطق الاستوائية هزيل الجسم نحيف اسود ، كانما وضع لجلده مظله تقيه حرارة الشمس(٥٤) .

---

٥٢ ـ سورة الاسراء اية ٧٠ .

٥٣ ـ سورة التين اية ٤ .

٥٤ ـ د . عبد الغني عبود المرجع السابق ص ٣٥ ـ ٣٨ .

اما بصدد الغريزه الجنسية فعلى الرغم من اهميتها وتأثيرها البالغين فانها لايمكن ان تكون المحرك الرئيسي لكل نشاطات الانسان لصعوبة تجاهل الدور الذى تلعبه بقية الغرائز الاخرى ، لذلك فان من ابرز اوجه النقد الموجه لهذه النظرية كان في هذه المرة من قبل خلفائه وانصاره الكبار وهم : الفريد ادلر وكارل يونج ووليام مكدوجال ، بسبب هذه المبالغه في ابراز دور الجنس ، حيث لم يثبت لدى هؤلاء العلماء انه الاصل في توجيه نوازع السلوك الانساني وتحديد انواع الشذوذ فيه(٥٥) .

فالفريد ادلر عارض فرويد رغم تأثره الكبير بارائه وحرصه الشديد على الاحاطه بافكاره واستنتاجاته ، وقد دب الخلاف بينهما بسبب اصرار فرويد على عرض نظريته في الميول الجنسية عرضا مطلقا ، الامر الذى حدا بادلر الى رفضلها رفضا قاطعا .

اما مصدر الخلاف الاساسي بين كارل يونج وفرويد ، فهو اصرار الاخير على اقرار السيطرة الكاملة للميول الجنسية في الحياة النفسية ، في حين يرى يونج ان الجنس لايتفق مع رغبة الانسان في العيش الهانيء السعيد اذ الانسان عند بلوغه نهاية الثلاثينات من عمره او بداية الاربعينات منه ، فان الامور الجنسية بالنسبة له تبدو غير مهمه في توجيه نشاطه وسلوكه ، بل يؤكد بان الانسان في هذه المرحلة من حياته يكون متجها ومهتما بالمسائل الروحية مبتعدا قدر الامكان عن الحوافز البيولوجية(٥٦) .

اما مكدوجال فقد وجه البحوث في علم النفس وجهه خاصة من خلال تقسيمه الغرائز الى : غرائز فردية وغرائز اجتماعية ، وقد صنف الغريزه الجنسية ضمن الغرائز الاجتماعية ، اى انه لم يعطها الاهمية او الفاعلية في

---

٥٥ ـ د. رؤوف عبيد ، المرجع السابق ص ١٣٠ .
٥٦ ـ د . مصطفى فهمي ، المرجع السابق ص ٢٩٨ ـ ٣٢٧ .

توجيه النشاط الانساني ، وقد نجح مكدوجال في زعزعه اسس علم النفس المادى وتقويض بنيانه ، وانشاء علم النفس الروحي محله(٥٧) .

وقد عارضت الدكتورة كارن هورني رأى فرويد بشأن الصراع الغريزى ، معلنة ان فرويد قد اخطأ في تحليله لهذا الصراع باعتباره نتيجة لضغط الحاجات الغريزية امام المحرمات الاجتماعية ، لان الاخذ بهذا الرأى يعني ان الفرد يولد وهو يحمل معه مجموعة من النزعات الغريزية تفرض عليه العيش في صراع مستمر لعدم امكان اشباع هذه النزعات ، وانتهت من انتقادها بالقول : ((ان حرص فرويد على تحرير علم النفس من النزعه الاخلاقية ادى بالحكم على نظريته بالفشل لانه سار بها في طريق ضيق وشاق)) (٥٨) .

ب ـ كما يؤخذ عليه انه كان يميل الى التعميم من بعض الحالات التي قام بفحصها والنتائج التي توصل اليها لان فرويد اجرى تجربته على المرضى والمرضى يتميزون باوصاف غير طبيعية لايمكن قياس الشخص الطبيعي عليها ، والواقع يدل على ان المصابين بفقدان الغريزة الجنسية فطره او مرضا هم اشخاص طبيعيون شأنهم في ذلك شأن المئات من الاشخاص الذين لم يتزوجوا ولم يمارسوا الغريزة البته ، وفي واقعنا الاجتماعي خير دليل على صحة ماذهبنا اليه ، حيث ان الخوف من الوقوع في المعصيه والحياء والالتزام الاخلاقي من شأنها جميعا ان تهذب من تأثير الغريزه الجنسية ومن ثم لايكون لها اثرا على الاشخاص الطبيعيين ، لان قيمهم ومثلهم العليا جعلتهم ارفع من ان ينساقوا وراء شهواتهم وغرائزهم .

---

٥٧ ـ د . عبد الغني عبود ، المرجع السابق ص ٤٩ ـ ١٠٠ .

٥٨ ـ د . مصطفى فهمي ، المرجع السابق ص ٣٣٣ ـ ص ٣٣٥ .

وصفوة القول : ان الاراء والاستنتاجات التي وردت في هذه النظرية لم يثبت صحتها من الناحية العلمية ولاتزيدعن كونها افتراضات لم تقترن بتأييد العلم التجريبي ، رغم حرص فرويد على عرض هذه الاراء والاستنتاجات مكلله بغطاء المنهج التجريبي ذاته ، وقد اوضح الاستاذ كارل ياسبرز ما اشيع عن فرويد من انه اكثر شهرة من غيره وان ارائه متسمه بالعلمية مما تجعلها اكثر رواجا من غيرها ، بقوله : ((لقد كان طبيعيا ان تسيطر على النفوس اساليب فرويد ومدرسته في مجتمع مهزوز مكدود ، ومن الممكن ان نلاحظ ان الناس في عالمنا المقلوب قد احسوا حاجة شديدة الى التجدد وجاء التحليل النفسي فزودهم بذلك الوهم ، وكان مخادعا خداع ذلك العالم ذاته(٥٩) ، فهو يرمى الى نشر الروح الاباحية في المجتمع العالمي وزعزعة الاخلاق بحجة الظن الفاسد المتمثل في اعتبار هذه الاباحية دواء مناسب للصحة النفسية ، وما هي بدواء بل هي مرض خبيث تزلزل المجتمع الانساني وترديه الى مستوى المجتمعات الحيوانية فالرذيله والتحلل واختلاط الانساب لا تتلائم مع المجتمع الفاضل ، وهل يمكن للانسان ان يأمن على شرفه وعفته في مجتمع تسوده الفوضى الاخلاقية والتحلل ٠

---

٥٩ ـ د رؤوف عبيد ، المرجع السابق ص ٥ ٠

الفصـــــل الثانـــي

التفسير الاجتماعي للظاهـرة الاجراميـــة

ثم نظريات شتى ابداها العلماء خلال القرن التاسـع عشر والقـــرن العشرين فسرت السلوك الاجرامي في ضوء العوامل الاجتماعية ، الامر الذى ترتب عليه ظهور اساليب في البحث تتلائم وطبيعة الدراسات الاجتماعيـة ، وقد اثرنا اختيار بعض هذه النظريات مع دراستها دراسة نقدية تحليليه ٠

ومـن اهـم النظريات في هـذا الميـدان نظرية التفكـك الاجتماعـي ونظرية العوامل الاقتصادية ، وهذا ما سنتناوله تباعا في مبحثين :

المبحث الاول : نظرية التفكك الاجتماعي ٠

المبحث الثاني : نظرية العوامل الاقتصاديـــة ٠

المبحث الاول

نظريـــة التفكـــك الاجتماعـــي

رائد هذه النظرية عالم الاجتمـاع الامريكـي ثورستن سيليـن ومـن استعراض اهم الافكار التي تضمنتها هذه النظرية يبدو لنا جليا ان سيلين قد استوحى نظريته من واقع المجتمع الامريكي الذى عاصره ، ومن واقـع المجتمعات التي عاصرها ولم يعايشها بل طرقت مسامعه الظواهر الاجرامية فيها ، وقارنها بالمجتمعات الريفية التـي وجـد فيهـا انخفاضـا في حجـم الظواهر الاجرامية فيها قياسا الى حجم تلك الظواهر في المجتمعات المتحضرة، مما شجعه على اجراء مقارنه عددية كانت نتيجتها ارتفاع حجم الظاهـرة الاجرامية ارتفاعا كبيرا في المجتمعات المتحضرة وانخفاض حجم هذه الظاهرة انخفاضا كبيرا في المجتمعات الريفية ، لهذه العله ارجع الظاهرة الاجراميـة الى التفكك الاجتماعي الذى يعتبر السمه المميزه للمجتمـع المعاصر ونـادى بوجوب تحقيق الترابط الاجتماعي بصفته الوسيلة الافضل في الحد من هذه الظاهرة ومن الادلة التي اعتمد عليها مايأتي : ـ

١ ـ ان الانسان في المجتمع الريفي يعيش حياة بسيطة تخلو من العقد المسببه للظاهرة الاجرامية ، حيث يغمر الانسان الحنان والعطف الذ من اسرته وذويه وعشيرته اذ الاخـوه والاعمام والاخوال يشعـ بالراحة والاستقرار في حين ان الانسان في المجتمعات المتحـ

الاجتماعية بين هذه الاسر . بهذا يصاب الفرد بالعزلة والوحدة ويشعر بعدم وجود من يقف الى جنبه في السراء والضراء .

٢ ـ لاتوجد لدى الانسان الريفي الظروف المادية الصعبة التي ربما تكون سببا في ارتكاب الجريمة لان بقية افراد العشيرة تعينه في الحالات التي يواجهها وكأنه لم يشعر بصعوبة التكاليف التي تتطلبها الحياة في احوال الافراح والاتراح وما يواجهه من مرض وشيخوخه وغير ذلك من الكوارث التي لو اصيب بها الانسان في المجتمع المتحضر لاشعرته بالوحدة لحاجته الماسه الى مساهمة الاخرين مما يكون باعثا للحقد والكراهية بحق ابناء مجتمعه ، فيشعر هذا الفرد وكأنه وحده في كل الاحوال الصعبة التي يحتاج فيها لغيره . ولذلك يكون هذا الشعور مدعاة لاصابته بالقلق والخوف من مجتمع لم يقف معه خيرا او شرا . ولهذا يسهل عليه اقتراف الجريمة .

٣ ـ غالبا مايتسم الانسان الريفي بالقناعة والطموح المشروع بالنظر لما تتميز المجتمعات الريفية بالبساطه والانسجام بين افرادها ، ويسهل على الانسان ان يشبع جميع رغباته ؛ فهو لا يحتاج مثلا الى وسائل النقل لقرب عمله من سكنه ولايحتاج الى دور اللهو والخيال ومحلات المشروبات ولعب القمار ، هذه الظواهر التي كثيرا ماتكون سببا في ارتفاع حجم الظاهرة في المجتمعات المتحضرة وانخفاضها في المجتمعات الريفية ، ولكثرة ان في المجتمع المتحضر وتنوعها وتشعبها فان مطامحه ومطامعه حد يذكر . ومن شأن ذلك ان تتقار كاهله بالالتزامات التي

الجرائم اشباعا للرغبات المتعددة والشهوات المتجددة(١) ٠

تقييم نظرية التفكك الاجتماعي :

اولا _ مزايا النظرية / تمتاز هذه النظرية بخصائص شتى منها :

١ _ دعت هذه النظرية الى ان يتشبه المجتمع المتحضر بالمجتمعات الريفية من حيث شدة الترابط وقوة التعاون وعمق التكافل الاجتماعي ، ونحن نميل الى هذا الرأى وندعو الى تطبيقه نظرا لما للترابط الاجتماعي من اثار ايجابية على مشاعر الانسان بالحب لمجتمعه الذى يعيش فيه ، ومتى ما احب الانسان مجتمعه فانه يصعب عليه اقتراف الجريمة بحق احد افراده ٠

٢ _ ان هذه النظرية تدعو الى تربية الطفل وتنشأته نشأة ريفية وتمويده على العادات والتقاليد التي تسود في المجتمع الريفي كي ينشأ متعاونا ووديعا وبهذه النشأه يسهل عليه التغلب على مشاكل الحياة العصرية وما يتبعهـا من صعوبة وتعقيد بالغين ، ولعل نشأة الطفل وفق القيم الروحية والاخلاقية من شأنها ان تحل له كثيرا من المشكلات التي يعاني منها الفرد في المجتمع المعاصر فتنخفض نسبة ارتكاب الجرائم ٠ لانه فيها خروجا على قيم المجتمع وضوابطه ٠

٣ _ جاءت هذه النظرية تأكيدا للرأى القائل ان : لكل مظهر حضارى جريمة تقابله من خلال ربطها بين التقدم الحضارى والتقني الذى تشهده المجتمعات المعاصره اليوم وبين ارتفاع نسبة الجرائم كما تظهره الاحصاءات المعتمدة بهذا الصدد ٠

---

١ _ د ٠ عبد الفتاح الصيفي ود ٠ محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ص ٧ د ٠ فوزية عبد الستار المرجع السابق ص ٤٨ و ٤٩ ود ٠ مأمون محمد سلامه ، المرجع السابق ص ١٢٧ _ ١٣٠ د ٠ رؤوف عبيد المرجع السابق ص ١٩٣ _ ١٩٤ ٠

٤ ـ اوضحت هذه النظرية ان سبب الظاهرة الاجرامية بناء على منطقها هو الضمير الذى يفسد بالتفكك الاجتماعي ويصلح بالتعاون والترابط الاجتماعي ، وكلما فسد الضمير زادت نسبة ارتكاب الجرائم وكلما تربى الضمير وصلح انخفضت هذه النسبة . وهذا الذى يفسر لنا ازدياد نسبة الاجرام في المجتمعات المتطورة لان الانسان في ظل هذه المجتمعات يعيش في جو من التفكك وعدم الترابط الاجتماعي مما يزيل الحب من قلب هذا الانسان تجاه افراد مجتمعه لشعوره بالعزله عنهم ، ونتفق مع منطق هذه النظرية بالنظر لما تمليه تربية الضمير من معاني سامية تدفع الانسان لسلوك طريق الخير والرشاد وحبه لابناء مجتمعه ،وقد حث رسول اللة صلى اللة عليه وسلم على اشاعة هذا الخير من خلال الربط بينه وبين الايمان بقوله (لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه)) .

ثانيا : الانتقادات الموجهه لهذه النظرية :

وجه الباحثون لهذه النظرية عللا نقدية متعددة منها :

١ ـ يتسم افراد المجتمع المتحضر كافة بسمات التفكك وضعف الروابط الاجتماعية ،ومع ذلك فان الذين يقترفون الجريمة هم بعض افراده وليس جميعهم .ولو صح ارجاع سبب الظاهرة الاجرامية الى التفكك الاجتماعي لكان من مقتضى ذلك ان يقترف الجريمة جميع افراد المجتمع وليس بعضهم ويمكن القول بهذا الصدد ان التفكك الاجتماعي يمكن ان يكون سببا مع اسباب اخرى يكون كل منها علة في ازدياد حجم الظاهرة الاجرامية في المجتمعات المتحضرة .

٢ ـ ان هذه النظرية استوحاها سيلين من مجتمعه الامريكي وما يتميز به من ظروف خاصة له، لذا يمكن لسيلين ان يطبق هذه التجربة علـى المجتمع الامريكي لانها تتناسب مع قيمة وتقاليده، في حين يصعب تطبيقها على المجتمعات الاخرى المختلفة تماما عن المجتمع الامريكي لانه مجتمـع رأسمالـي مـادى محض ،والمجتمعات الرأسمالية غالبا مايتسم افرادها بسمات الانانية والتفكك وضعف الروابط الاجتماعية ،ولعل المجتمعات الاخرى لاتتسم بهذه السمات لذا لايمكن قياسها على المجتمع الامريكي الذى اجريت هذه الدراسة عليـــه وصفوة القـــول :ـ

ان التفكك الاجتماعي الذى كان محور هذه النظرية قد يكون سببا فـي زيادة حجم الظاهرة الاجرامية في المجتمعات التي تخلوا من القيم الاخلاقيـــة الفاضلة اذ ان المجتمعات المتحضرة اذ التزمت بهذه القيم فانها تساهم فـي خفض الظاهرة الاجرامية ،حيث الخوف من اللـه سبحانـه وتعالـى والعقاب الدنيوى و لاخروى له تأثير ايجابي في الحد من الظاهرة الاجرامية ،فيهـذب الضمير ويتطهر مالم ربطه بالرقيب الذى لاينام ، والجريمة تتنـــــــــاسب تناسبا عكسيا مع شدة الخوف مـن اللـــه وطهارة الضمير ، اذ كلما امتلأ الضمير بحب الله والخوف منه انخفضت نسبة الججرائم،وكلما زال الخوف من الله وتلوث الضمير لم يشعر الانسان بوجود من يراقبه وعندئذ يتصرف علـــى اساس غياب الرقابة الذاتية ومن شأن ذلك ان يساهم في زيادة حجم الظاهـرة الاجرامية ،اذ لاحرج يحول بين هذا الانسسان وبين اقتراف الجريمة ، ثم المجتمعات الملتزمة بالقيم الفاضلة والتقاليد الصالحة حتى وان كانت متحضرة ومتقدمة فانها تنشأ نشأة تكافلية تجعل الانسان يعيش في المجتمع وهو يشعر وكانه يحيا في اسرته وبين اهله وذوية يحيا في الاسرة الكبيرة وفي مجتمعـه الذى كان معه في السراء والضراء معه في الافراح والاتراح قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد

اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، كما حث عليه الصلاة والسلام على الاهتمام بشؤون الارامل واليتامى والمساكين بقوله ((الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)) . وذلك تنفيذا لقول البارى عزوجل ((وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان)) وقد بلغ شدة التكافل الاجتماعي مبلغا منقطع النظير في المجتمعات الاسلامية من خلال الاهمية التي اولاها اياه الفقهاء المسلمون ،اذ حمل هؤلاء الفقهاء الجار الضمان اذا جاء بطعام ذو رائحه فشمته امرأة تعاني من الوحام فحرمها منه مع العلم والطلب حتى سقط جنينها)(٢) . وكيف يحقد الفرد على مجتمع تسوده هذه المثل الفضلى وتوجهه تلك القيم المثلى، ونحن لاننكر على الاستاذ سيلين متطلبات المجتمعات المتحضرة المعقده والمتشعبة حيث الطمع والجشع والنهم والنظر الى مايملكه الغير بعين الحسد والشعور بالانانية ثم التبارى بكنز المال وجمعه دون تحرى الوسائل المشرعة انسياقا وراء رغبة الاثراء السريع ، كل هذه الامراض المعنوية تكون سببا يفضي الى ان تصاب نفس الانسان بغشاوة ممقوتة تجعلها تتخلى عن مرأتها الرحمانية الشفافه وادميتها لتنقلب الى نفس لاتعرف الا اشباع الشهوات والملذات التي ليس لها حدود في هذا الوجود، ومع هذه الحقيقة المسلم بها فان الافراد الذين اتسموا بسكون القلب واطمئنان الروح تسليما بما قسم الله تعالى لها في هذه الحياة، نجد ان هؤلاء الافراد قد تطهروا من هذه الامراض ،وكما يؤيد الواقع الاجتماعي اولئك المصابون بالمعاناة من الذين حرموا من المال والولد او نعمة البصر ، نجد المؤمنين الصابرين منهم تملا محياهم الابتسامة وكانهم ينعمون بالسلامة يعيشون سعداء قلبهم خال من الحسد والحقد والانانية، لان ما اصيبوا به وحرموا

---

٢ ــ د . خالد رشيد الجميلي ، الدية واحكامها في الشريعة الاسلامية والقانون ، بغداد مطبعة دار السلام ، ٩٧٥ ، البحث المتعلق بالجريمة على الجنين ص ٤٠٥ .

منه قضاء الله سبحانه وتعالى ولامرد لقضائه ، ثم المجتمعات الريفية لاتدل بالضرورة على بعدها عن الجريمة وتخليها عن السلوك الاجرامي ، اذ ليست العبرة بالريف اوالتحضر وانما بالقيم السائدة والارواح الزاهدة، لان التحضر وصل الى الريف ايضا ، حيث مظاهر الحضارة تنتشر في الريف كما تنتشر في المدينة ،لكن القيم السائدة في الريف هي السبب المؤثر في حجم الظاهرة الاجرامية ارتفاعا او انخفاضا ،ومادامت المثل والقيم الفاضلة هي السبب المباشر في التقليل من حجم الظاهرة الاجرامية فيمكن ان ننادى بتحضير الريف كما نحضر المدينة بشرط الحفاظ على القيم الاخلاقية والتقاليد الصالحة في كل منهما ،وبذا نكون قد حققنا التحضر المادى والتحضر الروحي في أن واحد لكل من الريف والمدينة •

المبحـــث الثاني

نظـــرية العوامـــل الاقتصاديـــة

اتجه بعض العلماء الى تفسير الظاهرة الاجرامية من خلال الربط بين الاوضاع الاقتصادية السائـدة وبيـن السلـوك الاجرامـي ، اذ ان النظـام الاقتصادى سواء كان رأسماليا ام اشتراكيا يرتبط اشد الارتباط بالسلوك الاجرامي ويوجهه وجهة الخير او الشر ، لذا فان كل مايصيب هذه الانظمة من خلل فأن التأثير السلبي لهذا الخلل يظهر في السلوك الانساني(٣) ويرى هؤلاء العلماء ان النشاط الاقتصادى يؤثر تأثيرا كبيرا في توجيه العلاقـات الاجتماعية وتحديد انماطها ، لان العوامل الاقتصادية تهيمن على جميـــع نشاطات الافراد ومن ضمنهـا النشاط الاجرامي ، وهـذا يعنـي ان السلوك الانساني يخضع لتأثير تلك العوامل ، ويتحقـق الجانـب الاكبـر من هـذا السلوك في النشاطات الاقتصادية الضرورية ، كالانتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك(٤) .

وقد حاولت المدرسه الاشتراكية من قبل الربط بين العوامل الاقتصاديـة والسلوك الاجرامي ،ووفقا لمفهوم هذه المدرسة : /ان الظاهرة الاجرامية ظاهرة شاذة في حياة المجتمع ، وانها ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الرأسمالي بل انهـا ثمرة من ثمراته ، فتركيبة هذا النظام وطبيعة العلاقات السائدة فيه تفضـــي حتما الى الظلم الاجتماعي ، لانه نظام لا يتوخى العدالة والمساواة ، فتقع الجريمة نتيجة لهذا الظلم ، اما في ظل المجتمع الاشتراكي فان مظاهر الجريمة تكـاد ان تختفي تماما ، وان وقوع بعض الجرائم الضارة برفاهية هذا المجتمع لا يغير

---

٣ ــ د عبد الفتاح الصيفـي ود . محمد زكـي ابو عامـر ، المرجـع السابق ص ١٠٧ .

٤ ــ د . يسر انور ود امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٥٧ .

من هذا الاتجاه وانما يدل على تفشي امراض معينه في افراده (٥) ٠

ويتضمن هذا الاتجاه العديد من النظريات التي حاولت تفسير السلوك الاجرامي من خلال الربط بين ظاهرة الاجرام والعوامل الاقتصادية ، الا ان لطابع الغالب على هذا الاتجاه كان لنظرية العالم بونجيه ، ولما اشتملت عليه هذه النظرية من تحليل الكثير من الظروف والعوامل الاقتصدية فقد آثرنا اختيارها كنموذج لهذا الاتجاه مع دراستها دراسة تأصيليه وتحليلها وتقويمها ، حيث خصصنا لدراستها مطلبين ، اتناول في اولهما مفهوم السلوك الاجرامي عند بونجيه ، واعراض في ثانيهما تقييم هذه النظرية ٠

المطلـــــب الاول

مفهـوم السلـوك الاجرامـي عند بونجيـــه

العالم الهولندى وليم ادريـان بونجيـه (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠) استـاذ علـم لاجتماع في جامعة أمستردام ، اتجه في تفسير الظاهرةا لاجرامية على اساس انها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ترتبط بعوامل اقتصادية معينه ، وذهب كبقيـة انصار هذا الاتجاه الى ان النظـام الرأسمالـي هـو العامـل المسب للسلـوك الاجرامي(٦) ، مع حرصة على ابراز العلاقة الوثيقه بين هذا النظام وبين ظاهرة الاجرام التي تكون ثمرة هذا النظام بسبب الظلم الاجتماعي الذى يلحق بافراده٠

ومن استعراض أهم الافكار والاراء التي استند عليها بونجيـه في صياغـة نظريته يبدو لنا جليا انه تاثر كثيرا بافكار المدرسه الاشتراكية عموما ، كمـــا كان لبعض العلماء دورا متميزا في تحديد اتجاهه الفكرى وخصوصا كارل ماركس وسدرلاند ، اذ يرى الاول أن نظام الانتاج الاقتصادى لمواد الحياة يتحكم في كافة نواحي الحياة ومنها النشاط الانساني المكون للسلوك الاجرامي ، مؤكدا بهـذا

٥ ـ د ٠ عوض محمد ، المرجع السابق ص ٩٩ ٠
٦ ـ د ٠ فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٥٧ ٠

الصدد : ان الظاهرة الاجرامية تتحق نتيجة الخلل الذى يصيب النظام الاقتصادي وحدد سمات وشروط لهذا النظام تنطبق في مجملهـا علـى النظـام الاقتصـادى الرأسمالي ، لذا لابد من اصلاح هذا النظام فيما اذا اريد صلاح المجتمع بأكمله وينتهي كارل ماركس الى القول ((ان كافة الظواهر السلبيه التي تظهـر فـي المجتمع ومنها ظاهرة الجريمة ترجع اساسا الى النظام الاقتصادى السائد(٧) ٠

في حين يرى الاستاذ سذرلاند بان المجتمع ممثلا في كافة طبقاته قد تطلـع الى الثورة الصناعية من اجل الحصول على المورد المالي الجيد دون بذل مشقـه او جهد ليساهم في تحسين مستوى المعيشـة والارتقاء الى المستوى المقبول مـن الرفاهيه والسعادة ، بحيث ان المال والثروه اصبحتا تعني القيمة في حيـن ان الفقر والحرمان يعني المذله والمهانه ، ولذا فأن الادخار أصبح فضيله وقد ادى هذا الانقلاب في المفاهيم والقيم الى زيادة حجم الظاهـرة الاجراميـة اذ انصب الاهتمام على جمع المال وكنزه اكثر من الاهتمام بطريقة كسبه(٨) ٠

وبهذا الصدد يؤكد بونجيه ((ان اهم عامل يساهم في تحقيق الظاهرة الاجرامية هو الضغط الاقتصادى للنظام الرأسمالي وما يسببه من اثار سيئـه على سلوك الانسان ومشاعره ، وعلى الاخص الشعور بالانانية والحقد ، ممايدفع بعض الاشخاص الى اقتراف الجريمة ، ويعلل بونجيه قيام العلاقة الوثيقه بيـن السلوك الاجرامي والنظام الرأسمالي ، في ان الفرد يكتسب منذ نشأته غرائـز اجتماعية ، فاذا لاقت تلك الغرائز على مدى مراحل حياته ظروفـا اجتماعيـة صالحه ترسخت لديه هذه الغرائز الاجتماعية الجيدة ، ورسوخها يعني استبعاد واستئصال الغرائز الفردية الذاتية المتسمة بالانانية ، وعلى العكس من ذلك اذا واجهت تلك الغرائز ظروف اجتماعيـة سيئـه ترسخت لديـه مشاعـر الحقـد

---

٧ ـ د ٠ يسر انور علي ود ٠ امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٥٧

٨ ـ د ٠ عبد الفتاح الصيفي ، د ٠ محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ و ١٢٩ ٠

والانانية(٩) ومن شأن الغرائز الاولى أن تتسم بالمحبة والخير في حين ان الغرائز الاخيرة تدفع بصاحبها نحو طريق الشر والرذيله ، لذا تقع الجريمة لانها وفقا لتصور بونجيه ما هي الاسلوكا انانيا ينتهجه الفرد من اجل اشباع رغباته وشهواته الفردية ٠

ويوضح بونجيه الاسس التي يقوم عليها النظام الرأسمالي ، والتي يعتبر كل منها دافعا وموجها الى نمط معين من انماط السلوك الاجرامي ومن هذه المبادىء والاسس الرغبه في تحقيق الربح الفردى ، وما تسببه من ترسيخ للنزعات الانانيه ، اذ يحرص التاجر على ان يبيع سلعته باغلى ثمن حتى وان حصل عليها بابخس الاسعار من اجل تحقيق مصلحته الشخصية المحضه باتباع وسائل غير مشروعة كالغش و الاحتيال والتزوير(١٠) والتي يكون كل منها جريمة بحد ذاته ، كما أن التنافس بين اصحاب رؤوس الاموال من شأنه ان يدفع هؤلاء المتنافسين الى اتباع الوسائل غير المشروعة من اجل الصمود امام منافسيهم ، لان سعي هؤلاء لايقتصر على تحقيق المصلحة المالية الشخصية له وانما يسعى الى محاربة المنتجين الاخرين للنيل من سمعتهم ومكانتهم ليخلو له الميدان ويبيع سلعته بما يشاء من الثمن ، ولايتم له ذلك الا بارتكاب بعض الاعمال التي تمثل جرائم كالقذف والبلاغ الكاذب(١١) ويشير بونجيه بهذا الصدد أيضا الى الفروق الطبقية الكبيرة التي تبرز بوضوح في ظل هذا النظام بين طبقة ارباب الاعمال وطبقة العمال سواء من حيث المسكن او الملبس او الغذاء او التعليم وغير ذلك من المتطلبات الاساسية التي تقتضيها طبيعة الحياة المعاصرة ، فساعات العمل الطويلة والظروف السيئه للعمل وانعدام الضمان الاجتماعي والصحي وقلة الاجور والامية ونقص التعليم ورداءة المساكن ، يعبر

---

٩ ــ د ٠ فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٥٨ ٠
١٠ ــ د ٠ فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٥٧ ٠
١١ ــ د ٠ يسر انور علي ود ٠ امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٦١، ١٢٦ ٠

عنها بونجيه بانها مظاهر اجتماعية ذات طابع اقتصادى تدفع الفرد الى اقتراف الجريمة كما تشير الى ذلك الاحصاءات الجنائية ، وينتهي بونجيه من عرض نظريته ليقرر بأنه : ان العوامل التي تحقق الظروف غير الملائمة للنظام الرأسمالي والفروق الاجتماعية السائدة في ظله من شأنها ان تثير الحقد والانانية لدى الطبقة العاملة ضد طبقة ارباب العمل أو اصحاب رؤوس الاموال ومن ثم يدفع بعض افراد الطبقة العاملة للتعبير عن هذه الغرائز الفردية بانتهاج طريق الشر والجريمة ٠

المطلب الثاني

تقييم نظرية بونجيه

يقتضي تقييم هذه النظرية ابراز الجوانب الايجابية التي تضمنتها كما يقتضي في الوقت نفسه تحقيقا للامانة العلمية الكشف عن الجوانب السلبيه لهذا النظرية ، وهذا ما سأوضحه في الفرعين الاتيين :

الفرع الاول / مزايا نظرية بونجيه

الفرع الثاني / نقد نظرية بونجيه

الفرع الاول

مزايا نظرية بونجيه

لاريب في ان بونجيه اصاب الحقيقة حين ابرز اهمية التطور في التأثير على ظاهرة الجريمة ، فالتطور الذى يصيب اى ميدان من ميادين الحياة يؤثر حتما في تطور الظاهرة الاجرامية في جانب من جوانبها ومن هذه الميادين الميدان الأقتصادى ، لذا فنحن لايمكن ان ننكر الدور الكبير الذى تلعبه العوامل

والظروف الاقتصادية في تثبيت الغريزة الاجتماعية للفرد والكشف عن مدى سلامتها ، فقد اثبت علماء الاجرام ان التطور الاقتصادى الذى طرأ على اوربا خلال القرن التاسع وحولها من مجتمعات زراعية الى مجتمعات صناعية قد اثر في السلوك الاجتماعي للافراد الذين عايشوا تلك الفترة كما اثبتت الدراسات الاحصائية ان تحسن الحاله الاقتصادية افضى الى جرائم الاموال التي يستهدف الفرد فيها الكسب غير ، في حين ان التقلبات الاقتصادية السيئه تترك اثرا واضحا على الاسعار والاجور ومن شأن ذلك زيادة في حجم الظاهرة الاجرامية(١٢) بسبب انخفاض مستوى المعيشة وما يترتب عليها من ارهاق كاهل الافراد باعباء مالية جديدة تسبب لهم الكثير من المشاكل ٠

وهذه الحقيقة لايمكن انكارها ، فتوفير الحد الادنى من المتطلبات التي تقتضيها الحياة الامنة الكريمة لكل انسان هي امنية يسعى جميع المخلصين والباحثين في مختلف العلوم الانسانية الى تحقيقها ٠

الفرع الثاني

نقد نظرية بونجيه

رغم ماتم ذكره من مزايا الا ان هذه النظرية تعرضت في الوقت نفسه لانتقادات شتى منها :

١ ـ عجز هذه النظرية من الاحاطة بالسلوك الاجرامي من كافة جوانبه فجرائم الاموال لاتمثل كل انواع الجرائم المنصوص عليها في القانون الجنائي بل تمثل جانب من هذه الجرائم ، وهي التي يستهدف الجاني فيها

---

١٢ ـ د عوض محمد ، المرجع السابق ص ١٠٠ ٠

تحقيق الكسب غير المشروع • في حين ان باقي انواع الجرائم لايكون هدف الجاني من اقترافها تحقيق الكسب الحرام ، كجرائم الاعتداء على الاشخاص والجرائم الاخلاقية ، فقد اثبتت الدراسات الاحصائية ان هذه الجرائم لا تكاد تتأثر بالتقلبات الاقتصادية(١٣) •

٢ ـ تؤكد هذه النظرية على ان الظروف الاقتصادية النسيئه تمثل عاملا اساسيا ومباشرا في دفع الفرد الى الجريمة ، وقد اعتبرت الفقر مثلا لهذه الظروف باعتباره ظرفا اقتصاديا سيئا حيث اكدت ان الفقر الذى يصيب الفرد يكون سببا مباشرا في دفعه نحو اقتراف الجريمة ؛ وهذا يعني ان هذه النظرية ربطت ربطا مباشرا بين السلوك الاجرامي ؛ ان مثل هذا الربط وما يترتب عليه من ابراز لاهمية الفقر وتأثيره لايمكن قبوله لسببين : ـ

الاول : ان الفقر حاله نسبيه تختلف باختلاف الاشخاص تبعا لاتساع حاجاتهم وتنوعها ووسائل اشباعها لذا يصعب تحديد الحاله التي يكون عليها الفرد ؛ لانه لاتوجد وسائل ثابتة يمكن بموجبها اعتبار شخص ما فقيرا •

الثاني : لقد انتهى الاستاذ سذرلاند من الدراسات التي اجراها للتحقيق من صحة قيام الرابطة الوثيقة بين الفقر والجريمة ، بقوله : ان الجريمة كما تقترف من الفقراء يمكن ان تقترف ايضا من غير الفقراء فقد اثبت سذرلاند بان الجريمة يمكن ان تقترف من اشخاص ينتمون الى الطبقات العليا في المجتمع ويشغلون المراكز المحترمة فيه ، وهم اصحاب الاعمال ، وقد علل هذا الرأى بان الوضع المالي الممتاز ومايتمتعون به من

---

١٣ ـ د • فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ، ص ٥٨ •

مزايا وما يمارسونه من سلطة ونفوذ فهذه المزايا الايجابية بنظر سذرلاند لاتمنعهم من اقتراف الجرائم بل على العكس ربما تكون عاملا مساعـــدا لانحرافهم حيث يشعروا بان هذه المزايا تحقق لهم الحماية المرجوه فيعمدوا الى استغلال هذه الظروف لتحقيق منافع شخصية ذاتية ، حتى وان تحقــق ذلك باقتراف اكبر الجرائم باتبــاع اسلــوب يضمــن لهــم الاستمــرار في ممارساتهم الاجرامية دون ان ينكشف امرهم امام السلطات المختصة ٠

وبالاضافة الى هــذه الدراســـة فقــد اثبتت الاحصــاءات المختلفــة ان الجريمة يمكن ان تقع من الاشخاص الذين يكونون في وضع اقتصادى جيد حيث اكدت هذه الاحصاءات انكثيرا من المجرمين هم ليسوا من الفقراء(١٤) ونحن نميل الى ترجيح هذا الاتجاه ، ونضيف بهذا الصدد : ان الفقــر لا يمكن ان يكون عاملا مباشرا في اقتراف الجريمـــة ، لان هنــاك كثيرا مــن المعاني الفاضلة لاتنشأ في ظل الغنى او الفقر لكنها يمكن ان تؤثر تأثيــرا ايجابيا في توجيه سلوك الانسان نحــو الخير والفضيلــة ونعترف في الوقت نفسه ان الفقر لدى فرد يتصف بضعف الوازع الاخلاقي يمكن ان يؤثـــر تأثيرا سلبيا في سلوكه ، الا ان الفقر لايمكن بحد ذاتــه ان يكــون عامــلا اجراميا على الرغم من صعوبته ومرارته ولذا قال سيدنا علي كــرم اللــه وجهه : ((كاد الفقر ان يكون كفرا)) لان القناعة والنزاهه وعفة النفس ونقاوه الضمير وطهارة القلب من الحسد والحقد والانانية مــن شأنهــا ان تصفي الروح وتنقي النفس وتطهر القلب ، وحتى وان كان مــن يحمــل هذه الصفات فقيرا او محروما لعدم وجود العلاقة بين هذه المعاني الروحية وبين المال ، نظرا لما تحققه هذه المعاني للفرد من مزايا كبيرة تتمثل فــي

---

١٤ ــ د ٠ عبد الفتاح الصيفي ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، د ٠ يسر انور علي ود ٠ امــال عبد الرحيم عثمان المرجــع السابــق ص ١٦٠ ، ١٦٢ ٠

الملجأ الامن والحصن الاخلاقي والملاذ الروحي . وهذا لايعني باننا ندعو الى اليأس والقنوط والكسل فهذه المعاني تسير جنبا الى جنب مع المعاني القيمة التي حث المصطفى صلى الله عليه وسلم على اشاعتها ومنها حب العمل بقوله ((من امسى كالا من عمل يده امسى مغفورا له)) وقوله ((اليد العليا خير من اليد السفلى)) ، لان الانسان الغني ان وتجرد من هذه المعاني فان مايمتلكه من مال وثروه لاتحول بينه وبين الجريمة ، فلو كان انانيا ذو قلب حقود فانه لايفكر الا في تحقيق مصلحته الخاصة ، حتى وان كان في تحقيقها ضررا للاخرين ، كما انه لايحس بالرحمة تجاه احد لان قلبه خاليا من معاني الحب لافراد مجتمعه ، بل على العكس من ذلك فأنه يفرح لتألمهم ويحزن لفرحهم ، وانسان بهذه الصفات تهون عليه الجريمة وبحق من كان ، ولاتعصمه حالته فيما اذا كان غنيا ام فقيرا .

٣ ـ يؤخذ على الاستاذ بونجيه ميله الى التعميم من الحالات الفردية وهذا يتنافى مع الاسلوب العلمي الصحيح ، لان الاخذ بمنطق هذه النظرية يعني ان كل من يعيش في ظل النظام الرأسمالي يجب ان يقترف الجريمة بالنظر للربط المحكم الذى اظهرته النظرية بين الاوضاع الاقتصادية السائدة وبين السلوك الاجرامي ، فقد ثبت علميا ان كثيرا من الافراد الذين يعيشون في ظل هذه الاوضاع مازلوا بعيدين في سلوكهم عن الجريمة، وثمة دليل اخر مستمد من الواقع المعاصر يدحض المفهوم المعاكس لهذه النظرية والقاضي : ان المجتمعات ذات النهج الاشتراكي تختفي فيها الجريمة ، فالمجتمع السوفيتي الذى يمثل طليعة المجتمعات الاشتراكية لم ينجح في استئصال جذور الجريمة من افراده(١٥) .

---

١٥ ـ د . عوض محمد ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ و ١٠١ د . فوزيه عبد الستار المرجع السابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

وصفـــوه القـــول :

ان التعميم والاطلاق الذى امتازت به هذه النظرية اضافة الى القصور في المتصور الذى وقع فيه بونجيه قد حجبت عنه جوانب مضيئه ومهمة مـن السلوك الانساني ، فالحقيقة الاجتماعية ينبغي للاحاطة بها ان ينظر اليها من جميع جوانبها دون الاقتصار علـى جانـب واحد ، كـي تأتـي الرؤيـا متكاملــــــة .

الفصـــل الثالث

التفسير التكاملـي للظاهـرة الاجراميــة

عرضنا في الفصلين السابقين اهـم النظريـات المشهورة في ميدان الدراسات الجنائية والتي حاولت تفسير وتحليل الظاهرة الاجرامية سـواء اكانت بصفتها ظاهرة فردية ام بصفتها ظاهـرة اجتماعيـة ومـن خـلال دراستنا التحليلية التأصيلية تبين لنا انه لايمكن اسناد الظاهرة الاجرامية الى عامل واحد سواء اكان هذا العامل فرديا او اجتماعيا ، وقد اثبتنا مـن خلال هذه الدراسة قصور كل هـذه النظريـات وعجزهـا عـن ان تحيط بالظاهرة الاجرامية بمفردها كما تبين لنا خطا التعميم والاطـلاق الـذى وقعت فيه بعض هذه النظريات •

وبما ان الظاهرة الاجرامية ثمـرة العوامـل الفرديـة والاجتماعيـة معا هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فأن العلمـاء النظرييـن يتجاهلـون العلماء الذين يميلون الى الدراسات التطبيقية التجريبية ، لان النظرييـن يتجهون نحو التجريد والتعميم في حين يعمد التطبيقيون الى دراسة كـل حاله على حده بعد مراعاة الظروف الخاصة بكل حاله ، وعلى الاغلب تكون هذه الظروف متباينة •

ومن اجل تفادى هذه العيوب وحرصا على تحقيق تفسير تكاملـي للظاهرة الاجرامية ، لابد من تظافر كـل الجهود بحيـث يتعـاون جميـع المتخصصين في البيولوجيا وعلم النفس وعلـم الاجتمـاع وعلم الاقتصـاد وغيرهم مع اقتران الدراسات النظرية بالدراسات العلمية من اجل الوصول

الى نتائج اشد ثباتا واكثر اتساعا (١) .

وبناء على ماتقدم فاننا سنعرض لاهم النظريات ذات الطابع التكاملي في مبحثين نخصص اولهما للتفسير الاسلامي للظاهرة الاجرامية ونعرض في ثانيهما لنظرية الاستعداد الاجرامي .

---

١ ـ د . عبد الفتاح ود . محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ص ١٣٠، ١٣١ ، ١٣٢ .

المبحث الاول

التفسير الاسلامي للسلوك الاجرامي

حرص الاسلام منذ فجره على بناء مجتمع سليم يمثل القاعدة الصحيحة في انشاء دولة الحق والعدل التي جاء لاقامتها ، ولما كان اقامة المجتمع السليم لايتحقق بدون اعداد اللبنات الاولى فيه وهم الافراد ، لذا فقد كان للفرد النصيب الاوفى في مهمة البناء والاعداد حيث كان دائما مكان الرعاية والاهتمام ، اذ بذل الفقهاء المسلمون ما في وسعهم من أجل التوصل الى هذه الغاية والعمل على تحليل وتفسير السلوك الاجرامي من خلال التصور الاسلامي لشخصية الفرد وتهيئة مستلزمات صيانته لان اساس المجتمع الصالح هو الفرد الصالح وحرصا منهم على ان تؤتي هذه العملية ثمارها فقد وضعوا قواعد رصينة تحكم عملية اصلاح وتهذيب الفرد مستهدفين صلاح المجتمع الاسلامي ونظافته من الجرائم والانحرافات، ومن اجل ذلك كان الاعداد يقوم على مرحلتين : ـ

المرحلة الاولى : الصياغة الاخلاقية الموحدة :

يقيم الاسلام قواعده الاخلاقية في اتجاه الانسان على اساس انه الغاية في التكوين والغاية في الاعداد وليس وسيلة كما يراها البعض يستخدمها لتحقيق غاياتهم ، وتحقيقا لذلك ينبغي ايجاد الذات الانسانية المستقلة بحريتها وكيانها ليكون للالتزام الاخلاقي من جانبها اثر تبرز فيه شخصية الانسانية العامة وبعد تحقيق هذه الذات الصالحة يحرص الاسلام على ايجاد التناسب بين مجموع الذوات الانسانية المستقلة في القيم والتي تدافع عنها الشريعة في نفس الاتجاه الذى نادى به المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، بقوله ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))

ومعنى ذلك ان هذه الشريعة جاءت من اجل وضع انساني متطور لايتحقق الا بتعامله مع صيغ انسانية منفرده للطبائع البشرية والتي ينبغي ان تتوحد في إتجاه واحد ، والذى نقصده بالوحده هنا الوحدة الروحية وليست الوحده المادية . ولانقصد بالطبائع البشرية ما يتعلق منها باصل الخلقه لان الناس في اصل خلقهم متحدون متشابهون منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال تعالى : (خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير(٢) وقال تعالى (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)(٣) . وبسبب هذه الحيقة جرى نقاش واسع :

هل ان المساواة في الخلقه تفرض بالضرورة مساواة انسانية في التعامل تجعلهم صالحين لحالة مشابهة ؟ تولت نظرية الانماط الاجابة اذ تقسم الناس الى مجموعات متعددة تمثل كل منها نمط متميز وعلى حد قول الاستاذ سبرانجر : ان الميول والنزعات انما هي تعبيرات عن خلق الانسان الموروث ولذا فقد افترض وجود ستة انماط من الشخصيات ، وكان اساس هذا التقسيم قائم على الاحساس الذاتي بالقيم هي : ـ

النمط النظرى والجمالي والاقتصادى والاجتماعي والسياسي والديني ويندرج تحت كل نمط مجموعة من الناس تتميز كل منها بخصائص واهتمامات بعيدا عن بقية الانماط ولذا فان الايمان واحدة شيء يستحيل وفقا لمنطلقات هذه النظرية .

اذا لابد من ايجاد صيغه جديدة تمكن لجميع افراد الانسانية من خلالها مهما اختلفوا في انماطهم من ان يندرجوا تحتها بشكل من اشكال الوحدة ، اى تكوين مجموعات متشابهه تشكل الارضية الصالحة والتربة

---

٢ ـ سورة التغابن ، الاية رقم (٣) .
٣ ـ سورة الاحزاب ، الاية رقم ٦٢ .

الخصبة لمجتمع يطور حاجاتهم الانسانية ، ويهذبها ويوجهها برباط اخلاقي فعال ومؤثر ، حرصا على بقاء الانسان متميزا عن بقية مخلوقات الله . وهذه الصيغه الانسانية للطبائع البشرية هي التي تظهر صلاحية التشريع الاسلامي من خلال نظرته الى الفرد والمجتمع ، وما يترتب على هذه المعادلة من علاقات ينبغي ان تتصف بالنمو والتأثير الايجابي لتحقيق الغايه المشتركة ل ما ، ولكي تتحقق الاخلاق الانسانية هذه بين الافراد كان ان تتبنى مفهوما يختلف عن المفهوم الاوربي الذى يرى ان الاخلاق يمكن ان تتخذ اوجه مختلفة وتتنوع تبعا لذلك انواعا تجري عليها نظرية النسبية والتناسب فتأخذ شكل الازدواجية والانقسام اما عند الفقهاء المسلمين فانها تتخذ طابعا يختلف عما ذهب اليه الاوربيون في شتى نظرياتهم المتعلقة باثر الاخلاق على السلوك الانساني ودورها في الحد من ظاهرة الجريمة ؛ فالاخلاق ينبغي ان تتصف بصياغة متكاملة توحد بين الايمان والعبادات والمعاملات وكافة انواع السلوك اذ ليس هناك فرق البته بينما هو روحي وبينما هو مادي لان كليهما يخضعان لنفس القواعد الاخلاقية العامة(٤) .

المرحلة الثانية : تربية الضمير الديني لدى الفرد :

تتصل الشريعة بالضمير الانساني المتدين ، فضمير المسلم هو الذى يربطه بالرقيب الذى لاينام ، مما يجعله يحس دائما بوجود رقيب يطلع على السر والنجوى ويعلم خفايا الانفس ذلك المبدع الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وعندئذ يكون من الصعب على الفرد وهو بهذه الصورة

---

٤ ـ د . احمد الكبيسي ، دور الشريعة الاسلامية في الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاقتصادى ، بحث مقدم الى المؤتمر العربي الثاني عشر للدفاع الاجتماعي ، الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاقتصادى ، الرباط ٢٥ـ٢٨ تشرين الاول ١٩٨٢ ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

ان يبتعد بسلوكه عن طريق الخير والرشاد لانه وضع من نفسه رقيبا وحسيبا على جميع اقواله وافعاله وتصرفاته ، وبما ان هذا الالتزام ينبع من اعماق النفس البشرية فان اثره يكون اشد وقعا من سلطة القانون او رقابه الدولة باعتبارهما سلطة خارجة عن النفس كما حرصت الشريعة على وقاية القلب وعلاجه من الامراض المعنوية التي تصيبه كالحسد والانانية والحقد والتي تبعد الانسان عن ادميته . فتجعله لايفكر الا في مصلحته ومنفعته ولو على حساب الاخرين . وكعلاج لهذه الافات فقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على حب الاخرين من خلال الربط الوثيق بين الحب والايمان بقوله صلى الله عليه وسلم (لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه) .

لان من شأن هذا الحب تطهير القلب وتنقيته من الامراض التي تؤثر على نقاوته وطهارته ، فالقلب اذا بقي نقيا طاهرا فان سلوك وتصرفات الانسان تكون طاهرة مثله لان السلوك الانساني في حقيقته ماهو الا تعبير صادق عن سجايا النفس وخلجاتها الداخلية لذا يمكن الاستدلال على سلامة القلب بتطابق الظاهر مع الباطن كما قال علماء الكلام في تعريف الايمان : (ما وقر في القلب والجنان وصدقة اللسان والبنان) اما الاختلاف فهو مؤشر على ان هذه النطفة النقية الطاهرة قد تلوثت واحاطتها غشاوة حجبت نقاوتها بحيث ان صاحبها لم يعد يفرق بين الحق والباطل وبين الخير والشر بحيث ينظر الى الشر فيحسبه خيرا وينظر الى الباطل فيحسبه حقا مصداقا لقوله تعالى : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)(٥) .

---

٥ ـ سورة البقرة ، الايات ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

لذا فان السلوك الاجرامي ينشأ من الخطا في المتصور والوهم في التفكير الذى يؤدى الى قلب الحقائق وما الظاهرة الاجرامية في المجتمع الا نتيجة لاصابة مجموعة من افراده بهذا المرض الخطير الذى ينتج عنه انحراف في التفكير واضطراب في المنفس يؤدى الى اقتراف السلوك الاجرامي دون شعور او احساس بالخطيئة من مقترفه لقناعته بان ما يقوم به عمل مباح ومشروع ٠

وقد اكد السيد الرئيس صدام حسين على رعاية المنهج الروحي بقوله : (نظرنا الى مسألة صلة رجال الدين واماكن العبادة بنظرة تنطلق من روح منهجنا المثبت لديكم والمنشور باننا نرعى اماكن العبادة ونرعى المنهج الروحي الديني ونسهل كل المستلزمات التي تعمقه في نفوس ابناء الشعب(٦)

وبناء على ماتقدم فان تربية الضمير الديني ووقاية القلب من الامراض والعلل التي تصيبه من شأنه ان يوجد افضل العوامل والاسباب لوقاية المجتمع من الجريمة والانحراف ، ومن الاثار الايجابية لهذا المبدأ : ـ

أ ـ انه يحول دون وقوع الجريمة لان الضمير المستيقظ والقلب السليم لا يكون فيهما مكان للحقد والانانية والحسد ، وهو خير دليل على صفاء النفس وطهارتها ، ومتى صلحت الانفس اشتدت الالفة وقويت الصلة وازدادت المحبة وزادت معها بالتالي الاسباب المانعة من وقوع الجريمة اما صاحب القلب الحقود والخلق الحسود فانه لايحس بالرحمة اتجاه ابناء مجتمعه ولايحمل مشاعر الحب بل على العكس من ذلك فانه يفرح عند شعورهم بالحزن ويحزن لفرحهم ومن يتلذذ بشقاء وعذاب الاخرين دون

(٦) حديث الرئيس القائد مع رجال الدين في محافظات النجف وبابل والقادسية ومثنى وواسط يوم ١٣ ـ ٧ ـ ١٩٨٢ ٠

ادنى شك هو انسان شرير خطير لايتردد في اقتراف السلوك المجرم بحق الغير في اى لحظة ٠

ب ـ سهولة اثبات الجرائم ، فكما هو معلوم ان غالبية الجرائم ترتكب في الخفاء حيث بينت الاحصاءات الجنائية بان الجهات المختصة قد يتعذر عليها اكتشاف الكثير من الجرائم لوقوعها بهذه الصورة وهو ما عبرنا عنها سابقا بالرقم المظلم اى الفرق بين عدد الجرائم المرتكبة فعلا وعدد الجرائم المسجلة رسميا لان متى ما احس مقترفوا هذه الجرائم بان الواجب الديني يملي عليهم الاقرار باقترافهم هذه الجرائم ، او التبليغ عنها فانهم لايترددون من القيام بذلك تنفيذ الامر البارى عز وجل ٠

وفي التاريخ الاسلامي نجد شواهد مشرقة يتجلى فيه مبدا التفكير عن الجريمة وان اقترفت سرا اذ اعترف الكثير من المسلمين بارتكابهم الجرائم طواعية حتى وان كانت النتيجة المترتبة على هذا الاعتراف فقدان حياتهم كما في جرائم الزنا بالنسبة للمحصنين حرصا من هؤلاء على نيل العقاب في الدنيا والذى من شأنه ان يطهر انفسهم في الاخرة فشعور الجاني واحساسه بان الذى يناله انما هو تطبيق لامر البارى عز وجل وليس للفرد اى دخل فيه ، هو الذى يفسر حرص الكثير من مرتكبي الجرائم والمعاصي على الاقرار باقتراف جرائهم ونيل الجزاء المفروض مما يساعد على توبتهم واندماجهم في المجتمع(٦) ٠

اما في الاطار الاجتماعي فقد حرصت الشريعة على بناء المجتمع السليم بنفس القوة التي يتم بها بناء افراده ٠

---

٦ ـ محمد ابو زهرة ، الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي ، القاهرة ، ص ٢٦ ، عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي القاهرة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ ، الجزء الاول ـ القسم العام ص ٣٥٢ ـ ٣٥٥ ٠

ومن مظاهر المجتمع الصالح وجود الرأى العام الفاضل الذى يشعر فيه المجتمع بقوة خفيه تساعده في المحافظة على وجهة النقي الطاهر وتتمثل هذه القوة في رد الفعل الاجتماعي العام الذى يستخدم الحياء كمانع يحول دون وقوع الجريمة(٧) والكلام عن شخصية الفرد الصالح في المجتمع الصالح من خلال التصور الاسلامي كثير لا يمكن الاحاطة به بمثل هذا البحث الموجز لان الشريعة الاسلامية كما سبق ان ذكرنا متكاملة الاهداف متناسقة الاتجاهات ثرية بقيمها ومبادئها ينعم فيها الفرد باكبر الضمانات التي تحقق له الطمأنينه والسلامة وعزة النفس وفي ظلها يجد المجتمع قوة وتماسك تقاوم التصدع والانحلال ، ولهذا فان احدث الاتجاهات في نظرية الدفاع الاجتماعي ومبادىء السياسة الجنائية المعاصرة تتفق مع ماتهدف أليه الشريعة الاسلامية من اصلاح الخطا وتهذيب المخطى باصلاح الفرد وتأهيله ليعود فردا صالحا تسعد به امته ، وقد اكد صراحة هذه الحقيقية الاستاذ مارك انسيل الزعيم المعتدل لنظرية الدفاع الاجتماعي ورائد الاتجاهات الجديدة والاصلاحية فيها بقوله : (ان الفرصة مواتية للبلاد العربية لتطبيق مبادىء الدفاع الاجتماعي بعد ان تحررت من الوصاية الاوربية واتجهت الى تراثها الاصيل تنهل من مبادئه(٨) .

ومن هذا الفرد الصالح يتكون المجتمع الصالح الذى اناط به الاسلام مسؤولية كبيرة تتجلى بحرصه على تطبيق مبادىء الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة والانحراف من خلال الدور الذى يلعبه الجمهور لتحقيق هذه

---

٧ ـ الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي الاسلامي واثرة في مكافحة الجريمة الرياض ١٦ ـ ٢١ شوال ١٣٩٦ هـ الجزء الاول اثر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكافحة الجريمة ص ١٧٩ ـ ٢٠٥ .

٨ ـ انظر توصيات ندوة الدفاع الاجتماعي والسياسة الجنائية من خلال التشريع الاسلامي ، الرباط ١١ ـ ١٣ ايار ٩٨١ ص ٧ ، ٨ .

الغاية ، حيث اكد الفقهاء المسلمون على : ان الجمهور ليس متطوعا ولا متبرعا فيما يقوم به من مهمة صيانة المجتمع ووقايته من الجريمة والانحراف بل هي مسؤوليته التي لابد منها لصيانة امن المجتمع وسلامته فواجب الرقابة هذا والاخذ على ايدي المفسدين ليس انتقاما منهم بقدر ماهو دفاعا عنهم ورعاية لشؤونهم واهتماما بمصالحهم وحفظا لامنهم واستخلصوا في خاتمة قولهم القاعدة الاتية : (ان الرقابة الاجتماعيه على كافه شؤون الحياة ضرورية لتحقيق المجتمع الفاضل ، ولايمكن تحقق هذا المجتمع بغياب هذه الرقابة(٩) .

لذلك نجد ان القرآن الكريم قد عبر عن الضمير الديني بالتقوى ، فتقوى الله هو اساس تكوين الضمير الديني ، وذلك من خلال ربط اى تعامل بالتقوى قال سبحانه وتعالى : (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون) .

هذا هو خطاب الله نفذ اليهم من خلال ضمائرهم الدينية هذا الضمير الذى ادب صبية صغيرة كانت تجمع الحليب لتبيعه في السوق فقالت لها امها : ـ يابنيتي امزجي الحليب بالماء ، فقالت لها الصبية لقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك فقالت لها أمها ولكن عمر ليس معنا ، فاجابتها الصبية بثقة ومن خلال ضميرها الديني اذا لم يكن عمر معنا ، فأن الله معنا يسمع ويرى .

---

٩ ـ د . حمد عبيد الكبيسي ، نظرة الشريعة الاسلامية الى دور الجمهور في منع الانحراف ووقاية المجتمع بحث مقدم الى الحلقة الدراسية الخاصة بدور الجمهور في منع وقوع الجريمة والوقاية منها ، مجله الجامعة المستنصرية ، العدد الثالث ٩٧٣ـ٩٧٤ ص ٣٢٤ ومابعدها .

المبحث الثاني

نظرية الاستعداد الاجرامي

تختلف نظرية دى توليو عن غيرها في تحليل السلوك الاجرامي من وجهة وتتفق معها من وجوه اخرى ، اما وجهة الاختلاف . فان النظريات التي ذكرناها سابقا . حددت كل واحدة منها عاملا واحدا خاصا بالسلوك الاجرامي ، وهذه النظرية لم تحدد عاملا واحدا بل حددت عوامل شتى ولهذا اعتبرناها مختلفة ومتفقه . اما وجه الاتفاق فان نظرية دى توليو اخذت كافة النظريات المذكورة سالفا وجعلت عواملها متكاملة في نظرية تكاملية حللت السلوك الاجرامي ليس بناء على سبب واحد كما فعل فرويد في الاتجاه النفسي او كما فعل لومبروزو في الاتجاه البيولوجي او العامل الاقتصادى كما فعل بونجيه او العامل الاجتماعي كما فعل سيلين بل جعلت كل سبب من اسباب تلك النظريات متحدا في تكوين الظاهرة الاجرامية .

واساس هذه النظرية قائم على فكرة التكوين الاجرامي اى الاستعداد الفطرى وهو مايمتاز به المجرمون عن غيرهم في اقتراف الجريمة ويبدو لنا ان هذا الاستعداد كأنه نبته مصغره في دور سباتها متى ما تهيأت لهما ظروف الانبات اورقت وكذلك ومن اودع فيه التكوين الاجرامي فمتى ما تهيأت له الظروف الملائمة فانها توقظ هذا الاستعداد في نفسه وتتفاعل معه فيؤدى ذلك الى حدوث خلل في تفكيره يدفعه لارتكاب الجريمة ، وتبدو اثار هذا الاستعداد في الانفعالات اللاشعورية التي تضطرب بها العاطفة بالاستفزازات الخطيرة او الفجائية ولهذا فقد سمي دى توليو المجرمين الذين يقترفون الجريمة الفجائية المجرمين بالصدفة وهي الذين يتحقق لديهم التكوين الاجرامي ايضا ، وقد استدل دى توليو على ذلك بقوله ان المحفزات الخارجية ذاتها لو اصابت رجلين معينيين على سبيل المثال لكان

اثرها على احدهما اشد وقعا من الاخر ولعل احدهما يقترف الجريمة والاخر يحجم عنها وما علة ذلك عنده الاتحقق الاستعداد الاجرامي لدى احدهم دون الاخر ، ومن الاسباب الاخرى التي اعتمدها في نظريته ما اسماه بالمرض الاجرامي وهو على سبيل التشبيه فكما ان الانسان يمرض جسما فانه يمرض نفسا وروحا بداء الاجرام ثم يقترف الجريمة نتيجة لهذا المرض ٠

اما من حيث الاستعداد فقد قسمه الى قسمين ، الاستعداد الاجرامي الاصيل ، والاستعداد الاجرامي العارض ويبدو ان القسم الاول اشد خطرا على المجتمع من القسم الثاني لان المجرمين بالاصالة يتسمون بالعود والممارسة واحتراف الاجرام فلا عقاب يحول بينهم وبين اقتراف الجريمة ، ولاأصلاح ينفرهم من هذا المأزق لانهم نشأوا على الجريمة ولاتحول اي جزاءات بينهم وبين هذا الداء الاجتماعي الخطير نظرا لاتصاف هذا الاستعداد بالثبات والاستمرار ، اما القسم الثاني فهو الاستعداد الطارىء او العارض ويعني ان المجرم لم يكن مستعدا لاقتراف الجريمة قبل وقوعه في هاويتها بل كان سويا مستقيما شاءت الاقدار المتمثلة بظروف الاستفزاز الخطير او الانفعال الشديد كاليأس والحقد والشعور بالحيف الاجتماعي او الحرمان الذى اذا الم باحد ربما دفعه الى الجريمة ،وقد سمى هؤلاء بالمجرمين العاطفيين(١٠)٠

---

١٠ ـ د ٠ فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٦٥ ، ٦٦ ٠

ويقرر دى توليو ان دراسة شخصية المجرم يجب ان تكون دائما دراسة متكاملة ، وهذا يعني ان المختصين بدراسة الاشكال والوظائف والنفس يتعين ان تكون دراساتهم متكاملة مع بعضها البعض بالاختبارات العضوية التصويرية التي لها الدور الرئيس للوصول الى الغاية التي تسمح بمعرفة السلوك الفردى ، لذا فانه من غير الممكن تقييم ووزن طبيعة كل فعل يرتكب ضد هذا المجتمع كفعل جنائي ، مادام ان الشخصية الجنائية يصعب الاحاطه باشكالها ومظاهرها المختلفة كالاعضاء والنفس والاستعدادات الخاصة ، وفي الحقيقة فانه ينبغي عند دراسة الكيان الخاص للاستعدادات الفردية ، البحث عن السبب الذى يعد سببا خاصا بحيث يمكن الدراس من الوقوف على الفكرة غيرالاجتماعية بفضل التطور الذى يسمح باجراءمثل هذا التحقيق ٠

وان سبب الجريمة هو مزيج من العوامل العضوية والاجتماعية والحقيقه ان كل مظهر جنائي دائما يكون ناتجا عن الرابطة الموجودة بين الاستعداد لاتخاذ موقف مناهض للمجتمع وبين البيئة ، فهذه الاسباب تستهدف البيئة والاستعداد او هي عوامل مساعدة (ثانوية) وملائمة ٠

وهذه الدقة يمكن الوقوف عليها في ظل المعرفة للاستعداد الفردى حيث ان هذه الاساس في التقييم الديناميكي الجنائي الذى هو دائما يعد نتيجة للرابطة التي تقوم على اساس كل حالة على انفراد في ضوء العوامل السببيه والاكثر دقة بين التحريض الاجرامي والحث عليه وبين المانع من ارتكاب الفعل الجرمي ، بين القوى الانانية والامتناع من الاتجاهات الجنائية ، كاهلية المنع والمقاومة بصفة عامة وبين النشاطات الفردية ، والاهليه الملائمه للحياة الاجتماعية ، وهذا يعني استعداد الوسط الاجتماعي ٠

وان الاعتراف بخطورة الجريمة ، واهلية ارتكابها ، وخطورة حضور المجرم لايمكن ان نحصل عليه الا باختبار الجاني وموقفه من الوسط الاجتماعي

على ان تراعى المعايير الاساسية العلمية والاستعداد من الاساليب التي اشرنا اليها من الناحية النفسية .

ان تعبير الاستعداد الاجرامي تشير الى حالة سابقة لارتكاب نسوع من الجرائم ، وهذا يعني الاهلية التي توجد لدى بعض الاشخاص لارتكاب افعال جريمة ، على وجه العموم خطيره ، ويتبع ذلك تحريضات او اغراءات خارجية تجعل الشخص يخضع لفعل فيتقاد اليه(١١) .

ولذا فانه يقرر في هذا الصدد . ان الرجل العادى ليس هو الرجسل الخير الفاضل ، بل هو الرجل الذى ستهيأله درجة من القدرة تتيح له التكيف بصفة ثابتة مع ضرورات الحياة الاجتماعية وادراك قيمة افعاله قياسا على القواعد الاخلاقية المكتسبة .

فالانسان يقع تحت تأثير الخير والشر والحب والبغضاء والنهم والقناعة والاجرام والبراءة اى ليس كل الناس مجرميسن وليس كل الناس عاديين . والعاديين لو اتيحت لهم فرص الاجرام لاقترفوا الجريمة بعد تفاعل شخصياتهم مع ظروف بيئية معينة(١٢) .

تقييم نظرية دى توليو :

أ ـ مزايا النظرية :

ما من نظرية الا يؤخذ منها ويرد عليها مهما بلغ مداها وقد اخذ منها ما جعلها تمتاز به ، الا وهو تعدد العوامل وتفاعلها لانه لم يقتصر على عامل واحد كما فعل غيره ، اذ تطرق قبله لومبروزو وفرويد وبونجيه وانتقدوا جميعا ، والواقع يؤيد ماذهب اليه دى توليو اذ غالبا ما تجتمع العوامل

---

١١ ـ D. Di Tullo, op.cit, p. 87

١٢ ـ د . عوض محمد ، المرجع السابق ص ٨٦ ، ٨٧ .

العضوية والاجتماعية اى الظروف الداخلية والخارجية فتتفاعل ثم ينتج عن تفاعلها السلوك الاجرامي .

ومن مميزات نظرية دى توليو ايضا ابداعه في الربط بين العلاقة النفسية والعلاقة العضوية ، اذ غار عميقا في دراسة الانسان نفسا وفسلجة وبين ان من اثار اقتران هذين العاملين نشوء الجريمة ، ونحن نلتقي معه في جانب ونختلف في جانب اخر ، فوجه الاختلاف ان الفسلجة في نظرنا لا علاقة لها البته باقتراف الجريمة لان الله تعالى ابدع الانسان غاية الابداع فطره واستعدادا ، قال سبحانه وتعالى : ((لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم)) (١٣) حيث تدل هذه الصياغة على ان الانسان تجلت به عناية الله ، في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق سواء في تكوينه الجثماني البالغ الدقة والتعقيد ام في تكوينه العقلي الفريد ام في تكوينه الروحي العجيب وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين النفسي ، فالانسان يولد وهو بريء الذمة نقي السريرة صافي الفطره .

اما وجه الالتقاء فان النفس قد تكون سببا في اقتراف الجريمة . لان الله تعالى اودع فيها الاستعداد الفطرى لفعل الخير والاستعداد الفطرى لفعل الشر ، قال سبحانه وتعالى (ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، وقد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) (١٤) ، وهذه الايات الاربع مرتبطة ومكملة للايات التي تشير الى ازدواج طبيعة الانسان ومن خلال هذه الايات تبرز لنا النظرة الى الانسان بكل معالمها فهذا الانسان مخلوق مزدوج الطبيعة مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد انه بطبيعة تكوينه مزود باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر كما انه قادر على

---

١٣ ـ سورة التين الاية رقم (٤) .

١٤ ـ سورة الشمس ، الايات ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ .

توجيه نفسه الى الخير والى الشر سواء بسواء وان هذه القدرة كامنة في كيانه •

نقد نظرية دى توليو :

لعل ابلغ الانتقادات الموجهة الى نظرية دى توليو انه اعتمد اعتمادا اساسيا على علم الفسلجة وجعل افرازات الغدد البشرية لها اثر مباشر على اقتراف الجريمة ، اذ اضطربات الغدد براية تؤثر على الاضطربات العقلية ،والمجرم بنأعلى هذا مريض جسميا قبل ان يمرض سلوكا بناء على منطلق نظريته •

وقد انتقد بنأ على هذا ، لانه لم يقدم اى دليل علمي يثبت وجود العلاقة بين افرازات الغدد والسلوك الانساني المفضي الى الاجرام ثم علمأ الفسلجة والتشريح لم يثبتوا ولم يكتشفوا غدة لها علاقة مباشرة بالجريمة سلبا او ايجابا . ولو افترضنا صحة نظريته لوجب على فقهاء القانون رفع العقاب عن المجرم لانه بناء على نظرية دى توليو مريض والمريض لاحرج على افعاله بالضرورة ، فلا عقاب على جريمة لم تقترف لولا المرض وهذا الرأى يصعب التسليم به •

وثم خطا في المنهج العلمي وقع فيه دى توليو الا وهو اعتماده على ثله قليلة جدا من المجرمين الذين حللهم فسلجة ثم عمم نتائج ما توصل اليه على الناس كافه في كل زمان ومكان ، ولم يعتمد التحليل الفسلجي على المستقيمين الاسوياء ليقارن بينهم وبين المجرمين الذين حللهم فسلجة ، وحيث لامقارنه بين المجرمين والمستقيمين ولانه لم يعتمد على شرائح مختلفة مؤتلفه بل اعتمد على النزر اليسير فلا يمكن تعميم نظريته على المجتمع الانساني الكبير •

وقد تجلى لنا من خلال اطلاعنا على رأى المختصين ذاتهم اعني

المختصين منهم في علم الاجرام وعلى رأسهم الفقيه الايطالي جرسبيني حيث وجه نقدا لاذعا لهذه النظرية اثرنا ان نجمله بالفقرات الاتية : ـ

١ ـ ذكرنا انفا ان عماد هذه النظرية قائم على الربط الوثيق بين الغدد العضوية والحياة العقلية ولقد تسائل الفقيه جرسبيني وهو ينتقد دى توليو انه سعى الى تفسير السلوك الاجرامي داخل نطاق التكوين العضوى للمجرم ، وكان من الاجدر به ان يبحث في نطاق (العوامل النفسية) عن الاسباب الدافعه مباشرة الى اقتراف المجرم لسلوكه الاجرامي حتى يتسنى له معرفة الحقائق الكاشفه عن شخصيته الاجراميه •

٢ ـ ومن ناحية اخرى يصف جرسبيني دى توليو بالتجاوز والاسراف ويتجلى هذا الاسراف بالنسبة للمجرمين العاطفيين اذ ربط دى توليو بين السلوك الاجرامي لهذه الفئة من المجرمين وبين فكرة التكوين الاجرامي لذا لم يفرق البته بين المجرم المتمرس وبين المجرم بالصدفه بل لم يفرق بين من اقترف الجرائم الخطيره وبين من اقترف الجرائم التافهه بل والتافهه للغاية وهذا خطا سجله جرسبيني على دى توليو اذ شتان بين المجرم المتمرس والمجرم بالصدفه . ثم الغدد العضويه لو كان لها تأثير مباشرة على الاضطرابات العقلية ومن ثم السلوك الاجرامي لما وجد المجرمون صدفه . اذ لايوءيد المنطلق السليم ان الغدد تمرض فجأة وتشفى فجأة ، ثم كيف يستفحل في الغدد الداء وتقترف الجريمه صدفة ثم يمن على الغدد بالشفاء بلا دواء هذا كلام لاينسجم مع المبادىء المنطقية المتفق عليها عقلا •

٣ ـ ما نظرية دى توليو الا امتداد النظرية لومبروزو وقد وجهنا ما امكن ما توجهه من نقد الى نظرية لومبروزو في موضعه فلم نرى موجبا لاعادته وحسبنا ما نقل عن جرسبيني انه قال (ان دى توليو بنظريته هذه لم يضف تحسينا يعتد به الى ما سبق للعالمين لومبروزو وفيرى ان اعلناه

بصدد فكرة الاستعداد للاجرام) • ونقل عن جرسبي ايضا انه قال (ان دي توليو بآرائه هذه قد منح خصوم المدرسة الوضعيه حجه يعولون عليها في نقدهم لهذه المدرسة فيتهمونها بالقصور وينسبون اليها انها تقتصر دراسة الظاهرة الاجرامية على النواحي البدنيه و الباثولوجيه كما ينسبون اليها انها تنتهج فلسفة مادية) (١٥) •

ولعل اعتراف دى توليو دليل على تأرجح نظريته وعدم ثباتها لصعوبة بقاءها راسخة تجاه النقد الهائل الذي وجه اليها ويبدو من خلال اعترافه ان العوامل الاجتماعيه لها قيمه كبرى وسبب بالغ على السلوك الاجرامي ، ومع ذلك فان اساس المدرسة الوضعيه اعتمد على فكرة التكوين الاجرامي التي نادى بها دي توليو وغيره •

وقد نقل عن دى توليو قوله (لابد ان اقرار عجزى عن فهم كل شيء وتفسير كل شيء ففي ميدان كهذا الميدان يكتشف المتامل في كل مره سببا جديدا ويدرك ان الظاهرة المتطوره (يعني العوامل الاجتماعية) لاتلغي الظاهرة المنشئه (يعني العوامل الانثربولوجيه) وانه في داخل كل انسان يعيش العلوم الى جوار المجهول والطبيعي (اى الاعضاء والاعصاب والغدد) الى جانب غير الطبيعي (يعني القوى النفسية والاجتماعية) والمحدود (اى الجسم) جنبا الى جنب مع غير المحدود (اى النفس والروح) (١٦) •

وصفوة القول :

ان نظرية دى توليو تنتقد لانها تمسكت بفكرة التكوين الاجرامي ولانها ابتعدت عن المساواة ولم تفرق بين المجرمين صدفة او ممارسة ، ولم

---

١٥ - د • عبد الفتاح الصيفي ، د • محمد زكي ابو عامر : المرجع السابق ص ٩٢ ، ٩٣

١٦ • د • جلال ثروت ، الظاهره الاجرامية : الاسكندرية ، ٩٧٢ ، ص ٨٢

يشير الى اختلاف الجريمة نوعا وان هذه النظرية لاتعد البيئة الاجتماعية سببا مباشرة في اقتراف الجريمة ما لم يوجد الاستعداد المتمثل بالتكوين الاجرامي ، ثم الواقع عندنا خير ناقد لهذه النظرية اذ نرى اناس يتسمون بالبراءة والاستقامة في عمر مديد من الزمن يشهد لهم بذلك واذا باحدهم يقترف الجريمة بدافع خارجي لاعلاقه له البته بالتكوين الاجرامي كمن يقتل زوجته التي يراها متلبسة بجريمة الزنى مع عشيقها وكذلك من اقترف الجريمة حينما استفزه حادث قتل والده امام عينيه او اي حدث خارجي اولاه لما اقترف الجريمة البته ، والواقع في مفهوم الجريمة عندنا ناقد اخر لنظرية دي توليو اذ لاجريمة ولا عقوبة الابنص وكثير ما تختلف نصوص القوانين من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان فهل ياترى ان مرض التكوين الاجرامي يختلف عن نصوص القوانين ام ان نظرية دي توليو تعلم بالغيب بحيث تحيط بكل المتغيرات التي تقتضيها طبيعة المكان والزمان ٠

الباب الثالث

عوامل السلوك الاجرامي

يشترط الاستاذ سذرلاند على علم الاجرام كي يصبح علما بالمعنى الحقيقي لكلمة علم ، ان يتولى تنظيم العوامل المتعددة والمتشعبة والمتنافره التي ينسب اليها السلوك الاجرامي ، ويعمل على ايجاد وسائل تماسك بين هذه العوامل ، عن طريق وضع قواعد تفسيرية عامه يمكن ان يستند اليها في تحقيق التفسير العلمي والفني الذي يتضمن وصفا دقيقا للعوامل التي لابد من تظافرها لتكوين الظاهره الاجرامية (١٧) .

فالسبب قد يكون نتيجة لعامل واحد او نتيجة مجموعه من العوامل هذه العوامل قد تمثل عدة حلقات او مراحل في التسلسل السببي ، ثم ترتبط هذه العوامل بالسلوك الاجرامي بالرابطة السببية .

وقد تجلى لنا من خلال البابين الاول والثاني ، ان السلوك الاجرامي لايمكن ان يكون ثمره عامل واحد فحسب ، لان دراستنا التحليلية التأصيلية قد اوصلتنا الى حقيقة وهي ان الظاهره الاجرامية لايمكن اسنادها الى عامل واحد سواء اكان هذا العامل فرديا او اجتماعيا ، وانما هي ثمره تظافر العوامل الفردية والاجتماعية معا .

ولو تدبرنا مليا بالظاهره الاجرامية في مجتمعنا او في اى مجتمع اخر لوجدنا اغلب المجرمين ولدوا وهم يرفلون بحلية الفطره البيضاء ثم احاطت بهم مجموعة من العوامل الشعورية واللاشعورية تفاعلتمع بعضها حتى تمخضت عن عامل قد يكون واضح البيان ، وقد يكون مجهولا يتجلى

---

١٧ . د . عبد الفتاح الصيفي و د . محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ص ١٣ ـ ١٤

تأثيره في الجانب اللاشعوري للمجرم ، وعلى سبيل المثل قد يجتمع عامـل التشرد مع عامل الحرمان من عطف الابوين ثم يجتمع عامـل الشعـــور بالوحـــده في وحشة المعاناة مع عامل فقد الموجه العطوف الذي يأخذ بيد هذا المعذب واذا بتلك العوامل الشعورية واللاشعورية تولد عاملا مباشرا تقترف الجريمة به ٠

وبما ان الظاهرة الاجرامية كما اسلفنا ثمرة تظافر العوامل الفردية (الداخلية) والعوامل البيئية (الخارجية) لذا فاننا سنتناول كل هـــذا العوامل بالدراسة والبحث تباعا في الفصلين الاتيين : ـ

الفصـــل الاول / العوامـل الداخليـة

الفصـــل الثاني / العوامـل الداخليـة

الفصـــــل الاول

العــوامل الـداخليـة

وهي مجموعة العوامل المتعلقة بالمجرم ذاته ، واعني بها العوامل التي يفضي تفاعلها كلا او جزءا مع الظروف الخارجه عن ذات المجرم الى تحقق السلوك الاجرامي(١) ، وبما ان هذه العوامل متعـددة لـذا فاننا سنقصـــر دراستنا على اهم العوامل المؤثرة في تكوين المجرم ذاته وعلاقتها بالسلـوك الاجـــرامـي ٠

١ ٠ د ٠ فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ، ص ٧٤



المبحث الاول

(الوراثـــة)

المطلب الاول

تحديد معنى الوراثـة

اولا ـ قوى الوراثة والتغير :

الوراثة هي الطبيعة الاصيلة للكائنات الحيه ، ويتنازع الانسـا
شأنه في ذلك شأن اى كائن اخر ، قوتان متنافرتان تتجاذبانه في اتجا
متضادين هما : قوة الوراثه او مشابهة الاصل وقوة التغير او الت
فقوة الوراثة تعمل على التشابه بين الاباء الابناء اى انها تـ على
ان تمييز الخلف بخصائص السلف ووظائفه ، في حين ا ـة التغيير
تعمل على العكس من ذلك اذ تحرص على تحقيـق الا في خصائص
الخلف عن السلف(٢) .

وتنتقل الصفات الوراثية من الاصل الى الـ بواسطة الكروموسومات
الموجودة في الخليـة ، ويتكـون جسـم الانسـ مـن ملاييـن الخلايـــا ،
وتحتوى كل خلية على ٤٦ جزء من هـ كروموسومات فاذا تم الاخصاب
عن طريق التقاء حيمن الرجل ببو المرأة نتج عن ذلك الجنين المتأثـر
بصفات الاب او بصفات الام ، بكليهما باعتبار ان هذه الخلية المزدوجـة
الجديدة تشتمل على ٤٦ كروموسومـا ايضا يكـون نصفهـا اتيـا مـن الاب
الاب والنصف الاخ اتيا من الام(٣) .

---

٢ ـ د . ـمس انور علي ، د . امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابـق
ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

٣ ـ د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ٧٥ ، ٧٦ .

ثانيا ـ المقصود بالوراثه في علم الاجرام :

للوراثه في علم الاجرام مدلول خاص يتلائم مع المبادى الانسانية لهذا العلم ، وحينما يتحدث علماء الاجرام عن وراثه الاستعداد الاجرامي فانهم لايقصدون بذلك السلوك المفضي الى الجريمة ، باعتبار ان الجريمة فكرة قانونية يتغير مدلولها بتغير الزمان والمكان . لذا يصعب على قوانين الوراثة ان تحيط بالانظمة والمبادىء القانونية . وقد سبق ان ناقشنا فكرة توريث بعض الخصائص الاجرامية بمناسبة تقييم نظرية لومبروزو ، وقد اثبتنا خطا هذه الفكرة وما يترتب عليها من نتائج(٤) ٠

فاذا كان السلوك لايمكن ان يورث . فما الذى يورث اذا وفقا لوجة نظر هؤلاء العلماء ، ان الذى يورث بموجب رايهم(٥) هو بعض الامكانيات او بعض القوى الكامنة التي تحقق عاملا رئيسيا في السلوك الاجرامي نظرا لما تتميز به من قابلية على تحديد شخصية الفرد وتوجيه نوازع السلوك الانساني فيه نحو النشاط والتحقيق في كل مايعرف من وجوه اشباع الرغبات الغريزية ، ومن ثم احتمال اقترافه الجريمة ٠

---

٤ ـ انظر ص ٧٨ ـ ٨٢ من هذا المؤلف ٠

٥ ٠ د٠ يسر انور علي ود٠ امال عبدالرحيم عثمان ،المرجع السابق ص١٧٠

المطلـــب الثانـــي

اثر الوراثـة علـى السـلوك الاجرامي

حاول بعض العلماء تفسير السلوك الاجرامي من خلال الربط بيـن الوراثة والجريمة ونتيجة لنظر البحوث والتجارب في ميدان علم الوراثـة فقد نجم عن هذه المحاولات مجموعة من الدراسات ركز بعضها على الجينات واستهدف من وراء ذلك تحقيق مطلبين ، يتمثل الاول في دراسة الجينـات وعلاقتها بارتكاب الجريمة ، ويتحقـق الثانـي في دراسة قـدرة الجينـات وامكانيتها في تغير سلوك الانسان ، في حين اتجه البعض الاخر الى الاستعانة بالهندسة الجينية في الزراعة لتطبيقها على الانسان .

المجموعة الاولى : **الهندسة الجينية** :

اكمل الاستاذ ليسنكو (Lyssenko) احد اعضاء المجلس العلمي الزراعي السوفيتي مشروع ميشورين (Meitchourine) بالبحث الذى نشره سنة١٩٤٨ اذا قام بموجبه الروابط بين بحوثه الزراعية وبين دراساته في الميدان البيولوجي ، وتأكيد العلاقة العلمية بين خصائص النباتات وخصائص الكائنات الحية ، حين توصل الى نتائج الى نتائج ايجابية بهذا الصدد مثلت انتقاداً للاراء المؤيدة لاثر الوراثة في تحقيق السلوك أجرامي وعلى الاخص نظرية الاستاذ لومبروزو . وقد ضمن هـذه النتائج مؤلفـه الموسوم :الوراثة والجريمة، كما تضمنت هذه النتائج انتقادا النظرية وايزمن التي تبنت فكرة الحتمية . لانها حـددت روابط لا عـلاقة لهـا بالصفـات الوراثية وانما تتعلق بشروط الحياة(٦) .

٦ـ B. D. Tullio, op. cit, La Conception Soviétique, p. 55 - 57

وقد حاول ليسنكو في دراسته المذكورة اجراء مقارنة بين الجينات عند ن والجينات الموجودة في بعض النباتات من خلال الفحص الذى اجراه الخلية الموجودة عند الانسان وبعض الخلايا النباتية ،وانتهى من هـذه الى القول :ان التغييرات التي نجدها في الابوين والتي تنتقل الى الابناء سواء اكانت طيبة ام خبيثة يمكن ان نجدها ايضا في بعض النباتات ، ومثل هـذه التغييرات لايمكن اعتبارها نتيجة التقسيم الخاطىء لهذه التحديدات في علم الاجرام ،فالصفات العضوية لاتنسجم مع هذه التحديدات لانها تعتبر من قبل المظاهر الطارئة ويقرر لسينكو ان العلم هو عدو المصادفة ، افالوراثة تهدف الى تحقيق الصفات المحددة ، فهي لاتنصب الا على الاشكال والسمات ، وهذا لايعني قابليةالوراثة علىالاحتفاظ بالطبائعالخاصة المميزة لكلكائن حي(٧) لان المظاهر العضوية والتكوينية لهذه الكائنات تختلف بأختلاف الغـذاء اليومي الذى تقتات عليه والوسيلة التي يتم بها توفيره ، فالفقير الـذى يبذل جهودا كبيرة من اجل توفير هذا الغذاء يختلف عن الغني الذى يحصل على هذا القوت دون ان يبذل اى مجهود يذكر ،ومن ثم فأن الغذاء الـذى يتضمنه القوت المذكور يساهم جوهريا في بناء كيان الخلية التي تتحكم في نقل الصفات الوراثية ، ولذا فانه لايتفق والنتائج التي انتهى اليها مندل في نظريته بخصوص التكوين الوراثي لان الصفات الظاهرية في مجموعها لايمكن ان تزول .

وبصدد الفعل الوراثي للصفات المكتسبة اكد ليسنكو على امكانية تغيير او تحويل الخصائص الوراثية للصفات المكتسبة التي تكون نتيجة العوامل البيئية بقوله :

---

٧ – Cite par Julin Huxleug La genetique Sovietique Stoch. 1949. p. 116.

ان البيولوجي اذا قبل بتفسير الطبيعة الخاصة بالكائنات الحية معنى ذلك ان هذا التفسير يمكن بشكل او بأخر ان يحقق مصلحة الانسان ؛ مادام انه اصبح من الممكن حمل كل نوع قابل للانبسات مع امكانية تغير مظاهرة وصفاته في فترة قصيرة ، وهذا يدفعنا الى الاقرار بان الحياة هي السبب الكامن وراء كل تغيير يصيب الابن او الفرع سواء اكان ذلك لدى الكائنات الحية ام النباتات ، لان الهندسة الجينية في الزراعة ساهمت في تغيير النباتات الوحشية الى نباتات طبيعية مفيدة . ونفس الشيء يمكن تطبيقه على الانسان حيث يمكن للهندسة الجينية في الخلايا البشرية أن تغير من سلوك الانسان نحو الاحسن ؛ وعن اثر الفعل الوراثي في الصفات المكتسبة ضرب ليسنكو مثلا :

اشجار الخوخ المحمولة الى اوربا فتحت تأثير المناخ عليها يمكن ان تتغير صفاتها باعتبار ان المناخ هو احد الظروف المؤثرة في الخلايا الحياتية .

ولذا فأنه يؤكد في هذا الصدد : ان كل من وايزمان ومندل الذين تبنوا النظرية الداروينيه قد تجاهلوا التطور الطبيعي للحياة البشرية ألتي حدد اسسها مشروع ميشورين المذكور ، لان العلم الذى يستطيع ان يحيط بالتاريخ ويجد له تفسيرا يتجاوز العالم المنظم ، وينجح في نقل او تغير ذاتيته بطريقة اكثر ايجابية تمكن الانسان من ان يحقق اسلوبا جديدا يتلائم مع الحياة الذى هو جزءا من طبيعتها ، ورغم ان هذا المفهوم لم يكن واضحا للجميع ، الا ان الدليل عليه يمكن تلمسه بسهولة ؛ اذ ان الانسان بذاته حريص على ادراك الطبيعة والتأمل في اسرارها وخفاياها ونتيجة لهذا التدبر فأنه يمكنه الاحاطة بالتسلسل المنطقي للاسباب والنتائج .

وبما ان الانسان جزء من الطبيعة فان يكون بالضرورة مسايرا لحركتها ايجابيا مع تغيرها وتطورها ، فهو يتغير ويتطور نتيجة لتغير الطبيعة وتطورها ، ورغم ذلك يبقى الانسان هو جوهر المسألة ، ويستمر الجهد المتواصل بحثا عن ذات الانسان وحقيقته ،من حيث ارتباط مشاعره واحاسيسه بالصور الطبيعية . ومدى نجاحه في تحقيق هذا الارتباط واثر ذلك في نشوء مشاعر جديدة له ، وماهي المعايير التي يفكر الانسان في ان يضعها لنفسه ؟ والحقيقة التي يمكن الوصول اليها بموجب هذه النظرية هي : ان القدرة على العمل في وسط الكائنات الحية ليس فيها اى اثار او مظاهر للخصائص الوراثية(٨) .

فالوراثه ليس بمقدورها ان تنقل الا الصفات العضوية الثابته اما الصفات الطارئه كالسلوك الاجرامي فانه لايمكن نقلها بالوراثه ، اذ الوراثه تمثل القدرة التي ترجع الى مجموع اعضاء الجسم الحي ، لانها الاثر الذي تشترك به مجموعة من الافعال بشروط خارجية متشابهه ، حيث ان تتابع نوعية وصفات الاباء في الابناء سببه ارتباط الوراثه بالجسم الحي ، وليس بجهود الكروموسومات ، لان الصفات الاجرامية يحتمل ان تنقل بواسطة الوراثه نتيجة تأثير الظروف الخارجية كظروف العمل مثلا دون ان يكون للعوامل الوراثية المقتصرة على العيوب البيولوجية اى دخل في تحقيق هذا الاثر (٩) .

---

٨ ـ د . ذنون احمد ، شرح قانون العقوبات العراقي ـ دراسة مقارنة ، الجزء الثاني في العقوبة ، بغداد ٩٧٩، مسحوبة بالرونيو ص ٧٧، ٧٨

٩ ـ B. Di tullio, op. cit. p. 56. 57.

تقييم اسلـــوب الهندسة الجينية :

مـــزايا الدراسة :

لاريب في ان هذه الدراسة ساهمت الى حد كبير في اظهار اهمية العوامل الوراثية وأثرها على السلوك الاجرامي ، ومن خلال اعتماد نتائج الابحاث التى انهت اليها الهندسة الجينية احد الفروع الجديدة للعلوم الحياتية ، اذ لايمكن ان تنكر التطورات الهائلة التي اصابت هذا الميدان والتغييرات الجذرية التى قلبت المفاهيم السائدة في هذا المجال راسا على عقب بسبب البحوث النظرية المتطورة والدراسات المختبرية والتجارب العلمية التي نجحت في نقل صفات جديدة وامكانية تغير في خصائص بعض النباتات عن طريق اعادة بناء تركيبة الخلية النباتية مباشرة ، وقد اكد الدكتور ديرك فلاويل من معهد الانتقاء النباتي قدرتهعلى اختيار اى جزء يلزمه من البكتريا لعلمه التام بوظيفة كل جزء من التركيبة الجينية ومن ثم الحكم على هذا الجيين فيما اذا كان يؤيد وظيفته ام لا رغم اعتراف الاستاذ المذكور بان الجينات التي يمكنه تحديدها لاتتجاوز ٢٠ جينا في حين ان انواع الجينات في النبته الواحدة قد يصل الى ٣٠ الف نوع ، ومرد الصعوبة في التحديد يعود الى استخدام تقنية استنبات أنسجة المزروعات ، اى اخذ قطعة من نسيج نباتي واستنباته في جو ملائم ، وما من شك في ان تقدم البحوث في موضوع الهندسة الجينية من شأنه ان يساعد المزارعون على تجاوز ظروف الطبيعة القاسية . المتمثلة بدرجات الحرارة واثر البيئة والمياه المالحة (١٠) .

---

١٠ . الهندسة الجينية في الزراعة ، مجلة علوم ، العدد الثاني ، السنة الاولى نيسان ٩٨٤ ص ٥٤ ، ٥٥ .

الانتقادات الموجهة لهذه الدراسة :

على الرغم من المزايا التي يتمتع بها اسلوب الهندسة الجينيه الا انه تعرض لعدة انتقادات نجمل فيما يلي اهمها : ـ

لقد بالغ ليسنكو في اظهر اهمية العامل التوجيهي ، لان هذا العامل هو واحد من العوامل الكثيرة المتداخلة ، وقد سبق ان بينا بانه لايمكن افراد عامل واحد ليكون سببا مباشرا قائما بذاته ، ورغم اقرارنا باهمية العامل التوجيهي الا انه لايمكن انكار دور العوامل الاخرى في تكوين الظاهره الاجرامية ، لذا يتعذر على العامل المذكور ان يحقق هذه الظاهره بمفردة ، ولو اتيح له تحقيق ذلك فمعناه ان الانسان يمكن ان يكون بمفرده سببا قائما في ذاته ، وهذا لايمكن قبوله لمخالفته لطبيعة الوقائع والاشياء ، اذ تلعب المشاعر والاحاسيس والدوافع التي تحيط بالنفس الانسانية دورا كبيرا في توجيه السلوك وجهة الخير او الشر ، وقد اوضح الاستاذ انتوليزى (Antolisei) هذا المفهوم بقوله :

ان العبره بموقف الفرد الذي يتبلور نتيجة توافر مجموعة من الصفات لديه تدفعه للخروج على قيم المجتمع ومصالحه (١١) .

كما يؤخذ على الاستاذ ليسنكو اعتماده الكبير على نتائج ابحاثه المختبرية في تفسيره للسلوك الاجرامي وبذلك يكون قد اغفل انسان وما يتضمنه من عجائب في تكوينه ومن اسرار كامنه في نفسه والبحث العلمي كما اكدنا اكثر من مره ما زالت وسائله عاجزه عن سبر اعماق النفس وكوامنها الخفيه ، فالطبيعة البشرية وما جبلت عليه من خصال مختلفة

---

١١ . Antolisei. La Copacita adelenqueve, seritti de diritto penal, Millano, 1955, p.55

متباينة في الميل نحو الخير او الشر(١٢) ، تجعل من هذا الانسان مخلوق مزدوج الطبيعة ، لذلك لايمكن اتخاذه موضعا للتجارب ، لان القدره على توجيه نفسه نحو الخير او الشر كامنه في نفسه .

لذا فان مقارنه الانسان بالنبات هو من قبيل الخلط غير الصحيح الذي يتنافى مع الاسس العلمية الصحيحة ولايعني الاجمع مثليات غير متجانسة ، لاختلاف الطبيعة الخاصة لكل من الانسان والنبات (١٣)

وحتى لو سلمنا جدلا بقابلية الجينات على تغيير سلوك الانسان ، فما هو السبيل الذى يمكن اتباعه ليصبح في مقدور الجينات القيام بهذه العملية الصعبة والخطيرة ، ورغم التفاؤل الكبير الذي يسود علماء الوراثه في هذا الموضوع بالذات ، الا انهم مازالوا غير مقتنعين بقدرة الابحاث العملية على القيام بهذه المهمة ، اذ قامت مجموعه من الباحثين بجمع اعداد كبييرة من ذباب الفاكهه المتصف بالغباء لوجود التغيير الاحيائي الذي يجعل من هذا الذباب عاجزا عن تعلم التحسس بخلاف الذباب الطبيعي ، وقامت هذه المجموعة بتتبع دراسة جينات السلوك مصورين بكل دقه المواقع الكروموسوميه للجينات التي ينتج عنها السلوك الشاذ من اجل تحديد تأثير كل جين من هذه الجينات وتثبيت الوقت الذي بدأ به العمل للوصول الى معرفة اسباب السلوك غير الطبيعي .

فالجينات كما هو معلوم تلعب دورا كبيرا في عمليات التعلم والسلوك ، فهي التي توجه الارسال لحوالي عشرة ملايين خلية عصبية في دماغ الانسان ، بعض منها تكفل للانسان احتفاظه بالسلوك . واخرى تنظم

---

١٢ . Kinbreg. (o). les problemes Fondamentaux de la Criminologie, Paris, 1960. p. 32.

١٣ . د . ذنون احمد ، المرجع السابق ص٤١ ، ٤٢

الادراك الحسي بالنسبة لما يحيط بالانسان من الخارج ، فالدماغ يبـــدا منذ لحظة الولاده بتمييز حوالي اربعين صوت واضحا من بين الاصوات ساعة الولاده ، علما بان كافة اللغات الانسانيه متكونه من الاصوات المذكوره .

كل هذه الخصائص الدقيقة والبديعه التي يتفـرد بهـا الانســان عن غيره تجعل من الصعب كمـا يقول العلمـاء المختصون العبث بسمـات السلوك والذكاء لان جهاز الاعصاب في الدماغ يتكون منذ لحظة الولادة ، ولاجل التحكم في هذه السمات لابد من تغيير الجهاز المذكور ، وهذا امــر لايخلو من صعوبه لعدم اكتشاف الوسائل المناسبة للقيام بهذه العملية ، اما تغيير شبكة الدماغ فانه عمل يصعب تحقيقه هو الاخر ، ويتسائل الاستـاذ برنارد ديفيز من جامعة هارفاد عن السبب الـذي يـدفـع ببعض العلماء للتـورط في مثل هذه العمليات الصعبه والمعقدة ، لانها تكمـن في ادخـال جينات سلوك معروفه في خلفية غير معروفه ، وينتهي الاستاذ ديفيز الى القـول : على الرغم من نجاح العلماء في القيام بهذه العمليـة بنـاء علـى الاسباب الضرورية التي تدعو هؤلاء العلمـاء لتغييـر شخصيـة الانسان وسلوكه فات التغيير الخارجي يكون اسهل بكثيير مـن تحويـر الجينـــات او تغييرها . (١٤) .

المجموعة الثانيـه : ـ دراسـة تاريـخ الاسـره :

يقصد بدراسة تاريخ اسرة المجرم وضع بيانات لاصول فرد معيـن تتضمن الاشارة الى كافة نواحي السلوك اللا اجتماعي والجرائم التي اقترفها هؤلاء الاصول ، وميدان علم الاجرام حافـل بمثل هـذه الدراسات التـي

---

١٤ . د . حسين فاضـل الربيعي ، الهرمونـات والجينات ، البايولوجيـا الجزئيه لعلاقة الهرمونات بالماده الوراثيـه ، مجلـة العلـوم، المرجـع السابق ص ٥٦ ـ ٦١ .

تتولى البحث في ذرية احد المجرمين لعدة اجيال ؛ ومن هذه الابحاث الدراسة التي اجريت على عائلة ماكس جوك الامركية وكان راس الاسرة الذي عاش في اوائل القرن الثامن عشر من مدمني المسكرات كما كانت زوجته تمارس عملية السرقة ، وقد شملت هذه الدراسة سبعة اجيال لهذه الاسرة بلغ عددهم (٧٠٩) شخصا ، ومن خلال هذه الدراسة تبين ان (٢٠٢)منهم من محترفي الدعاره (١٤٢) متشردا و (٧٧) مجرما ارتكبوا جرائم مختلفة ، وعديدون غيرهم من المتسولين و نزلاء الملاجيء وعدد اخر من المصابين بامراض عقلية والمصابين بامراض تناسلية (١٥) ٠

وثمة دراسه اخرى اجريت على عائلة كاالياك من امريكا الشمالية شملت على (٤٨٠) سلفا لهذه العائلة ، تبين من خلالها ان ما لايقل عن (٢٧٤) شخصا اتهم او ادين في اقتراف جرائم مختلفة من بينهم (٣٧) حكموا بالاعدام ، كما تبين ان فرعا من هذه العائلة يكاد يكون باكمله من محترفي الدعاره والشواذ ومرتكبي الجرائم العامه (١٦) ٠

ومن هذه الدراسات ايضا ، الدراسة التي اجريت في سويسرا حول اسرة زيرو (١٧) تمخض عنها ان جل افراد هذه الاسرة تنهج نهجا اجراميا وراثة من جدهم الاعلى فقد كان بعضهم مدمنا على الخمر ، وبعضهم اصيب بالتخلف العقلي ومنهم من اقترف الجرائم المختلفة وحكم عليه جنائيا ويدلل القائم بهذه الدراسه على صحة رأيه بفشل كافة المحاولات المبذولة لاصلاح سلالة هذه العائلة سواء اكانت محاولة السلطة ام رجال الدين (١٨) ٠

---

١٥ ٠ د ٠ فوزيه عبد الستار ، المرجع السابق ، ص ٨٠ ـ ٨١
١٦ ٠ د٠ جلال ثروت و د٠ محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ص١٣٦
١٧ ٠ وهو اسم مستعار لهذه الاسرة لان الكثير من افرادها كان على قيد الحياة وقت اجراء الدراسة ٠
١٨ ٠ د٠ يسر انوار علي و د٠ امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق، ص ١٧٢ ـ ١٧٣

المزايا :

ما من شك في ان الباحثين الذين قاموا باجراء هذه الدراسات قد بذلوا جهدا لايستهان به في هذا المضمار محاولين الوصول الى النتائج الموجوده لبحوثهم الميدانية . ولذا فان تقييمنا ينصب على الجهود القيمه التي بذلها هؤلاء الباحثين دون ان تشمل النتائج التي انتهوا اليها .

وهناك بعض الجوانب الايجابية التي لابد من تثبيتها في هذا المقام وهي نجاح هؤلاء الباحثين في لفت الانظار الى اهمية دراسة المجرمين وفق اسس الوراثه باعتبار ان هذا العلم يمثل من وجهة نظرهم وسيلة عملية تدلل على اثر الوراثه في توجيه السلوك الانساني .

الانتقادات :

ان ما تقدم من مزايا لاينفي خطا النتائج التي توصل اليها الباحثون من خلال الدراسات الميدانية التي قاموا بها ، اذ اننا لانعد الوراثة قادرة على نقل اسباب السلوك اجرامي معتمدين في ذلك على الادله الاتيه

١ ـ ان خلاصة هذهالدراسات قد اعتمدتعلى بحوث ميدانية اجريت على ثلاث اسر من مجموعة ملايين الاسر في المجتمع العالمي يختلفون في العادات والتقاليد ويتباينون في الزمان والمكان وليس من القواعد العلمية ان تعمم على ملايين الاسر صفات اسر ثلاث شملتها تلك الدراسات .

٢ ـ بصفتي احد المهتمين بتحليل الظاهرة الاجرامية ، كانت تتجلى امامي الدراسه الميدانية شئت ام لم اشا ، وما اعظم المشاهد المتناقضه التي لازالت تثير الاستغراب في مخيلتي اذ ثمة اسر يتعذر ذكر اسمائها التزاما بمنطق الامانة الاجتماعية ، اسر اتصف الاباء فيها بمنتهي النبل والشهامه والتقي واذا ببعض ابنائها ينحدرون في مهاوى الشر والرذيلة ، واسر

اشتهرت بالشر والعدوان واذا بابنائها يرتقون المنازل الاجتماعية العليا لكرم اخلاقهم وسماحتهم وتواضعهم ، ولهذا تأثر مجتمعنا بهذه المشاهد المتناقضة التي تمثل خير دليل على خطا النتائج التي انتهى اليها الباحثون ٠

٣ ـ قال سبحانه وتعالى وهو اصدق القائلين (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) قال المفسرون : (تدل هذه الايه على قدرة البارى عز وجل على خلق الاشياء واضدادها نيدل بخلقه هذا على كمال قدرته فمن ذلك اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن) (١٩) ٠

٤ ـ لو كانت الصفات الوراثية تنقل وراثة لما ارسل الله تعالى الانبياء والمرسلين لاصلاح البشر اذمانقل وراثة لايمكن ان يغير بفعل الا الوراثة وهذا امر محال ، اما الحقيقة فان السلوك الانساني لايورث لانه يدور بين الخير والشر والمسائل الروحانية لاعلاقة لها بالوراثه ، ولنا في اسلافنا العظما خير دليل على ذلك فلو حللنا شخصية اى من هوءلاء في الجاهلية لوجدنا بانه يحمل خصائص وصفات متناقضة تماما عما اصبح عليه بفضل الاسلام ، ولو كانت الجريمة تخضع لقانون الوراثه لما تغير سلوك هؤلاء نحو الاحسن ولفشلت ايضا المدارس الاصلاحية في اداء رسالتها ، ولما استطاعت ان تقوم من سلوك احد ٠

ولهذا فاننا لانعد العوامل الوراثيه اسبابا في السلوك الاجرامي واما نتائج الدراسات الميدانية التي توصل اليها الباحثون فان سببها في تقديرنا كان بسبب الاكتساب بعد الولاده دون الاكتساب من لحظة الاخصاب ، اذ لو انقذ طفل حين ولادته من بيئة تتسم بالشر والجريمة وربى على الخير والفضيلة لاكتسب منها الخير والفضيلة ايضا ، ولهذا فاننا نؤكد ما سبق ان ذكرناه من ان السلوك الانساني سواء اكان خيرا ام شرا يتحقق بعد الولادة وليس عن طريق الوراثه ٠

---

١٩ ٠ الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٤٢٨

المبحـــــث الثاني

الجنـــــس

خلق الله تعالى المـرأة من نفس الرجل ، قال تعالى (ياايهـا النـاس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهمـا رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذي تسألـون بـه والارحـام ان الله كـان رقيبا)(٢٠) ، ومما لاريب فيه ان هذه الاية الكريمة دلت على ان المـرأة مخلوقه من نفس الرجل وبناء على هذا فـلا فـرق بينهما الا مـا يتعلـق بالتكوين العضوى الخاص بكل منهما وبالمكتسبات مـن الهيئة الاجتماعيـة والذين السببين ذالت الأحصاءات الجنائيه على الجرائم التي تقترفها النساء اقل بكثير من جرائم الرجال كما سنبين ذلك فيما بعد ، ولو شاركت المرأة في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية مشاركة الرجل ذاته لازداد عدد الجرائم باطراد بقدر ما تزداد هذه المشاركه ، ولكن لحكم تكوينها ومما تتسم به من حياء جعلها في وضع اجتماعي ينسجم مع ذات تكوينها ؛ ولهذا نجد المـراة كلما لعبت الدور الذي يلعبه الرجال اقترفت الجريمة كما يقترفها الرجال

وفعلا فقد اجمع الباحثون في هذا الميدان ان اجرام النساء يختلف عن اجرام الرجال من ناحيتين كمية ونوعية ، وهـذا ما سنتولـى ايضاحـه في المطلبين الاتيين : ـ

---

٢٠ ٠ سـورة النساء ، اية رقم (١) ٠

المطلـــب الاول

الاختلاف بين اجرام النساء واجرام الرجال

اولا • الناحية الكمية :

اكدت الاحصاءات الجنائيه في كل مكان من العالم على ان نسبة اجرام النساء اقل بكثير من اجرام الرجال وقد اسفرت الدراسة الاحصائية التي قام بها بعض العلماء الالمان لاستخلاص النسب المئوية التي تبين نصيب المراة في المساهمه في ارتكاب الجريمة عن نتائج تؤيد الاختلاف الكمي بين اجرام النساء واجرام الرجال وكما يأتي • (٢١)

ت	اسم الدوله	وقت اجراء الدراسة	النسبه المئوية
١ ـ	بلجيكا	١٩٢٣ ـ ١٨٢٧	٢٥ر٥ ٪
٢ ـ	تشيكوسلوفاكيا	١٩٢٣ ـ ١٩٢٥	
	أ • بوجيميلوراقيا		١٩ ٪
	ب • سلوفاكيا		٢٣ر٩ ٪
٣ ـ	هنغاريا	١٩٢٦ ـ ١٩٣٠	٢٢ر٦ ٪
٤ ـ	بولونيا	١٩٢٤ ـ ١٩٢٧	١٧ر٩ ٪
٥ ـ	ايطاليا	١٩٢١ ـ ١٩٢٣	١٧ر٤ ٪
٦ ـ	النمسا *	١٩٢٦ ـ ١٩٣٠	١٦ر٣ ٪
٧ ـ	سويسرا	١٩٢٩	١١ر٣ ٪
٨ ـ	هولندا	١٩٢٦ ـ ١٩٢٩	١٠ر٥ ٪
٩ ـ	فرنسا	١٩٢٥ ـ ١٩٢٩	٩ر٨ ٪
١٠ ـ	انكلترا	١٩٢٦ ـ ١٩٣٠	٩ر٥ ٪
١١ ـ	النرويج	١٩٢٦ ـ ١٩٣٠	٨ر٣ ٪
١٢ ـ	اليابان	١٩٢٥ ـ ١٩٣٠	٦ر١ ٪

---

٢١ • د• يسر انور على ، د • امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٨٣ و ١٨٤ •

ورغم ان هذه الدراسة الاحصائيه قد اجريت في فترة زمنية قديمه نسبيا لانها اجريت تقريبا بين سنة ١٩٢١ ـ ١٩٣٠ . الا انها تدل على صحة ما ابديناه في المقدمة رغم اقرارنا بالتطورات الكبيرة التي طرأت على الحياة اجتماعية للمرأة في الدول التي كانت محلا للدراسة ، ولو تهيئأت لنا الان دراسة احصائية اكثر علمية وحداثه من تلك الاحصائيه لاستطعنا ان نتلمس الاثار المباشرة لمشاطرة المرأة للرجل في مختلف الميادين. ولذا فأن المرأة كلما تحملت من مشقة الحياة اوشاركت الرجل في تحمل اعباء المسؤولية او لعبت ادواره الاجتماعية اللامشروعه المتمثله بتناول المخدرات والمسكرات ولعب القمار كلما ازداد نسبة ارتكابها للجرائم . والاحصاءات الجنائية خير شاهد على ذلك فالفرق بين نسبة اجرام المرأة الى نسبة اجرام الرجل تكاد تكون كبيرة جدا في المجتمع العراقي ، لان المرأة العراقية لم تلعب دور المراة الغربية في ممارسة الظواهر الاجتماعية اللامشروعة ، وان سلوكها مازال محكوما بكثير من التقاليد والقيم التي يمتاز بها مجتمعنا الفاضل ، لذا تمخضت الدراسة الاحصائية التي قمنا بها عن اجرام الرجال يفوق بكثير اجرام النساء حيث بلغت النسبه المئوية لاجرام المراة في العراق لسنة ١٩٧٩ ١ر١١ ٪ (٢٢) .

وحيث ان المراة اليابانية اقل ميلا من المراة في الدول الاخرى للمشاركة في الحياة الاجتماعية العامة فان جريمتها اقل من نسبة الجرائم المقترفة من هؤلاء النساء ، حيث بلغت ١ر٦ ٪ وهي اقل نسبة في الجدول المتضمن للنسب المئوية لاجرام النساء في بعض دول العالم .

---

٢٢ - النشرة الاجتماعية الاحصائية ، الجهاز المركزي للاحصاء مسح الجريمة في مرحلة التحقق (عدا المخالفات) سنة ١٩٧٩ ص ٣٧

الاجتماعي ، اذ المفروض ان سكان هذه المناطق مفككون اجتماعيا ، لهم تاريخ طويل من البؤس والحرمان المادى والثقافي والمعنوى ، تكدس سكاني شديد في اماكن ضيقة والمساكن قذرة وغير صالحة للسكن صحيا وانتشار البطالة ، والاطفال مهددون صحيا ونفسيا ودراسيا ، وهذه الاحياء تكون افضل بؤر للجريمة والدعارة والعصابات الاجرامية(١) .

وبما ان هذا التركيز يتخذ صورة تجمع الناس في العواصم والمدن لذا كان للاجرام خصائص تميزه عن الاجرام في الريف(٢) ؛ لهذا فان التطور الاجتماعي والحضارى قد تميز بصفة عامة بزيادة في نسبة الانحراف والاجرام ، فتبلور الافكار المتصلة بالسلوك السوى والسلوك المنحرف ظهرت التقاليد القانونية والاجتماعية التي تنجم عن مخالفتها صور عديدة من الجرائم والرذائل .

ومن العوامل التي تؤدى الى ارتفاع نسبة الجرائم في المدن الكبيرة :

١) التقدم الحضارى الذى ضاعف من الحاجات والرغبات ، وما يتبعه من مجهودات تبذل في سبيل اشباع هذه الحاجات والرغبات ، وهذا يؤدى في كثير من الأحيان الى سلوك اجرامي ، لان التطور الحضارى يرافقه زيادة في القوانين التي تحكم السلوك الانساني ، وهذه الزيادة تقابلها زيادة الفرص لمخالفتها وتبعا لذلك تزداد نسبة الجرائم المرتكبة .

٢) كثافة السكان وتركزهم في المدينة يزيد من فرص التقليد والمحاكاة في اقتراف الجرائم بشكل تفوق بدرجة كبيرة نسبته في الاحياء الريفية ، ومن ابرزها القمار وتعاطي الخمور والدعارة والرذيلة وغير ذلك من الانحرافات الاخلاقية .

---

١ ـ د . مصطفى حجازى : الاحداث الجانحون ، المرجع السابق ـ ص ٩٥ .
٢ ـ د . سمير نعيم احمد : الدراسة العلمية للسلوك الاجرامي ، القاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ، ص ١٨٥ .

٣) الحياة الاجتماعية تميل الى التعقيد في المدينة اكثر منها في الريف ، مما
يؤدى الى زيادة الجرائم ، فالبيئة الحضرية المعقدة من شأنها ان تدفع
الفرد الى التردى في مهاوى الجريمة • وهذه الحقيقة ملموسة بصفة
خاصة في المدن الكبيرة حيث تكون بيئتها الاجتماعية سببا في اقتراف
كثير من الجرائم بسبب المغريات ووسائل اللهو والترفيه مما يجد
معها الافراد صعوبة في التكيف مع بيئتها المعقدة فيصبح الفرد اكثر
عرضة للانزلاق والانحراف ، خاصة ان اغلبية المهاجرين الى المدينة
هم من الشباب الذكور ، ومرحلة الشباب من اكثر مراحل العمر
حيوية ونشاطا وطموحا ، وتمثل بداية للاستقرار العاطفي والمكاني
والمهني ، وعلى عكس ذلك البيئة الريفية فانها تميل الى البساطة
مما يسهل على الفرد التكيف مع بيئتها •

اذ لايواجه هذا الفرد مشاكل صعبة مستعصية كما لايتعرض لمغريات
تدفعه للسلوك الاجرامي •

٤) ان التقدم العلمي والحضاري في المدن سهل للمجرم استخدام الاساليب
الفنية والعلمية ، لاسيما المجرم الذى يتصف بالذكاء والقابلية اذا
استعمل هذه الوسائل في مباشرة نشاطه الاجرامي دون ان يكتشف
امره •

٥) ان ازدياد التجمعات الانسانية في المدن وما ينجم عنه من ازدحام
سكاني من شأنه ان يهيء الاقامة المناسبة لمجرم اكثر من الريف ،
لان الفرد يمكنه ان يستقر في المدينة دون ان يقيم علاقات مع جيرانه
مما يسهل عليه التحرك بحرية دون ان يلفت نظر احد ، اذ يجد في
المدينة المحيط الاجتماعي الذى يلبي رغباته غير المشروعة ، لذا
يفضل المجرمون الاقامة في المدن على الاقامة في الريف اذ في الريف يكون

التسلسل	الجريمة	النسبة المئوية
١ ــ	الجرائم التي تمس الاسرة	٤٤ر٠٩٪
٢ ــ	الجرائم المتعلقة بالبنوه ورعاية القاصر وهجر العائلة	٣٠ر٤٣٪
٣ ــ	القذف والسـب	٢١ر١٤٪
٣ ــ	اخفاء اشياء متحصلة عن جريمة	٩ر١٣٪
٥ ــ	السرقـة	٥ر٥٤٪
٦ ــ	الاعتداء على الموظفين	٥ر٢٤٪
٧	القتـل	٥ر١٤٪
٨ ــ	خيانة الامانة	٤ر٢٩٪
٩ ــ	المساس بسير القضاء	٣ر٩٧٪
١٠	لعب القمار	صفـر
١١ ــ	جرائم السكـر	صفر

وخلاصة القول ان المرأة اذا بقيت محافظة على انوثتها ولم تشارك الرجل في بعض النشاطات الاجتماعية العامة فانها تكون اقل اجراما مـن الرجل بنسبة لايستهان بها والدراسة الاحصائية خير دليل على ذلك ، والا فقد تقترف المرأة الجريمة كما يقترفها الرجل لاسيمـا وانها اسـرع منـه غضبا واشد ثورة وقد اثبتت اخر الدراسات العلمية التي اجريـت بهـذا الصدد ان الغضب من سمـات المـرأة ، لانه يدخـل في التركيـب النفسـي والعضوي لها ٠

المطلب الثانــي

تفسير الاختلاف الكمي والنوعي بين اجرام المرأة والرجل :

اولا ـ اختلاف مشاركة المرأة الرجل للحياة الاجتماعية :

لاشك في ان المركز الاجتماعي الذى تمارسه المرأه داخل المجتمــع يؤثر تأثيرا كبيرا في تحديد اتجاه سلوكها الانساني خيرا ام شرا وقد اكدنا هذه الحقيقة من خلال رجوعنا الىالاحصاءات الجنائية المعتمدة بهذا الصدد فكلما ازدادت مشاركة المرأة الرجل في تحمل مشاق الحياة والقيام بما يقوم به الرجل سلبا وايجابا اخذا وعطاء كلما الجئتها ظـروف الحيـاة الى مـا الجئت الرجل اليه من السلوك الاجرامي ، لانه يصعب على الانسان اقتراف الجريمة وهو بعيدا عن الاخريـن لايحتك بهم سلبا ام ايجابـا الا الدهــم بعض الافعال التي يطلق عليها جرائم اصطلاحا كحوادث القتل التي تقـع تطبيقا لحالة الدفاع الشرعي ، ولذا فان المرأة ان اشتركت مع الرجل بكل اعماله فان اقترافها للجريمة يكون اكثر احتمالا ٠

واما اجمل واقع مجتمعنا الذى تهيمـن علـى بعض جوانب سلوك افراده القيم الاخلاقية الفاضلة من حيث ميل المـرأة للاحتفاظ بانوثتهــا وحرصها علىاحترامالروابط الزوجيةوالحفاظ علىدوامالسعادة بتفضيلها ادخار ما وهبها الله من طاقات من اجل استغلالها بشؤون الاسـرة والقيام بواجبها الاول المتمثل في اعداد اللبنات الاساسية في المجتمع اذ هي المسؤولة عن تربية الاطفال وتنشأتهم النشأة الصالحة ليكونوا رجـال المستقبل دون ان تعمد الى تبذير هذه الطاقات الخلاقـه في الامور التي تتنافى ودورهـا الكبير في المجتمع ٠

ولما كان وضع المراة المجتمع الياباني مشابها لحد مـا لوضـع المـرأة في مجتمعنا من حيث تفضيلها لاستغلال طاقاتها في العنايـة بشؤن الاسـرة

والعمل على كل ما مـن شأنه تحقيق الرفاهية والسعادة لبيت الزوجيـــه .
لذا فقد وجدنا ان نسبة ارتكابها المجرتم اقل بكثيرمن الجرائم التتي ترتكبها
المرأة في المجتمعات الرأسمالية الاخرى كما في الدول اوربا الغربية والولايات
المتحدة الامريكية واستراليا بسبب دخول المرأة المبكـر لميادين العمـل
المختلفة على حساب واجبها الاساسي(٢٧) .

ثانيا ـ الاختلاف في التكوين البيولوجي :

تختلف المـرأة عـن الرجـل عضويا ونفسيـا ، فمن الناحية العضوية
تكون المرأة اضعف تكوينا من الرجل ، وفي دراسة اجراها الاستاذ كوتليـه
عمد فيها الى مقارنة جسم المرأة بجسم الرجل من اجل التوصل الى معرفة
قوة المرأة وقياس نسبة قوتها الى الرجل ، وقد استخدم في هـذه المقارنـه
وسائل القياس لمختلف المظاهر الداخلية والخارجية ، وتوصل في خاتمـة
دراسته هذه الى ان قوة المرأة تساوى نصف قوة الرجـل(٢٨) ومن هـذه
النتيجة انطلق بعض العلماء لتعليل انخفاض نسبة الجرائم الخطيرة التـي
ترتكبها النساء والتي تتطلب بذل مجهودا بدنيا كبيرا ، او عدم ميل النساء
لاستخدام العنف في اقتراف الجرائم ، ولعل وظائف المرأة فطره كانت سببا
في عدم ميلها الى العنف الذي يميل اليه الرجال ، اذ غالبـا مـا تكـون في
في دور حمل او ارضاع وغير ذلك من الحالات التي تختص بهـا المـرأة ،
كما يمكن القول بان ميل المـرأة فطـرة الى الاحتفاظ بمحاسنها انوثـة
وجمالا سببا له وجاهته في عدم ميل المرأة الى العنف

---

٢٧) د . يسر انور ود. آمال عبد الرحيم عثمان . المرجع السابق ص١٨٤
٢٨) . د فوزية عبد الستار المرجع السابق ص١٠٣

وللعوامل النفسية أثر لايستهان به على سلوكها الانساني خيرا ام شرا ، وقد ترتكب المرأة الجريمة اذ شعرت بفقد شيء من ذاتيتها او مما يختص بها سواء في العنصر الروحاني او العنصر المادى ، ولهذا فأنها تقترف الجريمة متى ما مست مشاعرها مساسا جارحا او تعرضت مصالحها لخطر ، (٢٩) وهكذا تتناسب كمية الجرائم تناسبا طرديا اضطراب عواطفها واشتداد غضبها ، وقد نقل بعض الفقهاء قصة اخرى تدل على مدى عنف المرأة اذا مست مصالحها ، بالنص الاتي :

حدثنا محمد بن عيس حدثنا ابو عاصم عن ابي جريج عن عمر وبن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال نشد عمر الناس ما قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم في الجنين فقال حماد بن النابغة :

---

٢٩ ـ يسجل التاريخ القديم والحديث شواهد تدل على قسوة المرأة ومن ثم ارتكابها اعنف الجرائم واقساها اذا تضررت مصالحها الخاصة من تلك الحوادث ما اشارت اليها الابيات المشهورة عند النحاة :

اذا قالت حذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حذام
الا ياقومنا ارتحلوا فسيروا ... فلو ترك القطا ليلا لنام
فلولا المزعجات من الليالي ... لما ترك القطا طيب المنام

والابيات المذكورة قالها زوج الامرأة المشهورة لدى الجميع ، حيث اعتدت ضرة حذام فقطعت يد حذام فما كان من حذام الا ان اضرمت حجرا حتى صار لضى وعمدت الى رمية على وجه ضرتها وهي نائمة فاستنجدت ضرتها بقومها وقد عرفت حذام بفراستها بمجيء قوم ضرتها الى حربها ، شفاء الصيدر في شرح شواهد القطر ، مطبعة حجازى ، القاهرة سنة ١٣٣٥ هـ ، ص ٤ ابن هشام الانصارى : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، بلا تأريخ ، ص ٩٥ .

كنت بين أمرأتين احداها الاخرى بمسطح فقتلتها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنينها بغرة وان تقتل (٣٠) ٠

والذى نراه ان المرأة بما فيها من نفس رقيقة اسرع الى عنفوان الغضب من الرجل ، ولذا فأن اى محفز خارجي يستفزها يمكن ان يساعد على ظهور بعض العوامل الكامنة في نفسها ومن ثم يؤدى الى غضبها ، وقد سبق ان بينا تفصيلا الاثار الكبيرة للغضب على سلوك المرأة وتوجيهه وجهة الشر ومن ثم اقترافها الجريمة ،وقدهددت المرأة بالغضب في جريمة اللعان بصفة الغضب وسيلة نفسية مخيفة تذكر المرأة بعاقبه يمينها ان كان زورا وافتراء قال تعالى : (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهدات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الكاذبين ،ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات باللة انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين)(٣١) ٠

وبصدد هذا التهديد يورد المفسرون رحمهم اللة : انما خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور بخيلائها واطماعها ، ولذلك كانت مقدمة في أية الجلد (٣٢) ٠

---

٣٠) واصل القصة نقلها الامام الضحاك ايجاز ثم وثقها واوردها د ٠ خالد الجميلي تفصيلا ، انظر ، الومضات في تخريج احاديث الديات ، ص ١١٩ ٠

٣٢) سورة النورة الايات من ٦ـ١٠ ٠

٣١) انظر تفسير الفخر الرازي القاهرة ،١٣٠٨هـ، الطبعة الاولى جـ٦ ص ٢٣٥

المبحث الثالث

(السن)

تعد حياة الفرد سلسلة متصلة الحلقات تبدأ بولادته وتنتهي بوفاته، وبين هذه البداية وتلك النهاية يمر الفرد بمراحل عمر مختلفة يخضع فيها لتغيرات متعددة ، ينمو فيها تكوينه العضوى والنفسي كما وتتغير البيئه المحيطة به ، ويؤثر هذا النمو والتغير على سلوكه وتصرفاته(١) ، لذا فان التغييرات التي يمر بها الفرد خلال مراحل حياته هي نوعان :

النوع الاول :

التغيير الداخلي ويبدو جليا في مرحلتي الطفولة والشباب ، حين تزداد الطاقة البدنية وتنمو الغرائز المختلفة لاسيما الغريزة الجنسية ٠

النوع الثاني :

التغيير الخارجي : ويقصد به التغيير الذى يطرأ على البيئة المحيطة بالفرد في مراحل عمره المختلفة والتي تتلائم مع التغيير الداخلي بالنسبة لمراحل العمر المختلفة(٢) ٠

ولم يتفق المختصون(٣) في علم الاجرام على مراحل النمو لدى الفرد

---

١ ـ د ٠ علي عبد القادر القهوجي ، علم الاجرام وعلم العقاب ، الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ١٦٣ ٠

٢ ـ د ٠ مأمون محمد سلامة ٠ اصول علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق، ص ٢٠٣ ٠

٣ ـ د ٠ فوزية عبد الستار مبادىء على الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ، د ٠ يسر انور علي ود ٠ امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ص ١٨٨ ، د جلال ثروت ومحمد زكي ابو عامر . علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ١٤٥ ـ ١٤٨ ، في حين يقسمها د ٠ مأمون سلامه الى ثلاث مراحل هي الطفولة والبلوغ والشيخوخة ، انظر د مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٢٠٣ ـ ٢٠٧ ٠

اذا قسمها بعضهم الى اربعة مراحل هي :

مرحلة الطفولة والمراهقة أو البلوغ والنضج والكهولة • في حين اضاف البعض(٤) الاخر مرحلة الشباب كمرحلة وسطية بين المراهقة والنضج •

اما في الفقه الاسلامي فقد قسمها الفقهاء (٥) الى المراحل الاتية :

١ ـ الصغير : ويسمى بالغلام حتى البلوغ وهذه المرحلة تنقسم الى قسمين صغير غير مميز دون السابعة(٦) وصغير مميز من السابعة حتى البلوغ ، والبلوغ يعرف بالمتغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على الصغير والمتحققة باحتلام الصبي وبحيض البنت ، اى قدرة كل منهما على الزواج والانجاب ، واذا تأخر تحقق هذه الظاهرة فان الفقهاء يلجأون الى السن تحديدا لهذه المرحلة ، وقد ذهب فقهاء الشافعية الى اعتبار مرحلة خمس

---

٤ ـ د • محمد خلف ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ ـ ١٩٤ ، وقد قسمها د • احمد عوض بلال الى سبع مراحل هي : الطفولة والمراهقة والنضوج المبكر والنضوج المتوسط والنضوج الكامل والسن الحرجة والشيخوخة، راجع في تفصيلات ذلك : د • احمد عوض بلال ، علم الاجرام (النظرية العامة والتطبيقات) دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ ، الطبعة الاولى ، الصفحات ٢٥٦ ـ ٢٦٤ •

٥ ـ الاشباه والنظائر لابن نجيم وشرحه غمز العيون والبصائر للحموى القاهرة ط ١ ، بلا تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٣٥ •

٦ ـ د • عبد الكريم زيدان ، الوجيز في اصول الفقه ، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ١٣٨٣ هـ ١٩٦٢ م ط ١ ص ٨١ ، وقد ذكر بهذا الصدد ان سن التمييز مقدرة عند العلماء ببلوغ الصغير لسن السابعة وهذا لاجل ضبط الاحكام ولم يكن الفقهاء المتقدمون يقدرون للتميز سنا معينة وانما فعله المتأخرون منهم وربما اساسه ماجاء في الحديث بشأن امر الصغار بالصلاة • (مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر) •

عشر سنة مرحلة بلوغ لدى الجنسين سواء ظهرت علامات الرجولة والانوثة ام لم تظهر ، والى هذا ذهب صاحبا ابو حنيفة محمد وابو يوسف ، اما ابو حنيفة فقد اخذ بالاحتياط اذرفع مرحلة البلوغ الى ثماني عشرة سنة للذكر وسبع عشرة سنة للانثى(٧) ٠

٢ ـ مرحلة الفتوة والشباب : وتبدأ من سن التاسعة عشر الى الثلاثين ٠

٣ ـ مرحلة الكهولة : وتبدأ من سن الثلاثين الى الخمسين ٠

٤ ـ مرحلة الشيخوخة : وتبدأ من سن الخمسين الى نهاية العمر

ولهذه المراحل المختلفة اثار شتى على الظاهرة الاجرامية ، اذا الظاهرة الاجرامية تزداد بتقدم المراحل التي يمر بها الانسان وتنحسر بل تكاد تختفي في المراحل الاولى في حين تتضاءل في مرحلة الشيخوخة غالبا وبناء على ذلك نستعرض فيمايلي اراء العلماء المختصين والباحثين الميدانيين في هذا الصدد ٠

المطلب الاول

مرحلة الطفولة

وتبدأ هذه المرحلة من لحظة الولادة حتى سن الثامنة عشر ، وبالنظر لما تمتاز به هذه المرحلة من تغييرات جوهرية في النمو والادراك فقد اثرت تقسيمها الى ثلاث مراحل تستوعب هذه المتغيرات التي يمر بها الطفل قبل التمييز وبعده وعند دخوله مرحلة المراهقة ٠

المرحلة الاولى : الطفولة قبل مرحلة التمييز (الصغير غير المميز) : وتبدأ بمولد الطفل حتى بلوغه سن السابعة من عمره ، فقد ذهب البعض(٨)

---

٧ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للفقيه الكاساني ، مطبعة الامام ، القاهرة ٩٧٢ جـ ٧ ص ٤٤٧ ٠

٧ ـ د ٠ عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٧٥ ، د ٠ اسحاق ابراهيم منصور ، الموجز في علم الاجرام ، والعقاب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٧٩ ، ص ٥٢ ٠

الى ان الجرائم تتركز في ثلاث مراحل من العمر وهي :

المرحلة الاولى : بين سن الثالثة والسادسة ٠

المرحلة الثانية : بين سن الرابع عشرة والسادس عشرة ٠

المرحلة الثالثة : بين سن الثانية والاربعين والخامسة والاربعين معللين ذلك بخضوع العقل والنفس خلال هذه المراحل لنزعات شهوانية متعددة بسبب تحول بعض الغرائز الفطرية وتغير قوة الذات ٠

في حين يرى البعض(٩) ان هذه المرحلة لا علاقة لها بالظاهرة الاجرامية رغم اهميتها في تكوين شخصية الفرد ، فالطفل في بدأ حياته يعتمد على والديه اعتمادا كليا ، ولايتمكن من فهم وادراك ـ العوامل البيئية والاجتماعية المحيطة الا في سن السابعة أو الثامنة ، ولهذا عد هؤلاء الفقهاء سن السابعة هو السن الذى يبدأ فيه الطفل في الخروج عن طاعة والديه وينتهج السلوك الذى يمكن ان يتحقق معه الفعل الجرمي ٠

ويتجه رأى ثالث الى(١٠) عدم ادخال هذه المرحلة في الظاهرة الجرمية نهائيا ، فقبل بلوغ الطفل سن التاسعة لايمكن ان تظهر في حياته افعال اجرامية ، وحتى بعد بلوغه سن التاسعة الى سن الثانية عشرة فأن هذه الافعال لاتظهر الا على سبيل الاستثناء ، وحجتهم في ذلك ان معظم التشريعات الجنائية لاتسمح بمساءلة الحدث جنائيا الا اذا كان قادرا على الفهم والادراك ٠

ان هذه الاراء لم تفلح في اعطاء تفسير دقيق وواضح للعلاقة بين مرحلة الطفولة الاولى والسلوك الاجرامي ، لانها تجاهلت الحقائق التي

---

٩ ـ د ٠ علي عبد القادر القهوجي علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ ٠

١٠ ـ د ٠ احمد عوض بلال ، علم الاجرام (النظرية العامة والتطبيقات) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ٠

سبق الاشارة اليها بصورتها التفصيلية ، وبتصورنا فان دراسة العلاقة بين هذه المرحلة وسلوكه الاجرامي لاتعني بالضرورة الاقتصار على تحقيق سياسة المنع والردع وانما ينبغي ان تتضمن دراستنا ابعد من ذلك . فسياسة المنع وسياسةالتوقي من الجريمة لاتتحقق الااذا امكن الحيلولة بين الفرد وبين اقترافه الجريمة حتى وان كان في مراحل عمره الاولى ، وهذا مايطلق عليه السياسة الوقائية الخاصة بالصغار ، لهذا قلنا بان مرحلة الطفولة قبل التمييز مرحلة بالغة الخطورة لانها تمثل بداية الاستعداد لدى الطفل للتأثر بما يدور حوله في بيئته ، فالطفل وهو ينمو يقلد من حوله قبل ان يعقل مايفعل ولذلك ينبغي ان يكون من حوله صالحا ليكتسب منه الاخلاق والعادات والقيم الفاضله ، فينشأ نافعا مستحقا للتكريم الذى كرمه الله في انسانيته ، قال تعالى ((ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) * .

ولان الطفل غالبا مايحرص على التقليد فان هذه الظاهرة سرعان ماتؤتي ثمارها فتتولد الخطورة الناشئة عن واقع البيئة غير السوية التي ينمو فيها الطفل ، فاذا تجاوز الصغير سن السادسة تشعبت مصادر المعرفة عنده من المدرسة كمناهج والقائمين على شؤونها كأشخاص وسلوك التلاميذ الذين يعكسون بيئات اجتماعية شتى وكذلك الاطفال الذين يختلط بهم عند خروجه الى الشارع . وبما ان الطفل مازال قاصرا في تمييزه بين الخير والشر فأن المسؤولية الكبرى تقع على الابوين في هذه المرحلة ولما تمتاز به هذه المرحلة من خصوبة فقد حثت الشريعة الغراء على استغلالها على افضل وجه ، اذ امرت الوالدين بتوجيه الصغير وتربيته على اسس قويمة حتى تشحن روحه شحنا بمبادىء الخير والمحبة والفضيلة ، ولا ثم حصن منيع يتحصن به الانسان من

★ ــ سورة الاسراء ، الاية ٧٠ .

الجريمة الا هذه المبادىء التي تتلخص بتقوى الله والخوف من عقابه والشغف بثوابه ، اى حصن امضى قوة يحول دون اقتراف الجريمة من حفظ الصغير قوله تعالى (من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا) (١١)

واى طود يحصن الانسان من نزوات الشيطان اعظم من ان يحفظ الصغير قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) (١٢)٠ وقوله ((ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لايحب المفسدين) (١٣) ٠

حصون شتى امرت الشريعة الاسلامية المربين بان يوجهوا الصغار على انوارها حتى يستقبحوا الجريمة واخطارها وقد اكدت الشريعة على مبدأ القدوه الحسنه في التربية والتوجيه لانه خير تطبيق عملي بعد هذه المبادىء النظرية قادر على توجيه الصغير توجيها حسنا مثاليا يبقى الصغير فيه على فطرته السليمة والقدوة الحسنه لايقتصر اثرها على الصغار فحسب بل انها في تصورنا لها الاهمية الكبرى حتى بالنسبة للبالغين ولهذا كان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز تنهمر دموعه ويقشعر جلده حينما يسمع قوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤولون) (١٤)٠ لان القدوة الحسنة والمثل الاعلى والمسؤولية لا يختص بها واحد دون اخر بل هي شاملة لروافد المجتمع كافة ، وهي امانة وكل مؤتمن مسؤول امام الله من الابوين الى الاخ الكبير الى الاخت الكبيرة الى كل من وضع في عنقه امانة التربية والتوجية والتعليم بالشكل الذى بينة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

---

١١ ـ سورة المائدة الاية ٣٢ ٠
١٢ ـ سورة المائدة الاية ٣٨ ٠
١٣ ـ سورة القصص الاية ٧٧ ٠
١٤ ـ سورة الصافات الاية ٢٤

بقوله : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في اهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعيه في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته والابن راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتة (١٥) ٠

وتدل الاحصاءات الجنائية (١٦) على ان الجرائم التي يرتكبها الصغار تكون قليلة لاتكاد تذكر ، حيث بلغت النسبة المئوية لاجرام الصغار غير المميزين في العراق لسنة ١٩٧٩ ٠ : ٩ر٠٪ وبتصورنا يعود سبب انخفاض الجرائم بالنسبة لهذه المرحلة لعوامل شتى اهمها : ـ

١ ـ شدة الرقابة التي يفرضها الابوان مقرونة بالعناية الفائقه على ابنهما في هذه المرحلة من حياته ٠

٢ ـ شعور الطفل بالقناعة وقلة المغريات التي تدفعه لاقتراف الجريمة ، لان هذه المرحلة اشد ارتباطا بالفطرة السليمة بل تمثل امتدادا لهـا ٠

المرحلة الثانية :

الطفولة بعد مرحلة التميز (الصغير المميز) :

وتقع هذه المرحلة بين سن السابعة حتى سن المراهقة ، فقد دلت الدراسات النظرية والتجارب العملية في مختلف ارجاء المعمورة على ان

---

١٦ ـ اخرجة البخارى ومسلم براوية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ٠
١٥ ـ راجع النشرة الاحصائية التي تصدرها دائرة الاحصاءات الاجتماعية مسح الجريمة في مرحلة التحقيق (عدا المخالفات) لسنة ١٩٧٩ ، ص ١٥٦ ٠

الادراك يبدأ في السنة السابعة من عمر الانسان . وعلى هذا الاساس فان احدث النظريات التربوية اخذت بالحد الادنى لبداية الادراك اذ جعلت اكمال سن السادسة بداية الانتظام في المدارس ، وهذا دليل قد لا يختلف فيه اثنان ، لانه مجمع عليه بين رجال التربية ثبتت اصالته نظريا وعمليا فاذا ما بلغ الصغير السنة السابعة صحب الادراك القدرة على التمييز التي يترتب عليها تكليف الصغير ببعض الواجبات التي يكون لها اثرا كبيرا في بناء شخصيته ومن ابرزها الصلاة ، ولهذا امرت الشريعة الابوين ان يعلموا الصغير الصلاة في سن السابعة ، ولما كان التمييز يتكامل في سن العاشرة لذا يكون الصبي في هذه المرحلة اهلا لانزال العقوبة التأديبية بحقه سواء اكان بالكلام الهادف ام بالضرب اليسير الذى يحقق التوجيه والتذكره تنفيذا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع) .

وهذه المرحلة مهمة في حياة الانسان اذ تتسم بقدرة الصغير على التقبل والادراك والتمييز بين الخير والشر ، لانه يحس بالالم النفسي اذا فقد شيئا كما يحس بألم غيره اذا تعرض صديق له الى مكروه ، وقد دلت التجارب على ان الصغير في هذه المرحلة ينتظم في المدرسة ويصعب ان ينتظم فيما قبلها الا بمرافقة احد ذويه لانه لم يحسن التمييز قبل السابعة من عمره في حين انه يكون في السابعة اقدر على التمييز لذا نجده مستمرا على الدراسه ومنتظما فيها دون انقطاع ، ولو ارجانا مرحلة التمييز الى سن التاسعة لكان هذا تخلفا زمنيا اذ قد يبلغ الصبي سن الاحتلام في السنة الثالثة عشر ومعنى ذلك اننا جعلنا اربع سنوات مابين الطفولة والرجولة وهذا امر سماعة يغني عن الرد عليه إذ قررنا هدر سنتين من عمر الانسان تمر دون تمييز او ادراك ، وهذا يتعارض مع حقيقة تفرض

نفسها وهي ان القرن الحالي وما صاحبه من تطور علمي وتكنولوجي هائل في مختلف الميادين ساهم في تقديم وسائل سهلت توصيل المعلومات الى اذهان الصغار باساليب تناسب وعيهم وادراكهم ، مما رفع فعلا من قابلية هؤلاء على التمييز الى حد قد نشعر فيه احيانا ان الصغار قد تجاوزوا مرحلة الصغر بما نتلقاه منهم من تساؤلات ومناقشات مختلفة حول ما يدور في حياتنا اليومية وما يرافقها من احداث ، وربما لايقتنعون فيما نقدمها لهم من ايضاحات واجابات تراعي فيها مداركهم ظنا منا بضعف مقدرتهم على الفهم الا اننا نراهم يلحون ويطالبون بالمزيد من الايضاحات والتفسيرات المستندة الى تبريرات منطقية مقنعة وقلما يوجد الان من الاباء من لايتعرض الى مثل هذا النمط الاسئله التي قد تحرجه ولايجد لها جوابا مقتنعا لابنائه ، وبنظره سريعة فاحصة الى اطفالنا اليوم مقارنة باطفالنا بالامس يتجسد لنا الفرق الكبير بين ماكانت تمتلاء به عقولهم من خرافات وافكار مريضة بسبب قصص وحكايات العفاريت(١٧) والجن وغيرها من الاوهام التي غالبا ما يلجأ اليها الاباء والامهات لتخويف ابنائهم او لسد الفراغ حينذاك في حين ان عالمنا الذى يعيش فيه اطفالنا اليوم قد نبذ ذالك كله وابدله بما هو حقيقي ويمكن ان تستثمر هذا التغير بما ينفع اذا هيأنا لاطفالنا من يحسن تربيتهم ويوجههم وفق القيم الاخلاقية الفاضلة النابعة من وجدان امتنا ذات التقاليد العريقة ٠

١٧ ـ يعد الكاتب الدنماركي اندرسن من اشهر الرواة لهذه الحكايات والقصص التي راجت في اذهان الصغار لفترة طويلة ٠

المرحلة الثالثة : مرحلة المراهقة والبلوغ :

وتقع هذه المرحلة بين البلوغ وحتى سن الثامنة عشر ، ولاهمية هذه المرحله فقد اوجب المختصون مراعاة درجات السن المتفاوتة خلال هـذه المرحلة ، لانهم يرون ان تأثير السن على السلوك الاجرامي يختلف فـي فترة البلوغ عنه في فترة مابعد البلوغ ، كي يمكن تحديد الدور الذي يساهم به السن في تحقيق السلوك الاجرامي(١٨) ، فالفرد يخضع خلال هذه المرحلة لتأثير عاملين متعارضين هما التكوين النفسي الداخلي والظروف البيئية الخارجية ومن شأن هذا التعارض دفع المراهق لاقتراف الجريمة ، اذ يقع الفرد خلال هذه المرحلة تحت تأثير غرائزه وعواطفه ورغباته الشخصية ، لاسيما ان حب المغامرة والتحدي واظهار القوة تصاحب شعوره بنمو تكوينه الجسماني وازدياد طاقته البدنية واضطراب ميوله الغريزية والعاطفية وضعف فيقدرته على ضبط النفس(١٩) ،وهذا مايزيد من فرص تعارضه مع العوامل الخارجية التي لايتيسر له تلبية هذه الرغبات لـذا تجده يثور لاتفه الاسباب ، ويكون التعبير عن عدم الرضا باقتراف الجرائم التي تحتاج الى قدر من الدهاء والذكاء والحكمة نادرا بالنسبة له .

وتشير الاحصائيات الجنائية الى ان نسبة اقتراف الجرائم في هـذه في هذه المرحلة مرتفع جدا ، اذ يمثل عشرة اضعاف الجرائم المقترفة فـي المرحلتين السابقتين ، ففي مصر تشير الاحصائيات المعتمدة لعام ١٩٨٢ ان عدد المتهمين بارتكاب الجنح في ذلك العام لمن تتراوح أعمارهـم بيـن ١٣ و ١٦ سنة بلغ ٢٢٣٣ متهما ، ٢٨٨٨ متهما لمن تتراوح بين ١٦ و ١٨

---

(١٨) د مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق
(١٩) د . رمسيس بهنام ود . علي عبد القادر القهوجي ، علم الاجـرام والعقاب ، منشأة المعارف الاسكندرية ، ١٩٨٦ ص ١٢٢ .

سنة في حين بلغ عدد المتهمين باقتراف نفس الجرائم لمن هم اقل من ٧ سنوات بلغ ٢٧٣ متهما و ٨٦١ متهما لمن تتراوح اعمارهم بين ٧ و ٩ سنوات و ٣٥٣٨ متهما لمن تتراوح اعمارهم بين ٩ و ١١ سنة و ٥٤٣١ لمن تتراوح اعمارهم بين ١١ و ١٣ سنة(٢٠) ٠

اما في الفقة الاسلامي فالمراهق هو الذى قارب مرحلة الاحتلام ولما يحتلم(٢١) ، وقد ذهب بعض الفقهاء الى اعتبار مرحلة المراهقة تبدأ من بلوغ الصبي سن الثانية عشرة الى من التكليف المعروف ببلوغ الصبي دور الاحتلام او بلوغه من السن خمس عشرة سنة فيما اذا لم تظهر علامات الاحتلام(٢٢) ٠

وما اخوفنا على الابناء في هذه المرحلة العصيبة من حياتهم ، اذ الصبي كأنه جواد جامح لايستقيم الا بالفارس الذى يوجه العنان كما يقود الربان السفينة الى شاطىء السلام ، لان الصبي حين يشب عن الطوق ويبتعد عن الرقيب يرى نفسه على حين غفله في عداد الرجال حيث الغدد تنمو وتضطرب والغرائز تهيج والرغبات تتدفق مما يحرص على اشباعها مع وجود الطاقة البدنية والشعور بالقوة وربما يجد في خضم الصراع متنفسا لهذه الطاقات المكبوته ، ولكن مثل هذه الظواهر تكاد تختفي في المجتمعات المحافظةلان الصبيوان دخل فيمرحلةالمراهقة فهومرتبط برقايةالله تعالى اذا وجهه المربون منذ الصغر نحو الخير واشعروه بقرب الله تعالى منه ، وما دام المراهق لم يبتعد عن المراقبة والتقوى فهو بعيد كل البعد عن

---

(٢٠) د ٠ احمد عوض بلال ، علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ و ٢٥٨ ٠

(٢١) الزاهر في غريب الفاظ الشافعي ، صنفه ابو منصور الازهرى ، الكويت ١٩٧٩ فقرة ٢٧٣ ص ١٨٦ ٠

(٢٢) الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية على مذهب الامام ابي حنيفه النعمان ، مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ المادتين ٤٩٤ / ٤٩٥ ص ٧٨ ٠

المنزلقات والمغريات التي تفضي الى الجريمة ، اما الذين حرموا من نعمة التوجيه الصالح فانهم تائهين ضائعين يسيرون كالجياد بلا عنان خلف الغرائز والشهوات لاهم الا اشباع غرائزهم وشهواتهم باى شكل .

ولانريد بما قدمناه ان نهول من مخاطر هذه المرحلة كما هو لها غيرنا لاننا ننظر الى قوة ادراك الصبي ، اذ كل شيء فيه نحو النضج ؛ والعقل مفتاح الخير والشر في نضج ايضا ، فاذا ما تعاون المربون من الاسرة الى المدرسة الى وسائل الاعلام في جميع انواعها المسموعه والمقروءه والمرئية استطاعوا ان يكونوا رجل المستقبل الذى يريدونه ، اما اذا لم يتحقق ذلك عندئذ يبتلى المجتمع بالفوضى التربوية ، المتمثلة بتناقض التوجيه الاسرى والتوجيه المدرسي والاجتماعي ، فقد تخفق الاسرة في توجيه الابناء الوجهه السليمة وقد تعجز المدرسه عن اكمال هذه الرسالة وقد يشجع المجتمع هذا الاضطراب وعدم تحقق التناسق بين ادوار الاجهزه المذكورة فيبتلى الوطن اشد البلاء ، اذينشا رجال المستقبل نشأة منحرفة لاتعرف الا ارواء الغرائز والشهوات وان كانت على حساب الغير .

ولا يخفي ان وسائل الاعلام لاسيما المرئية منها الكالسينما والمسرح والتلفزيون لها تأثير كبير اذ هي قادرة على توجيه الصبي والمراهق توجيهاً سلبيا او ايجابيا ، فالافلام المخليعه ومما تظهره بعض الحلقات التلفزيونية من مواقف وقضايا تجد لها التبرير كالكسب الحرام والربح الفاحش والخيانة الزوجية والاعتداء ،على حرمات الاخرين وحقوقهم ،وغير ذلك من البرامج غير الهادفة التي من شأنها ان تثير جملة من الغرائز الفطرية المتأصلة في نفس الانسان كغريزة حب المال والغريزه الجنسية فيهيج بسبب تلك الاثارة ولا يجد من يهذب من نزاوته او يهدىء من ثورة غرائزه ، وبهذا تقترف الجرائم لان وازع الفضيلة ضعف في نفسه ونحن

نعسم ان الفضيلة والرذيلة لاتقبل القسمة على المناصفه اذ الذى ينعدم عنده الوازع الاخلاقي لا يتورع عن اقتراف جرائم السرقة والاعتداء والجرائم الا خلاقية وغير ذلك . والذى يالف الفضيلة بمحافظته على القيم الفاضلة وتحليه بمكارم الاخلاق لايدع مبدأ امر الله به الالتزم به حتى يجد نفسه في طود منيع لايرى الجريمة ولا الجريمة تراه .

ومجمل مانرى ان العلم وحدة قد لايقوى على التوجيه والتربية . وانما لابد له من ان يقترن بالتوجيه التربوى الخلقي ، اذ بموجب هذا التوجيه يتخلى الانسان عن مبدا الرذيلة كافة ويملاء قلبه بالفضيلة المتمثله بالخوف من الله والابتعاد عن الجريمة لانها نزغه من نزغات الشيطان تتنافس مع من حي في رحاب الرحمن تطبيقا لقوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها) فالكفر بالطاغوت من ابرز معانيه ان يمحو الانسان من قلبه كل رذيله ليملاءه بنور الفضيلة .

المطلب الثاني

مرحلة الشباب

وتقع هذه المرحلة بين سن الثامنة عشر حتى سن الخامسة والعشرين، وتتميز هذه المرحلة باعتبارها من اخطر مراحل العمر اذ يرتبط بها وصول الاضطرابات الفسيولوجية والنفسية المتصلة بالمراهقة الى نهايتها ، وظهور الاستعدات الاولى لطورالاستقرار ،وقد كشف الاحصائيات مدى خطورةهذه المرحلةمن مراحل العمر اذ بينت ان نسبةاقتراف الجرائم كانت مرتفعة خلالها (٢٣)

---

٢٣ ـ د . فوزية عبد الستار ، مبادىء علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

وليس ادل علي ذلك ما أثبته الاحصائيات الفرنسية لعام ١٩٧١ من ارتفاع نسبة الجرائم خلال هذه المرحلة ، اذ بلغت نسبة جرائم الاموال ٧٢ و٥٢٪ وجرائم النصب ٩٦ و ٢٤ ٪ وجرائم خيانة الامانة ٨٣ و ٢٣ ٪ من الجرائم الخاصة بالشيكات ، وفي نطاق جرائم الاشخاص بلغت نسبة جرائم القتل العادي والقتل المشدد والضرب المفضي الى موت ٢٤ ٪ وجرائم الضرب والجرح العمد ١٠و٤٠ ٪ وجرائم القتل المرتبطة بحوادث الطرق ٧١ و ٤١٪ وجرائم قيادة السيارة بدون ترخيص و ٤٣ ٪ ، (٢٤) .

وفي الكويت تشيرا احصائيات الادارة العامة للامن لعام – أدارة السجون لعام ١٩٧٥ ، ان مرحلة الشباب تستأثر بنسبة ١/٦٥٪ من مجموع السجناء(٢٥) .

اما في العراق فقد اشارت الاحصائيات الرسمية التي يصدرها الجهاز المركزي للاحصاء ان نسبة الجرائم التي اقترفها الشباب على المخالفات لسنة ٩٧٩١ هي ٨٧ و ٢٥٪ (٦٢) ، كما بلغت نسبة حوادث المرور التي ارتكبها الشباب لنفس السنة ٢و٢٢ ٪ (٢٧) .

---

٢٤ – د. احمد عوض بلال ، علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .

٢٥ – د. عبود السراج ، علم الاجرام وعلم العقاب ، دراسة تحليلية في اسباب الجريمة وعلاج السلوك الاجرامي ، الكويت ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ، الطبعة الثانية ، ص ٢٢٤ .

٢٦ – انظر النشرة الاحصائية التي يصدرها الجهاز المركزي للاحصاء ، مسح الجريمة في مرحلة التحقيق (عدا المخالفات) لسنة ١٩٧٩، ص ١٥٦.

٢٧ – انظر نشرة احصاء حوادث المرور المسجلة لسنة ١٩٧٩ ، (عدا المخالفات) الجهاز المركزي للاحصاء، دائرة احصاء النقل والمواصلات ص ٩٦ – ٩٧ – ٩٨ .

ولخطورة هذه المرحلة فقد عنيت بها جميع التشريعات ولاسيما الشريعة الاسلامية اذ اولتها مزيدا من الاهتمام والعناية بما خصت به الشباب من توجيهات وارشادات تذكي ضمائرهم وتنقي انفسهم وتصفي سرائرهم من اجل مساعدتهم في تجاوز مخاطر هذه المرحلة باقل معاناة ممكنه ، ومن ابرز المشاكل التي يعاني منهاشبابنا الان هي الغريزة الجنسية هذه الغريزة التي اودعها الله في كلا الجنسين ؛ ثم قدر حلها بامر يسير منسجم مع الكرامة الانسانية الا وهو الزواج الذى اباحته الشريعة بل وحثت عليه قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم ((يامعشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ، فان لم يستطيع فعليه بالصوم فانه له وجاء)) ومما يؤسف له ان اصبح الزواج امرا عسيرا في عصرنا هذا ؛ اذ جنى الناس على انفسهم فقد فرطوا بنعمة كبيرة وهبها الله لهم وهي نعمة الاستقرار الروحي الذى يتحقق في ظل الزواج ولايمكن للبشرية ان تنعم بالاستقرار الا اذانبذت الوسائل المادية التي فشلت في تحقيق الاستقرار النفسي والتمست الحل من المسائل الروحية ؛ لان البشرية ليست بحاجة الى زيادة المخترعات في الجوانب المادية بقدر حاجتها الى اختراع الوسائل التي تنجح في اكتشاف مجاهل النفس الانسانية من اجل تطوير وسائل العلاج الروحية التي تحقق الاستقرار النفسي والروحي وبهذا تثمر هذه الوسائل اكلها في اشاعة السعادة والطمأنينة بدلا من البؤس والشعور بالقلق .

وفي مرحلة الشباب تزداد القوة البدنية والعقلية فعلا ، فيصاحب ذلك شعور الشاب احيانا بانه قد وصل الى مرحلة النضوج في كل شيء فيؤدى ذلك الشعور الوهمي الى اصابته بالغرور الذى يوحي له بانه يتميز بالافضليه على غيره ، فيدفعه ذلك ان يظهر هذه الافضلية بين الناس فيوقعه ذلك في كثير من المشاكل ، ومن اوضح هذه المشاكل مايقع من

حوادث السيارات المؤسفة وما اكثرها ، وسببها غالبا هو حب التباري واظهار القوه وحب السيطره والانانيه المتمثله بحب الذات وعدم الاكتراث بمشاعر الاخرين وهذه نتائج طبيعيه تتحقق من الاحساس الوهمي بالافضليه على الغير والنهج الذى نتمنى من الشباب ان ينهجوه يتلخص في امرين :

الاول : تقوى الله تعالى لان التقوى تحول دون اقتراف الجريمة . فالتقوى معناها التذكير بالاوامر والنواهي التي شعت عن الخالق لتكون للناس خير منهج ونبراس ، اذ الاوامر هي النور والنواهي هي الظلام ، وشتان بين النور والظلام .

الثاني : الزواج وهو الحل العملي الذى تخفف به وطأة الرذائل وتزدهر به الفضائل لان الاقتران بالمرأة هو سكن الروح والفؤاد ذلك السكن الذى بناه الله تعالى من لبنة الود المقدس قال تعالى (ومن أياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) (٢٨) .

لذا فان كل علاقة غير مشروعة بين الرجل والمرأة من شأنها ان تدنس هذا السكن العظيم وتنقض اركانه ، فارادة الله اقتضت الحمايـة والقدسية له ، والعلائق غير المشروعة مهما اتخذت لها من وصف او اطلق عليها من لفظ ماهي الانفثات شيطانية دلت الوقائع القضائية وما اكثرها على ان كرامة الانسان تنزل دون مستوى الادميه اذ تختلط الانساب وتخان الاحباب وتختل الثقة وتحل الاساءة محل الاحسان وتصبح المرأة فيها كما حدث في البيئة الاخرى كأنها بضاعة او وسيلة مؤقته لاغايه يسكن اليها القلب وتطمأن اليها الروح ،ويصبح الرجل مع الخيانة الزوجية اللااخلاقية

---

٢٨ ـ سورة الروم ، أية ٢ .

لايعرف من نعمة الجنس الا النهم كأنه ذئب جائع لا مأرب له الا ارواء الغريزة الجنسية ، بينما اللذة والفضيلة تتعانق في سكن الزوجية المقدس، هذا السكن الذى ما حال دون تشييده الا المال الزائل ، وبتصورنا ان حل هذه المسأله امر يسير يتحقق باعتبار الزواج طريق الوصول الى المال دون اعتبار المال طريق الوصول الى الزواج ، وقد ايد الواقع الاجتماعي صحة هذا التصور ، فمئات الشباب تزوجوا وما يمتلكوا الا اليسير من ضرورات الحياة وبعد فترةزمنية قصيرة باركالله فيرزقهما فأمتلكا هذه الضروريات وعرج كل منهما على صرح السعادة والطمأنينه ، لان الانسان بعد ان يتزوج ينشط في عمله ، فهو من اجل اسرته يضاعف من نشاطه وجهوده لانه لا يكافح من اجل ذاته ، وانما من اجل زوجته واطفاله ، وفعلا ايد علماء الاقتصاد دور الاسرة في زيادة النشاط الاقتصادى وازدهاره .

المطلب الثالث

مرحلة النضج والكهولة

وتقع هذه المرحلة بين سن الخامسة والعشرين وسن الخمسين ، وفيها تقترب شخصية الفرد في ملامحها وهيئتها من صورتها النهائية ، ولاهمية هذه المرحلة وطول فترتهافقد قسمها البعض الىمرحلتين(٢٩) هما :مرحلة النضوج المتوسط وتمتد الى سن الخامسة والثلاثين ومرحلة النضوج الكامل وتمتد من سن الخامسة والثلاثين الى الخمسين ، تتميز المرحلة الاولى بكثرة النشاط والحيوية والحاجة الى الحياة العاطفية المستقرة في حين

---

٢٩ ـ د . احمد عوض بلال ، علم الاجرام ، السابق ، ص ٢٦٢ و ٢٦٣، وهناك تسمية أخرى لهاتين المرحلتين هما : مرحلة الكبير الشاب من ٢٥ ـ ٣٥ سنة ومرحلة الكبير الراسخ من ٣٥ ـ ٥٠ سنة راجع في تفصيل ذلك ، د . عبود السراج ، علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

تتميز الثانية بالاستقرار على المستوى المهني والمكاني والعاطفي(٣٠)، ولما يتسم به الفرد في هذه المرحلة من هدوء واستقرار وتفتح ونضوج بالمعنى الدقيق فأن نسبة الجرائم في مرحلة النضج رغم طول فترتها تكون اقل من نسبة الجرائم التي يقترفها الفرد في مرحلة الشباب، فقد اشارت الاحصائيات الفرنسية ان نسبة المحكوم عليهم في فترة العمر من ٢٥ ـ ٣٥ قد انخفضت عن مرحلة الشباب من ٤٦١ الى ٣٧١ ، كما انخفضت نسبة الجنح في مرحلة العمر ذاتها الى ٢٥ و ٢٨ ٪ بعد أن كانت في مرحلة الشباب ١٥ و ٣١٪ كما بلغت نسبة جرائم هذه المرحلة ٢٢ ٪ من جرائم الاموال العادية والعنيفة و ٩٩ و ٢٦ من جرائم الايذاء البدني و ٢٥ ٪ من جرائم القتل المرتبط بحوادث السيارات كما اشارت نفس الاحصائيات ان نسبة المحكوم عليهم في فترة العمر من ٣٥ ـ ٥٠ سنة لسنة ١٩٧١ كانت ٣٨ و ٢٤٪ من مجموع الجنايات المرتكبة ، وبالنسبة للجنح كانت النسبة ٧٧ / ٢٥ ٪ فيما يتعلق بالذكور و ٦٥ و ٣٠ ٪ فيما يتعلق بالاناث ، كما هبطت جرائم الفعل الفاضح العلني الى ٢٠٪ من مجموع جرائم الفعل الفاضح المقترفة(٣١) ٠

وفي الكويت تأتي مرحلة النضج في المرتبة الثانية بعد مرحلة الشباب اذ تتمثل نسبة ٥ و ٢٢ ٪ من مجموع الجرائم(٣٢) ٠

وتمثل هذه المرحلة بداية الاستقرار في المجتمعات المعاصرة ، لان المجتمعات القديمة تتسم بالاستقرار المبكر وكذلك بعض مجتمعاتنا الريفية المعاصرة ايضا ، اما المجتمعات المدنيه فانها تعلق الاستقرار على اكمال مراحل

---

٣٠ ـ د ٠ فوزية عبد الستار ، مبادى علم الاجرام والعقاب، المرجع السابق ص ١١٠ ٠

٣١ ـ د ٠ احمد عوض بلال ٠ المرجع السابق ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ٠

٣٢ ـ د ٠ عبود السراج ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ٠

الدراسة ولاسيما مرحلة الدراسة الجامعيه ثم الخدمه العسكريه ، ولو اجرينا عملية حسابيه بسيطه لتبين لنا ان الانسان المعاصر في مجتمعنا يكمل مرحلة الابتدائية في السنة الثانيه عشر والثانويه في السن الثامنه عشر والجامعية في السنه الثانيه والعشرين على افضل التصورات ثم الخدمه العسكرية وفي تصورنا ان الاستقرار المكاني والوجداني في الوقت الحاضر قلما يبدأ قبل سن الخامسة والعشرين وهو السن الذى يبدأ فيه الانسان يتحمل المسؤوليات وتتبلور فيه الشخصية التي غالبا ما يحافظ عليها صاحبها بعد الفترات الزمنية التي امضاها في الوصول اليها ، وعلى هذا الاساس يفترض ان تقل نسبة ارتكاب الجرائم ، ولكن الاحصاءات الرسمية تدل على خلاف ذلك ، والذى نراه ان كثرة الجرائم راجع في الظاهر الى طول هذه المرحلة التي يتصل قسم منها بمرحلة الطيش والشباب ويرجع البعض الاخر الى اسباب متعلقة بهذه المرحلة منها الفشل في تحقيق الاستقرار المادى او الوظيفي او العاطفي ، وقد تقل الجريمة اذا ما تكامل النضج ببلوغ سن الاربعين حيث يبلغ الانسان اشده عقلا وجسما ، قال تعالى ((حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه)) (٣٣) .

ثم تتضاءل الجريمة مابين سن الاربعين والخمسين ، اذ قد يكون الانسان بعد الخمسين مشمئزا من اقتراف الجريمة لضآلة الحياة في عينيه

---

٣٣ ـ سورة الاحقاف ، الاية ١٥ ، وقد اكد هذه الحقيقة العلامة ابن الازرق بقوله (والعمران كله من حضارة وبداوه وملك وسوق له عمر مخصوص كما لاشخاص المكونات ، والاربعون للانسان غاية في تزايد قواه، عندها تقف الطبيعةعن ذلك برهه ثم تأخذ في الانحطاط)) انظر ابي عبد الله بن الازرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق د . علي سامي النشار ، منشورات وزارة الثقافة والفنون بغداد ٩٧٨ ج ٢ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

بعد ان فهمها على حقيقتها او لعجزه عن اقترافها روحيا اوبدنيا كردود الفعل التي واكبته في الحياة والنوائب التي المت به والامراض ألتي أصابته وقد يكون متمتعا بسمعه جيدة او مكتسبا شخصية مرموقة يحرص على ان يحافظ عليها لاسيما وان الانسان في هذه المرحلة كشجرة تشعبت اغصانها واينعت ثمارهابكثرة الاولاد والاحفاد فارتكاب الجريمة والحاله هذه قد تسبب له ولاولاده واحفاده ضررا ماديا ومعنويا الى غير ذلك من العوامل التي تساعد على تضاءل الجريمة في مرحلة الخمسين ، ونحن نرى ان الانسان في مرحلة النضج والكهولة بحاجة ماسه الى توجيه فكري يعتمد امور اربع ان اتحدت وتعانقت اثمرت الشخصية التي يندر للنزعة الاجرامية ان تجد اليها سبيلا وهذه الامور هي : التقوى والسعي والتوكل والقناعة ، فالمتقي يجب بالضرورة ان لايكون معتديا لان الاعتداء ظلم على حق الانسان ، والاعتداء على الحق الفردى هو اجسم خطرا واعظم ضررا من الاعتداء على حقوق الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى في الاعتداء على حقه ((ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا)) (٣٤) وقال تعالى في حكم الاعتداء على حق الانسان : (ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا)) (٣٥) .

والمتقي ينهل من مورد القرأن حتى يتعطر قلبه بنور الخالق العظيم وتتعلق روحه بجوهر الفضيلة واذا صلح القلب فقد صلح الجسد كله فالجريمة كما سبق ان بينا تستقر في القلب بالنية والعزم والتفكير قبل ان تتحرك بها الجوارح في التنفيذ ، وما الجوارح الا وسائل تنفذ اوامر القلب والعقل فاذا ماطهرت القلوب وشعت العقول بانوار الخير وحب

٣٤ ـ سورة النساء ، الاية رقم ١٦٧ .

٣٥ ـ سورة النسورة النساء . الاية رقم ١٦٨ ، ١٦٩ .

الاخرين ، فلا امر يأمر الجوارح بسوء فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من شر النفوس عموما ومن شر مايتولد عنها من الاعمال ومن شر مايترتب على ذلك من المكارة والعقوبات) (٣٦) اما الامر الثاني وهو السعي فهو مستوحي من قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى) (٣٧) والسعي وان واكبه بعض الفشل فانه لابد ان يوتي ثمارة بالامل ، وأى حث والسعي يمكن ان يبلغ القدر الذى صوره المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله (اذا قامت الساعة وفي يد احدكم غرسه واستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم فليغرسها)) او كما قال ثم التوكل على الله تعالى ، وقد جعلته بعد السعي لان الله قدم السعي عليه بقوله : (فاذا عزمت فتوكل على الله (٣٨) وان الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرجل الاعرابي الذى ترك ناقته طليقة وتوكل على الله (اعقل وتوكل) والتوكل هو الشعور بوجود القوة المعنوية التي يعتمدها الانسان ويوكل اليها الامور بعد الاخذ بالاسباب المادية ، فاذا توفر عنصرا هذه المعادلة اى العزم والشعور بقوة الله تعالى اثمرت باطمئنان القلب وانشراحه بتحقيق النصراني كان الهدف المبتغى ، فالاطمئنان على هذا الاساس ليس الا عملية بسيطة في مظهرها وفي استخلاصها لاتعدو ان تكون السعي والعزم + التوكل = انشراح النفس واطمئنان الروح ، وقد سبق ان او ضحنا المقصود بانشراح النفس واطمئنان القلب فنحيل اليه دفعا للتكرار ، اما القناعة وهي الامر الاخير فانها عماد الشخصية الانسانية التي يقف بها الانسان طودا يتحدى المصاعب ويتغلب على الفشل . حتى يصل الى مبتغاه ويحقق المآرب التي يطمح اليها فالارزاق قدرها الله تعالى

---

٣٦ ـ اغاثة اللهفان للامام ابن القيم ، المطبعة الميمينيه ، القاهرة ط ١ ، ١٣٣٠ هـ ص ٤١ ، ٤٢ .

٣٧ ـ سورة النجم ، الاية رقم ٣٩ .

٣٨ ـ سورة ال عمران الاية رقم ١٥٩ .

كما قدر اقوات الحياة منذ الازل ، فكل شيء مخلوق بقدر . ولم يكن الخلق عبثا ، قال تعالى (افحسبتم انا خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون) (٣٩) حتى المطر قدره بحدود مايحتاج اليه خلقه (٤٠) ، واذا ماقدر رزق الانسان فان القنوع الذي يتحدى الفشل يرضى بما قدره الله له ولا ينزلق مع المنزلقين في اقتراف الجريمة المحرمة من اجل ان يحقق لذة عاجلة او يطمئن نزوة عابرة اذ القنوع لايسلك بالضرورة الا السبيل المشروع وهو يبتسم للقدر اذا قلت المعاناة المادية والروحية فالقناعة من الايمان والمؤمن يعمر قلبه باسباب العزيمة والنصر المتمثلة بالصبر . ولنا في اسلافنا قدوة حسنة فقد سموا بالقناعة والرضا اذ يسعون ويتوكلون وبالقليل يرضون ويحبون الناس جميعا ولا يحسدون احدا على نعمة قد اجزلها الله لهم مهما بلغت ولكن الشاب لايستطيع ان يعيش في نعمة هذه الفضائل مالم تنهل الشابة من نفس مورد هذه القيم . حتى يرضيا بالقليل لان مافوق الحاجة لايمكن اروائه البته . وما اخال غنى النفس الا القناعة والاطمئنان والرضا ، والذي حرم من نعمة القناعة يتصف بداء النهم والطمع الذي لاتستطيع كنوز الدنيا ان تملاء جوفه وتطفا دمه . مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم

---

٣٩ ـ سورة المؤمنون الاية رقم ١١٥ .

٤٠ ـ الامام ابن القيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، مطبعة دار السعادة القاهرة ١٣٢٣ هـ الجزء الاول ، الطبعة الاولى ص ٢٣٥ ، ولايمكن القول بهذا الصدد ان هناك مناطق يكون فيها المطر اكثر من الحاجة والمناطق اخرى لاينزل فيها المطر ، لان الانسان لم يحسن تصريف المطر كما ينبغي ، وهناك سر قد يجهله الانسان فما يبدو فائضا عن الحاجة في منطقة معينة يغور في الارض ليكون رزقا يسوقه الله الارض اخرى بقنوات تحت الثرى تخفى عن الابصار ، اما المناطق المتسمة بالجفاف فقد قدر الله بحكمته ان يأتيها رزقها من الماء بواسطة العيون والابار بدليل ان الحياة فيها باقية ، ولو انعدم الماء منها البتة كما نتصور بسبب عدم نزول المطر لانعدمت فيها الحياة وهذا امر غير متصور .

(لو كان لابن واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب) (٤١) .

ونظرا لما تتصف به بعض الامراض التي سبق الكلام عنها من خطورة وخشية سريان عدواها بين ابناء مجتمعنا الطيب ، فقد اثرت الاستدلال ببعض الحكم الذى تذم الطمع والحسد والنهم والجشع ليستنير بها طلبتنا ويتغلبوا على الصعاب والبلايا التي قد تواجههم في حياتهم اليومية المليئة بالتعقيد والمشاكل .

وما اجمل التصوير الذى صور به المصطفى صلى الله عليه وسلم الغنى بقوله (ليس الغنى من كثرة العرض ولكن الغنى النفس)(٤٢) ، ومعنى الحديث ان الغنى المحدود هو غنى النفس وقلة التشبث بالحياة اذ ينبغي عدم التفكير في رزق الغد ، لانه اذا تيسر للانسان من المال مايكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ، ويعنيه على ذلك قصر الامل ، والتحقق بان الرزق له لابد وان يأتيه وان لم يشتد حرصه . فأن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى ومكذبا بوعد الشيطان الذى يعد الانسان دائما بالفقر، بقوله الذى تردده السنة الكثيريين : ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز فلا يزال طول العمر يتبعه في الطلب خوفا من التعب ، وهذا الحرص لا ينفك عن الانسان الا بحسن ثقته بتدبير

---

٤١ ـ شرح الامام النووى على صحيح الامام مسلم ، ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ابي العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلاني، الفكر ، المجلد الرابع ص ٤٤٣ .

٤٢ ـ وسئل بعض عن الحكماء الغنى فقالوا : الغنى قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ، وقال بعضهم : وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع ، الامام ابي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، دار الفكر القاهرة ١٣٥٦ هـ المجلد ٤ص ١٦ ، ١٧ .

الله تعالى في تقدير ارزاق العباد ، وقد بين الغزالي مفهـوم القناعة بقوله (ان يعرف مافيها من عـز الاستغناء ومـا في الحرص والطمع من الذل فاذا تحقيق عنده ذلك انبعثت رغبتـه الى القناعة لانه في الحرص لايخلو من تعب وفي الطمع ذل (٤٣) . كما جعل الامام الغزالي القناعة شعبة مـن شعـب العفة(٤٤)، لذا ينبغي لمن حرم من نعمة المال أو من فقده أن يستعمل القناعة، ولمن منحه الله هذه النعمة أن يستعمل السخاء والايثار . اذ السخاء مـن اخلاق الانبياء ، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم (الاسلام ديـن ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق ، فاكرموه بهما ما صحبتموه)(٤٥) وفي ذلك حث على القناعة والسخاء .

وروى ان رجلا قال يارسول الله اوصني فقال لـه (عليك باليأس مما في ايدي الناس تعش حرا واياك والطمـع فانـه فقر حاضر ...) (٤٦) فالطمع هو تعب مستمر لصاحبه وان كان ذا كثرة من المال ، صحيح ان المـال مستحس تطلبه النفوس وتميل اليه ولكن مـن يستكثر منه ويسغرق فيـه دون يصرفه في وجوهه المشروعة يؤدي الى هلاكه فاما من يقتصد فيه فـلا يأخذ منه الا يسيرا أو اخذ منه كثيرا الا أن صرفه في وجوهه فهذا ينفعه ، لذا فـا افضل شيء هو الاعتدال والتوسط في جميع المال (٤٧) .

---

٤٣ ـ الامام ابن حامد الغزالي . المرجع السابق ص ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ .
٤٤ ـ ابي حامد الغزالي ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، منشوارت دار الافاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨ ، ط٣ ص ٩٠ .
٤٥ ـ ابن قدامة المقدسي مختصر منهاج القاصدين ، دمشق ١٩٨٠ هـ ، ١٩٦١ م ط٢ ص ٢١٨ .
٤٦ ـ ويس وفا ابن محمد الارزنجاني الحنفي ، ١٣٢٧ هص ٥٢٩ .
٤٧ ـ ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، المرجع السابق ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

المطلب الرابع

مرحلـــة الشيخوخـة

وتبتدا هذه المرحلة عند بلوغ المرء الخمسين من عمره حتـى انقضاء الاجل المحتوم ، وقد تتسم بالطول الزمنى المصحوب بالطـوارىء التـي تفاجيء الانسان ، اذ قد ينتهى اجله بعد الخمسين وقد يمتد الى ماشـاء الله من العمر ، اذ القوى في هذه المرحلة يدب فيها الضعف . وتهن العظام وعلى حين غفله تتفاقم الالام ، ولايخفي على الباحثين أن لهـذه الامـور كلها اثرا بالغا على النفس والقلب وهل تقترف الجريمة الابهما . ومـا الجوارح الا جنود بيد الجوامح . ولهذه العلل فأن الجريمة تقل كلما تقدم عمر الانسان ، ومن اهم مميزات هذه المرحلة :

اولا : أن نوازع الشر لدى الانسان وميله الى اقتـراف الجريمة قـد تستمر حتى بعد سن الخمسين نظرالاستمرار النوازع والدوافع الاجرامية أو نشوء نوازع ودوافع جديدة فخلوا قلب الشيخ مـن الـوازع الديني ومخافة الله وشعوره بالوحشة والحاجة وعقوق الابناء والاحفاد له ، لهذه الاسباب ربما يلجأ الشيخ الى اقتراف الجريمة حاقدا على مجتمع افنى فيه زهرة شبابه دون أن يجد ما تطمئن به نفسه وتأنس وحشته ، وما ابـدع الخليفة العادل عمربن الخطاب رضي الله عنه وهو يدرك اثر حاجة الشيخ على نفسه مالم يقف المجتمع على تكريمه واعزازه :(عرفناك شابا وتركنك شيخا) قال ذلك للشيخ الذمي الذى وجده يشكو من حاجة . اذ قرر صرف له مرتبا من بيت المال يكفيه ويغنيه عن السؤال .

ثانيا : أن نوازع الجريمة قد تبقى متأصلة في نفس الشيـخ اذا لـم يطهرها بمنهل الخوف من الله ، ولانه يهن عظما ويمرض جسما فقد يتجه

الى اقتراف الجريمة بوسائل غير مباشرة مستخدما خبراته الذهنية والفكرية معتمدا على التخطيط والتحريض الى غير ذلك من الوسائل والاساليب التي لا تحتاج الى القوة البدنية وما يترتب عليها من الجرأه والمغامرة وعـــدم المبالاه ، اما جرائم الشذوذ الجنسي كما يذكرها بعض الباحثيـن (٣٨) في علم الاجرام فهذه ظاهرة لاتتجلى في كل المجتمعات واذا وقعت بعض هـــذه

ظاهرة لاتتجلى في كل المجتمعات واذا وقعت بعض هذه الظواهر ، مجتمع ما فلا يمكننا أن نعممها على المجتمعات كافة ، لان الغريـــزة الجنسية تبدأ بالضعف والوهن وقد تدفعها هموم الحياة التي يكــون اثرها على الشيخ اليائس اشد اضعاف مضاعفة في وقعها على الشاب المتفائل ، كـما تؤثر عليه مكانته الاجتماعية لان الشيخ في هـــذه المرحلة غالبا ما يكون ابا او جدا محاط بمراكز الاولاد باستشـاره الاحفاد ، وهل الانسان الا مخلوق عاقل خلقه الله تعالى في احســن تقويم يتغط بالذين اتعظ بهـم ، وهو يوشك أن يتفارق ويرحـــل اليس لمثل هذه الاعتبارات والعوامل مـن اثر يحـول دون أنحرافـه أوشذوذه مصداق ذلك الواقع الاجتماعي واذآن جل الشيوخ يسارعون

---

٤٨ ـ د ٠ فوزية عبد الستار ، مبادىء علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ص ١١٢ د ٠ محمد خلف المرجع السابق ص ١٩٤ ،د ٠ يسر انورعلي ود٠ امال عبدالرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٩٣ ،ويقرر الاستاذ Cazzamnga أن الجرائم الجنسية عند الشيوخ يزداد عددها نسبا لاصابتهم بازمة اختلال في توازن الهرمونات اى اختلال في توازن افرازت الغدد وقبلـه قرر العالم البلجيكي كيتليه بالاستناد الـــى الاحصاء الجنائي للسنوات من ١٨٢٦ ـ ١٨٤٤ أن درجة الاجـرام الجنسي وان كانت تبلغ اقصاها في سن مابين ٢١ ـ ٢٥ ثم تتناقض في مراحل العمر التي تليها الا انه يطرأ عليها اما ثبات أو ارتفـاع وقتي طفيف في مرحلة الشيخوخة مرة في الفترة الواقعـة بين ســن ٤٥ ـ ٥٤ من العمر ومرة اخرى في الفترة بين ٥٥ـ ٧٠ ،٠ رمسيس بهنام علم الاجرام ، الاسكندرية ٩٧٠ جـ ١ ط ٣ ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩١

الى طلب المغفرة من البارى عز وجل معبرين عن ذلك بادائهم الفروض والتكاليف المطلوبة عموما وعلى الاخص فريضة الحج شعورا منهم بأن ما فاته من العمر هو الكثير وما بقي هو الاقل ٠

ثالثا . اثبتت الاحصائيات الجنائية الرسمية انخفاض نسبة الجرائم خلال مرحلة الشيخوخة عموما ، فبينما يحتل اجرام الشيوخ في الاحصاء المصرى في العشر السنوات الممتدة من سنة ١٩٣٠ الى ١٩٣٩ (٥ر٣٪) (٤٩) من مجموع المجرمين فان اجرامهم لعام ١٩٦٩ يمثل ١ر٤ ٪ (٥٠) من المجرمين ، اما في العراق فقد بلغت النسبة المئوية لاجرام الشيوخ لسنة ١٩٧٩ : ٤٨ر١١ ٪ (٥١) ٠

وصفوة القول : ان الظاهرة الاجرامية قد تبقى متقده مالم تتدخل عوامل تساعد على اطفائها ، ولهذه فان مجتمعنا الذى لازال ينعم بانوار القرآن الكريم تختلف فيه نسبة جرائم الشيوخ عن النسب الموجودة في المجتمعات الاخرى التي جبلت على حب الذات والتنكر الذى تسبب بالايجاد فلا احد يشارك الشيوخ في تلك المجتمعات معاناة الزمان متناسين ماقدموه من خير واحسان لابناء مجتمعهم خلال فترة شبابهم ، اما في مجتمعنا فقد يخجل الاولاد والاحفاد اذا اشتغل الاباء والاجداد وهم لايتمتعون بالصحة التي تساعده على الشغل او ان العمل الذى يؤدونه لا يتلائم مع وضعهم الاجتماعي، لان عمل هؤلاء ربما يولد عيبا اجتماعيا يلحق الاولاد او الاحفاد وليس هذا بمنه من الوليد أو الحفيد اذا الولد وماكسب لابيه تنفيذا لامر

---

٤٩ ـ محمد البابلي بك ، الاجرام في مصر ، اسبابه وطرق علاجه ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤١ ، ص ١٠٠ ٠

٥٠ ـ د ٠ فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ١١١ ٠

٥١ ـ النشر النشرة الاحصائية التي يصدرها الجهاز المركزى للاحصاء لسنة ١٩٧٩ ص ١٥٦ ٠

المصطفى صلى الله عليه وسلم للولد الذى شكا اخذ ابيه شيئا من مالـــه (انت ومالك لابيك) ، ثم اتفق فقهاؤنا رحمهم الله على قاعدة : العـزم بالغنم ؛ اذ الوليد غنم من الاب حتى بلغ اشده ، ومن غنم ليس بمنه عليه اذا غرم ؛ لانه يعطي بعدما اخذ . وصلة الارحام بعد بر الوالدين لها اثر بالغ على كسر طود الوحشة الذى الشيخ الهرم. قال سبحانه وتعالى: (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ، اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى بصائرهم (٥٢) ، كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصل الارحام (افشوا السلام وصلوا الارحام) وقال (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (٥٣) .

أمـا النساء فلهن الحظ الاوفـى في مجتمعنا اذا بلغت احداهن مـن الكبر عتيا وكثيرا ماتمسي العجوز مخدومة لاخادمه ترفل بالسعادة والعزة تعيش في رعاية وكوم البنين والبنات من شدة الرحمة بالامهـات والابـاء وليست هذه المعاملة الفاضلة بدون سند شرعي يحميها بل هـي احكـــام مستنبطة من القرأن الكريم اذ الابناء ممنوعين حتى مـن التأفـف امـام الوالدين اللذين بلغا الكبر عند الوليد الذى ربياه منذ الصغر . وما اعظم احكام القرأن التي شملت الشيوخ رجالا ونساءا بهذا الضمان المنقطـــع النظير ؛ لانه يجعل فرض احترام الواللدين بعد فرض عبادة الله تعالـى مباشرة بالتتابع لابالتعاقب، فالقرأن الكريم استعمل الواو في حرف العطف ولم يستعمل ثم قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلاتقل لهما اف ولاتنهرهما

---

٥٢ ـ سورة محمد ، الايتان ٢٢ و ٢٣ .

٥٣ ـ العالم محي الدين ابي زكريا النووى الشافعي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، مكتبة الشرق الجديد ـ بغداد ص ٣٣ .

وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) (٥٤) ولان الام تختلف عن الاب في شدة التعب النصب الذي تقدمه للوليد اذ تحمله كرها وتضعه كرها ولانها احوج الى العون من الاب قلبا وعاطفة . فقد روى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :(يارسول الله من احق الناس بحسن صحابتي؟ فقال امك ،قال ثم من ؟ قال: امك، قال ثم من ؟قال امك ، قال ثم من ؟ قال ابوك (٥٥) . وبهذا العرض الوجيز يتبين لنا أن منزلة الشيوخ في مجتمعاتنا تختلف عما هي عليه في المجتمعات الاخرى ، ولهذا فأن اقترافهم الجريمة بشتى انواعها يكون بنسبة تقل كثيرا عن الذين يقاسون الفاقة والحرمان لوحدهم ويشعرون بالوحشة والوحدة والعقوق في مجتمعات حرمت من نعمة الخوف من الله عز وجل .

---

٥٤ ـ سورة الاسراء ، الايتان ٣٣ و ٢٤ .

٥٥ ـ العالم محي الدين ابو زكريا النووي الشافعي . المرجع السابق ص ٣١ .

الفصل الثاني

العوامل الخارجية

وهي مجموعة الظروف والعوامل التى لا تتعلق بالمجرم ذاته ، وانما تتصل بالواسط الذى يعيش فيه ، ويكون من شأنها التأثير على سلوكه وتوجهه نحو اقتراف الجريمة (١) ، ويطلق على هذه العوامل في مجموعها اصطلاح البيئه الاجتماعية الاجرامية ، فالانسان يولد على الفطرة السليمة تلك الفطرة التى فطر الله تعالى عليها الناس كافة ، قال تعالى « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (٢) ٠

وما يكاد الصغير يتخطى مرحلة البراءة حتى تحيط به العوامل الاجتماعية المشبعة بالظلم والطمع والحاجة الى غير ذلك من العوامل المؤثرة في السلوك الانساني ، ومن طبيعة الانسان انه يؤثر ويتأثر ويغير ويتغير ومن هذه المؤثرات والمتغيرات العوامل الاجتماعية التي تحيط به ، والانسان مهما بلغ من مستوى مرموق في العلم ومهما اكسبته الحياة من تجارب فأنه يتأثر بتلك العوامل ولايمكن له أن يتجاهلها ، فمنهج الانسان يمكن أن يتغير نحو الاحسن أو الاسوأ خلافا لمظهره ومقوماته البيولوجية التي يصعب تغييرها لخضوعها لعوامل الفطرة والوراثة ، وقد ناقشنا قدرة الجينات وامكانياتها في تغير سلوك الانسان بمناسبة تقييم اسلوب الهندسية الجينية (٣)، ولهذه العلة اقام البارى عز وجل الحجة على الانسان اذ ارسل اليه المرسلين ليغيروه وهو قادر على التغيير ، لان الله تعالى اودع فيه الاستعداد الفطرى لفعل الخير والاستعداد الفطرى لفعل الشر

---

١ ــ د ٠ عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص ٥١ ٠
٢ ــ سورة الروم اية (٣٠) ٠
٣ ــ تراجع الصفحات ١٧١ وما بعدها من هذا المؤلف ٠

لذا يجب على المربين والمصلحين أن ينجهوا نهج الاصلاح الشامل في التربية الاخلاقية ، لان الهدف الذى يسعون لتحقيقه يجب أن يكون شاملا متكاملا يتمثل في اصلاح الفرد واصلاح المجتمع ، كل منهما لا يستقيم الا باستقامة الاخر فالمجتمع الصالح من الفرد الصالح والفرد الصالح من المجتمع الصالح ، وهذا هو التفسير التكاملي للظاهرة الاجرامية ·

وبما أن الظروف الاجتماعية التي تحيط بالانسان متعددة ، الا أن هناك عدة بيئات يعيش فيها الفرد ويتأثر بظروفها خلال مراحل نموه الانساني يكون لها اثرا كبيرا على سلوكه وشخصيته ، لذا فاننا سنقصر دراستنا في هذا الفصل على اهم البيئات المحيطة بالفرد والتي يكون من شأنها التأثير في سلوكه وتدفعه نحو اقتراف الجريمة ·

المبحث الاول

البيئـة العائليه

يتسم الانسان بالقدرة على التغير والتكيف ، لانه جبل على طبيعة تتقبل مثل هذا التغير ، اذ النفس الانسانية مستعددة لان تنتهج الخير والشر ، وقد اوضحنا ماتتميز به هذه النفس من خواص واسرار وتدعو دائما المهتمين بدراستها الى التعمق فيها والغور في اسرارها ، فيما اذا ارادوا الاحاطة بها كاملا ، ولعل بيئة الاسرة من المؤثرات الكبيرة في سلوك الفرد نحو الخير أو الشر لاسيما في المراحل المبكرة من عمره أى الفترة التي يستحيل عليه أن يعتمد على نفسه في تصريف شؤونه الخاصة(٤) ، اذ الاسرة هي الخلية الاجتماعية الاولى التي تحيط بالانسان منذ ولادته لذا يشتد تأثيرها على الصغير حتى بلوغه السن السابعة ، الانسان يولد على الفطرة السليمة ، الا انه يحمل معه الاستعداد نحو الخير والشر قال الله تعالى (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها)(٥) ٠

لذا فأن الاساس المعول عليه في توجيه الصغير وتربيته يتمثل في قيادة الاسرة واعني بها الوالدين فاذا كانا صالحين ملتزمين بما امر الله فأن ابنائهما غالبا مايكونوا متأسين بسلوكهم مقتفين اثرهم ملتزمين بنهجهم ، ولهذه الحقيقة فأن السلوك الانساني يتناسب في اتجاهه كليا مع السلوك السائد في الاسرة ، اذ غالبا مايصطبغ الصغير بصبغة اسرته ، وبناء على هذا فأن الاباء يسألون امام الله تعالى وامام المجتمع عن سلوك ابنائهم ، اذ غالبا مايكون سلوك الابناء مرآة تعكس حقيقة

---

٤ ــ د ٠ عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص ٦٤ ٠
٥ ــ سورة الشمس ، الايتان ٧ و ٨ ٠

الاباء ،ولهذا اكدت الشريعة على مبدأ القدوة الحسنة في التربية والتوجيه، لانه خير تطبيق عملي بعد هذه المبادىء النظرية قادر على توجيه الصغير توجيها حسنا ٠

لذا فأن مسؤولية التربية والتوجيه مسؤولية كبيرة تتطلب تظافر طاقتي الاب والام فاذا غاب احدهما ضعفت الطاقة وضعف الطاقة يتولد عنه ضعف وخلل في التربية ، اذ التربية السليمة قائمة على ثلاث دعائم اساسية هي : غرس فضيلة الخوف من الله منذ الصغر ووجود الاب بصفته السلطة القادرة على التوجيه والتاديب ووجود الام باعتبارها العنصر الاساسي في التوجيه المستمدة قوتها من وجود الاب وسلطته ، فاذا فقدت احد هذا الدعائم أو الركائز المعززة لهذه الدعائم اعتلت التربية واختل التوازن في الاسرة ٠

ومن الركائز المهمة في عملية التربية السليمة صلاح الاباء والامهات لانهم اذا لم يصلحوا لم يستصلحوا ، فعناصر الاصلاح الشامل يجب أن تحقق في الاباء اولا اذ ان فاقد الشيء لايعطيه ٠

وخلال البيئه العائلية تتعرض التربية الاخلاقية لمؤثرات عديدة ، وخاصة في المراحل الاولى من عمر الانسان ، وهذه المرحلة هي : مرحلة الرضاعة ومرحلة الحضانة ومرحلة الطفولة غير المميزه ، وبما اننا بحثنا مرحلة الطفولة غير المميزه بشيء من التفصيل عند الكلام عن مراحل عمر الانسان (٦) ، فأننا سنقصر بحث في هذا المجال على مرحلتين فقط وهما : مرحلة الرضاعة ومرحلة الحضانة ٠

---

٦ ـ راجع ص ١٩١ وما بعدها من هذا المؤلف ٠

المطلــــب الاول

مرحلة الرضاعـــه

يولد الانسان كمـــا اوضحنـــا انفـــا على الفطرة السليمة ، ولكن الاستعداد نحو الخير أو الشر يكون مع الانسان منذ لحظة ولادته وينمـو معه حيثما نما ، وثم امور يستحيل عقلا تحققها في هذه المرحلة لعدم وجود الوسائل التي تقع بها ، فمضغ الطعام كما بينا لايمكن أن يتحقق في لحظة ولادة الطفل ولا في الشهور الاولى من عمره ، وكذلك الظاهرة الاجرامية لانبحثها على اساس انها محتملة الوقـــوع في هـــذه المرحلـــة ، بل نبحث العوامل المؤثرة على اخلاق الطفل خلال هذه المرحلة ، ومن اهمها الرضاعة حيث يقرر المختصون في الميدان التربوى أن الطفل يتأثر بلبن المرضعـــة وبسلوكها وبأخلاقها عن طريق الرضاعة ؛ لذا فأن من مستلزمات التربيـة الاخلاقية السليمة التحرى عن اخلاقية المرضع لانها اذا كانت سيئة الخلق اثر لبنها على اخلاقية الطفل(٧)، وقد بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اثر الرضاعة واهميتها في اخلاقية الطفل ، اذ يســرث عـــن طريقها خصائص المرضع واخلاقيتها بقوله (لاتسترضعوا الحمقاء فـأن اللبـــن يورث) ، ويؤكـد الامـام الغزالـي علـــى اهمية هذا الموضوع بقوله (والصبي امانة عند والدية وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل مانقش ٠٠٠٠ وصيانته بـأن يؤدبـــه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ٠٠ وينبغي أن يراقبه مـــن اول مرة فـــلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدنيه تأكـل الحلال فـأن اللبن الحاصل من الحرام لابركة فيه فاذا وقع عليه الصبي انعجنت طينته من

---

٧ ــ د ٠ مقداد يالجن ، التربية الاخلاقية الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م ط ١ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ ٠

الخبث فيميل طبعه الى مايناسب الخبائث)(٨)، وقد تبنى جان جاك روسو هذه الحقيقة بقوله (ويجب أن تكون المرضع ايضا جيدة الصحة حسنة المزاج هادئة فأن العنف والانفعالات والكدر كلها تفسد اللبن واذا قصرنا اهتمامنا على الجسم لم نحقق الا نصف هدفنا فقد يكون اللبن جيدا والمرضع سيئه ، فحسن الطبع ضروری كحسن التكوين ... والاشرار لايصلحون لای عمل مهما كانت الاحوال وتزداد اهمية اختيار المرضع متى علمنا أن الوليد سيكون موكولا اليها كلية في مدة الرضاعة) .

كما يقرر بعض المربين أن الرضاعة الصناعية من العوامل المؤثرة على اخلاق الطفل في هذه المرحلة وانها تعيق عملة التربية الاخلاقية (٩) وفي هذاالاتجاه ذهب العالم النفساني وليم مكدوجال قائلا (واني لاارىامة باسرهاتقوم تربيتها على التغذية الصناعيةلابدوان يتجلى في افرادهاخشونةفي الطباع وفتور وصرامة في علاقاتهم ببعضهم ببعض وقصور في تأثير عامل الحنان الذی يرفق الخلق ويهذبه .. واني لاقترح أن تصبح زجاجة الطفل موضوع تحريم قومي عام يستند الى اسباب اوجه بكثير مما يبديه الاباء من اسباب ولهذا يهاجم المرأة العصرية التي لاتقوم بواجبها طفلها لانها مقصرة في وظيفتها التربوية ، فهي تترفع عن القيام بارضاع ولدها بثدييها وبعملها هذا تحرمه من دفء حضنها ورقة عواطفها(١٠) .

وقد حدد القرآن الكريم مدة هذه المرحلة بسنتين قال تعالى ((والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتم الرضاعة) (١١) .

---

٨ ـ الامام ابي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م ج ٣ ص ٣٦ .

٩ ـ فالرضاعة من واجبات الام فاذا قصرت في هذا الواجب ترتب على تقصيرها كل النتائج الضارة التي بينها المربون .

١٠ ـ مقداد يالجن ، المرجع السابق ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

١١ ـ سورة البقرة ، اية ٢٣٣ .

المطلب الثاني

مرحلة الحضانة

وهي مرحلة الرعاية والتوجيه والتربية وتبدأ من بلوغ الطفل سن الثالثة ، وبتصورنا فأن هذه المرحلة هي انسب مرحلة للحرث والانبات ، ولذا الاباء ملزمون بحرث ارواح أبنائهم لغرض بذرات الحب والخير كي تؤتي عملية التربية الاخلاقية اكلها ، لان المرحله المبكرة من عمر الانسان كما يجمع على ذلك علماء النفس تعتبر اخطر مرحلة تؤثر على الابناء سلبا او ايجابا اذ ان النفس الانسانية في هذه المرحلة تنبت كل ما ينشر بها من بذرات الخير والشر ، وان الظواهر المبكرة تحفر بؤرة في نفس الانسان يصعب اكتشافها وازالتها . وما ابدع الشاعر الذى يصور هذه المرحلة تصورا فنيا دقيقا ٠

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولاتلين اذا كانت من الخشب

وتتمثل اهمية هذه المرحلة في انها بداية الاستعداد لدى الطفل للتأثر بالرعاية والتوجيه ومايدور حوله في بيئته ، وبناء على هذا فقد اشترط الفقهاء المسلمون في من يتولى تربية الطفل في هذه المرحلة ان يكون صالحا ومن ذوى الاخلاق الحميدة ، لان حق الحضانة يسقط بالنسبة للفاسق حتى وان كان اقرب الناس الى الطفل ، كما قرر هؤلاء الفقهاء ان تكون الحضانة بيد الام لانها اكثر رقة وحنانا به ، ومن اجل انجاح عملية غرس قيم الخير والفضيلة في قلبه لينشأ رقيقا وعطوفا محبا لابناء مجتمعه ، واذا ثبت فساد الام انتقلت الحضانة الى الاب ، وعلى كل حال فان اساس التربية الاخلاقية هو الحنان ، لان من يحرم من حنان ابويه او يعامل بقسوة لامبرر لها ربما لايكون محبا للناس(١٢) ٠

---

١٢ ـ د ٠ مقداد يالجن ، المرجع السابق ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ ٠

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم اهمية الرحمة والمحبة في التربية واثرها الكبير على خلق الانسان اذ : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الاقرع ان لي عشرة من الولد ماقبلت منهم احدا فنظر اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال (من لايرحم لا يرحم) (١٣) ، وقال لقوم انكروا تقبيل الاطفال (او املك ان نزع الله الرحمة من قلوبكم) .

وقد اكد هذه الحقيقة الكثير من الباحثين في ميدان الدراسات المتعلقة بالسلوك الاجرامي ، ومن هؤلاء الاستاذ سيرل بيرت الذى قام بدراسة استهدفت الكشف عن عوامل جنوح الاحداث في لندن ، وقد استخدم في بحثه عينه تجريبيه تضم ٢٠٠ حدث جانح من الذكور والاناث ومجموعة ضابطة تمثل نفس العدد المذكور من غير الجانحين ، وقد انتهى الباحث في خاتمة هذه الدراسة الى القول ان : اسباب جنوح الاحداث ترجع ألى أكثر من عامل ، ومن هذه العوامل حرمان هؤلاء الاحداث من رعاية الوالدين وعطفهم(١٤) .

كما توصل الى نفس النتيجة فريق من المختصين في التربية وعلم النفس بالمقارنة الاحصائية التي شملت مجموعة من الاحداث قضوا هذه المرحلة في الملاجىء ودور الرعاية الاجتماعية بعيدين عن رعاية والديهم وحنانهم وبين مجموعة من الاحداث نشأوا في ظل هذه الرعاية والحنان ،

---

١٣ ــ مصطفى محمد عمارة ، جواهر البخارى وشرح القسطلاني ، القاهرة ١٣٤١ هـ ــ ص ٤٣٦ .

١٤ ــ د . عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام ، المرجع السابق : ص ٣٦. ٣٧ .

حيث اتضح لهم من خلال هذه المقارنة ان اغلب المجرمين والمنحرفين والشواذ هم من النوع الاول ، وقرروا في نهاية هذه الدراسة مايأتي : (لكي يكون النمو سليما يجب ان يعيش الطفل في الحضانة الطبيعية التي توفرها عاطفة الام الحنون ورعايتها وشفقة الاب الرحيم ورعايته(١٥) .

لذا كان من اهم مستلزمات التربية الاخلاقية الصحيحة ان ينعم الابناء بعطف الاباء وحنانهم بجانب التوجيه والتربية ، ولايمكن تحقيق هذا الهدف اذا حرم الابناء من هذا النعم مهما كرس لهذه التربية من طاقة وهيء لها من اجواء ؛ لهذا فأن من اكبر الاخطاء التربوية التي يرتكبها الاباء بحق ألابناء الغياب غير المشروع عن الاسرة ، وهو مايطلق عليه بعض الباحثين التفكك المادي للاسرة ، ونعني به انغماس الاب في المفاسد وممارسة النشاطات غير الاجتماعية كارتياد دور الرذيلة والغياب سهرا على موائد الخمر ولعب القمار . كلا يعمه في لهوه تاركين الامهات امام مسؤولية قد تفشل غالبا بتحملها لفقدانها السلطة المادية التي يرمز اليها الاب .

ومن الظواهر التي لاتقل خطورة عن سابقتها ، وهي قضاء الام معظم اوقاتها خارج البيت بعيدا عن ابنائها لغير ضرورة مقتضية بل اللهو والعبث كارتياد النوادي واماكن اللعب متناسية او مترفعه عن واجبها الاساسي المتمثل باعداد الفرد الصالح المحصن بالتربية الاخلاقية السليمة المبنية على العطف والحنان ، وهل هناك افضل من الحنان عاملا يرقق الطبع ويهذب الخلق ، وما اجمل شاعرنا اذ ينشد : (١٦)

---

١٥ ـ د . مقداد يالجن ، المرجع السابق ص ٤٥٦ .

١٦ ـ انظر ديوان الرصافي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م ط ٥ ص ٣٥١ .

هي الاخلاق تنبت كالنبات اذا سقيت بماء المكرمات
ولم ار للخلائق من محل يهذبها كحضن الامهات
فحضن الام مدرسة تسامت بتربية البنين او البنات

وقد أكد هذا الواجب بعض المربين بقولهم (يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكون الرجال عظماء فضلا فعلموا المرأة ماهي العظمه وماهي الفضيله(١٧) .

لذا يمكن القول ان : الحضانة هي من صميم واجبات الام ، فأن تنصلت عن هذا الواجب فقد حرمت ابنائها من اكبر نعمة يمكن ان يتمتعوا بها في هذه المرحلة ، لان الام مهما بلغت من مستوى اجتماعي مرموق او حصلت على اعلى الشهادات فانها لاتتمكن من ان تعفي نفسها من هذه المهمة ، فأن فعلت ذلك ترفعا حيث تجد نفسها اكبر من ان تنزل الى مستوى الحضانة او اعتمدت على الخادمة او غيرها في تحقيق هذا الهدف ،فأنها تكون قد ارتكبت خطا فادحا لايغفر لها .

وليس التواجد المجرد للابوين هو الذى يحقق هدف التربية السليمة لان غياب التوجيه والتربية وهومايطلق عليه التفكك المعنوى للاسرة، لايقل ضررا عن التفكك المادى لها ، فبالرغم من حضور الاثنين الا ان جهودهم وطاقاتهم المخصصة للتربية والتوجيه مبددة وضائعه بسبب الخصام والشجار الذى لا مبرر له او ترفع احدهما عن القيام بهذا الواجب المقدس ، وقد تبدد هذه الطاقة بسبب انشغال الاب بلعب القمار ومعاقرة الخمر وفي هذه الحالة يمكن القول ان وجود الاب خطر من غيابه اذ جعل من بيته حانة يشرب فيها الخمر وناديا يلعب فيه القمار مع اصحابه ، وقد يتأثر الابناء الصغار بهذا السلوك الباعث على الاجرام ، وغالبا مايتولد عن هذه النشاطات غير

---

١٧ ـ د . مقداد يالجن ، المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

الاجتماعية النتائج السيئه ، اذ يسود هذه الاسر غالبا الجو المشحون بالقلق وعدم الاستقرار لان العلاقات التي تربط ابنائها تكون غير سليمة ، فينجم عنها العداوة والبغضاء وهذا كله يؤثر تأثيرا سلبيا على الابناء لان الصغار غالبا مايقلدون الكبار في تصرفاتهم فضيلة او رذيلة ، ناهيك عن الاضرار التي يكون من ابرزها تعطيل الابناء وصرفهم عن اداء واجباتهم المدرسية والبيتية .

وخلال مرحلة الحضانه يتأثر الطفل بكثير من الاحداث والظواهر ومن اهمها ظاهرة التقليد ، والتقليد كما يقول علماء النفس هو اول مايبتدأ به الانسان في المرحله المبكره من عمره ؛ لان نفسيه الطفل وطبيعته تكون لينه مرنه مثل الغصون اليانعه تستجيب للتقويم والتطبيع بسرعه وهذا هو سبب خطورة هذه المرحلة من عمر الانسان . فالولد غالبا مايحاول ان يقلد اباه وكذلك البنت تحاول جاهدة ان تقلد امها ، فان كان سلوك الاباء صالحاً حاول الابناء تقليده وان كان سلوكهم فاسدا حاول الابناء تقليده ايضا ولهذا قلنا ان البيئه العائلية مسؤولة مسؤولية مباشرة عن تربيه الابناء وسلوكهم ، فاذا مافتحوا اعينهم على الانانية وحب الشهوات والعنف والمشاجرة غالبا ماتنعكس هذه الصور السيئة على سلوكهم وتصرفاتهم ، وقد اكد هذه الحقيقة الامام الغزالي بقوله :(ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة ، وتارة بمشاهدة ارباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا) (١٨) .

---

١٨ ــ الامام الغزالي ، احياء علوم الدين ، المرجع السابق ص ٥٢ .

وهذا يعني ان السلوك الاجتماعي والاخلاقي يمكن ان ينقل من فرد الى اخر بالعدوى ، واساس هذه العملية هو التقليد . لذا يمكن القول بان الامام الغزالي قد نبه الى خطورة التقليد كعدوى اجتماعية قبل غيره من العلماء الغربيين بمئات السنين .

وبما ان الخير والشر والبناء والهدم والفضيلة والرذيلة والبراءة والاجرام والحب والبغضاء والايثار والانانية والقناعة والعدالة والظلم والتناقضات بشتى صورها يمكن ان يتحكم بها المجتمع ويوجهها نحو الاحسن والافضل ، اذ الانسان خلق في احسن تقويم ، وقد خلق على ان يكون صالحا مستقيما على الفطرة السليمة ، اجل مذ هو جنين حتى يرى النور وتستقبله الحياة ابتداء وانتهاء ،الا اننااثرنا التركيز على مرحلتي الرضاعة والحضانة من بين المراحل الاخرى لانها تمثل البداية والاساس وكثيرا ماتعتمد عليها النهاية في تحديد نمطها واتجاهاتها .

وثم عوامل اخرى لها تأثير كبير على الفرد في مختلف مراحل حياته خلال البيئة العائلية ، لعل اشدها خطرا وابلغها ضررا المغالاة في حب الدنيا ونسيان الدار الاخرة ، لان المغالاة في هذا الحب تولد النهم لدى الفرد وهو الشعور بعدم الاشباع وهو ابلغ من الطمع اضرارا بالمجتمع .وهذا يفضي غالبا الى الاجرام لان النهم وعدم الشبع معناه الحصول على المال باى وسيلة وان كانت غير مشروعة ، ولايهم ان تتم على حساب الغير او الاضرار بمصالحه مادام ان الفرد قد حقق مصلحته الذاتية .

ومن العوامل الاخرى التي تفضي الى الاجرام في بعض الاسر انعدام العدالة ، لان الاباء اذا لم يعدلوا بين الابناء تولد عن هذا السلوك العداوة والبغضاء ، وكثيرا ماوقعت الجرائم بسبب عدم عدل الاباء بين الابناء ، اذ

امر الاسلام بالعدالة بين الابناء في جميع التصرفات اخذا وعطاءا حتى في القبل لان في ذلك دليل على ميل الاب الى ولد دون سواه فيفضي ذلك الى الحقد الذي غالبا ما يتطور فيتولد عنه الاجرام ولهذه العله منع الرسول صلى الله عليه وسلم الوصية للورات بقوله (لاوصية لورات) . لما يفضي هذا التفضيل من اشاعة روح الحقد والكراهية بين ألابناء ، ولهذه العله ايضا منع المورث من كل تصرف يكون من شأنه التفضل بين بعض الابناء على غيرهم . وانما ينبغي ان يتم التوريث كما امر به البارى عزوجل. وقد وقعت جرائم عديدة سببها تفضيل الاب بعض الابناء على من سواهم في المعطيات المادية ، وقد اكد المصطفى صلى الله عليه وسلم على اهمية مبدأ العدالة في التربية الاخلاقية السليمة ، فقد روى مسلم(١٩) في صحيحه عن النعمان بن بشير قال : (تصدق على ابي ببعض ماله ، فقالت امي عمره بنت رواحة : لا ارضى حتى نشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق ابي الى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهده على صدقته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (افعلت هذا بولدك كلهم) قال لا ، قال : اتقوا الله واعدلوا في اولادكم) فرجع ابي فرد تلك الصدقة .

بل حتى المعطيات المعنوية تفضي الى الاجرام لان ألاب ألذى يحتقر او يهين ابنه بدون سبب ، يولد شعورا لدى الابن بالانتقاص من مكانته وشخصيته والامتهان لكرامته مما يكون سببا في عدم احترام ابيه والتمرد على أوامره بل قد يؤدى الى الحقد عليه وكراهيته ، ومتى حقد الانسان على اقرب الناس اليه فانه لايحب الاخرين وربما اقترف ألجرائم بحقهم لهذه الحجج المنطقية الواردة انفا اشتدت ألحاجة ألى أصلاح ألقمة والقدوه

---

١٩ ـ انظر صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٣ ص ١٢٤٢ ـ ١٢٤٣ .

المتأسي بها المتمثلة بالوالدين والاولياء لان صلاحهما صلاح الاسرة وفسادهما ضياع الاسرة ، ونظرا لخطورة الدور الذي يلعبه الوالدين والاولياء في ميدان التربية الاخلاقية ، فانني اقترح التوسع في اسقاط الولاية أو سلبها لتشمل حالة الاب والولي المتحلل الفاجر وان لم يرتكب ايا من الجرائم المنصوص عليها في المادتين (٣١ و ٣٢ (٢٠) من قانون الرعاية الاحداث والمادة (١١٢) (٢١) من قانون العقوبات العراقي ، اذ العله من السلب أو الاسقاط تعتبر قائمة فيما لو اتسم الاب او الولي بالتحليل والفجور لان من يستبيح الرذيلة وينهج منهج الفسق والفجور اشد خطورة على المجتمع ممن يقترف جريمة ربما وقعت مصادفة او كان تحت تأثير ظروف قاسية دفعته

---

٢٠ ـ فقد نصت المادة ٣١ على انه (على محكمة الاحداث ان تقرر سلب الولاية على الصغير او والحدث اذا حكم على الولي بجريمة من الجرائم المخلة بالاخلاق والاداب العامة او باحدى الجرائم المنصوص عليها في قانون مكافحة البغاء وكان الصغير او الحدث هو المجني عليه في جميع الجرائم ، كما نصت المادة ٣٢ على انه : (للمحكمة الاحداث بناء على طلب احد أقارب الصغير او الحدث او الادعاء العام ان تقرر سلب الولاية على الصغير او الحدث لمدة تقدرها في الحالات الاتية :

اولا • اذا حكم على الولي بجريمة من الجرائم المخلة بالاخلاق والاداب العامة

ثانيا • اذا حكم على الولي بجريمة الاعتداء على شخص الصغير او الحدث بالجرح أو الضرب او الايذاء العمد •

ثالثا • اذا حكم على الولي وفق احكام المادة (٣٠) من هذا القانون •

رابعا • اذا حكم على الولي في جناية عمدية بعقوبة سالبة للحريه لمدة لاتقل عن ثلاث سنوات) •

٢١ • نصت المادة ١١٢ على انه (اذا حكم على الولي او الوصي او القيم بعقوبة جنحه لجريمة ارتكبها اخلالا بواجبات سلطته او ولاية جريمة اخرى يتبين من ظروفها انه غير جدير ان يكون وليا او قيما او وصيا جاز للمحكمة ان تأمر باسقاط الولاية او الوصاية او القوامة عنه) •

الى اقترافها . والمجرم بالصدفة غالبا . ما يتصارع مع لوم النفس المفضي الى التوبة . اما من استباح الرذيلة فقد صار الفجور ديدنه واضحى الفسق منهجه فالاب الذى ارتضى لنفسه نهج الجريمة يتمنى لغيره هذه السلوك والام التي تلطخت بالرذيلة ورضيت بها تتمنى ان تسقط الاخريات في الكنيف الذى سقطت فيه . من اجل ذلك اقترحنا سلب الولاية او اسقاطها من الاباء الذين استباحوا الرذيلة وتبنوا حياة التحلل والفجور انقاذا لاولادهم من الضياع والانحراف ، لانهم عاجزين عن القيام بواجباتهم تجاه ابنائهم ، لفقدانهم المقومات الاخلاقية والمعنوية للتربية السليمة ، وفاقد الشيء لايعطيه "

المبحث الثاني

البيئه المدرسيه

اذا كانت البيئه العائلية مسؤولة عن تربية الاجسام والعقول فأن البيئه المدرسيه مسؤولة عن تنمية العقول وتهذيب النفوس ، بل هي متخصصه تخصصا مباشرا بهذه الوظيفه ، ولخطورة هذه المهمة انشد احمد شوقي قائلا:

قم للمعلم وابده التبجيلا | كاد المعلم ان يكون رسولا

وكما كان تقليد الابناء للاباء متسما بالخطورة البالغة على السلوك فكذلك التقليد يأتي أكله في المدرسة التي تضم مجاميع شتى مالم يقف المعلم(٢٢) وقفه المرشد الموجه فان تلك المجاميع قد تتفاعل وتتلاطم تلاطم الامواج فتذهب البراعم ضحية للمؤثرات الجديدة ، التي تتفاعل نفوس الطلبة معها وخاصة في المراحل المبكرة للدراسة ، من الكلمة المسموعة الى الكلمة المقروءه الى سلوك القائمين على المدرسة ادارة ومعلمين ، أذ سلوك المعلمين له تأثير مباشر على نفوس الطلبة بما يتمتعون به من مكانه في قلوب طلبتهم وينظرون اليهم كقدوه ملزمه للتقليد لاسيما في المراحل الاولى التي غالبا مايحرص الطالب او الطالبة على تقليد سلوك معلمة او معلمته جملة وتفصيلا .

لذا ينبغي ان يتم اختيار هؤلاء المؤدبين اختيارا دقيقا قائم على مراعاة خلقهم قبل علمهم وفعلا وحرص اسلافنا على تحقيق ذلك ،اذ ان ، المؤدبين كانوا يصطفون اصطفاء معتمدين في اصطفائهم على ورعهم وتقواهم قبل علمهم ، لهذا طرد سيدنا علي رضي الله عنه كثيرا من الوعاظ الذين لم

---

٢٢ . لقد فضلت استخدام كلمة المعلم وقصدت اطلاقها على كل من يتحمل امانة التعليم في كافة مراحله من الروضه الى الجامعة .

يتسموا بالورع والتقوى ، وما ابلغ الجواب الذى اجاب به الحسن البصرى رحمه الله في امتحان الوعاظ حيث سئل مارأس الحكمة، فقال البصرى رأس الحكمة مخافة الله ، وان يعتمد على الورع والتقوى في اصطفاء المعلمين والمرشدين والمربين لان الخلق يؤثر في الطالب اكثر مما يؤثر العلم ، ولهذا قال علماء الاجرام ان البيئه المدرسية لها تأثير كبير على السلوك سلبا وايجابا ، فاذا لم يحسن اصطفاء المعلم بل ورد مهنة التعليم كل من هب ودب ربما تسول نفس المعلم الذى لايحرص على الالتزام بالقيم الاخلاقية الفاضلة ان يفسد خلق من والي امانة تربيته بدل ان يقومها وان هي الادورة عاجلة يدورها الزمان واذا بالطالب يشب على ما اكتسبه من فكر وسلوك معلمه السيء فالاتصاف العام بالغش والكذب والغرور واللامبالاة الى غير ذلك من الصفات اللااخلاقية السيئه من شأنها ان تؤثر في سلوك الطالب تأثيرا سلبيا اذ يتقمص شخصية استاذة في هذه الصفات غير الحميده بل يزيد عليها ، وينزلق في طريق الشر والرذيلة فيقترف الجريمة بوحي لاشعورى وهكذا يألف الشر والجريمة .

ولذا يجب اختيار المعلمين ذوى البصائر النيره لان الخلق قبل العلم اذ الاخلاق غالبا ماتثمر العلم والعلماء وقد لاتثمر العلوم ولاسيما المادية منها الاخلاق المثاليه في عصر تنتشر فيه النسبيه والنفعية والميكافيلية اى فكرة تبرير الغاية بالوسيلة الى غير ذلك من الفوضى الفكرية المساعدة على السلوك الاجرامي ، ولعظمة امانة التعليم كان اول ومضه من ومضات القرأن الكريم تسلط الانظار الى المعلم الاول والاخر قال تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم) (٢٣) .

---

٢٣ ـ سورة العلق ، الايات ١ ـ ٥ .

والذى نراه ان العلم اذا درس باسلوب اخلاقي غالبا مايكون سببا من اسباب القضاء على بذور السلوك الاجرامي ، ومما يؤكد ذلك ان قاعدة الرفعة عند الله تعالى تتكون من عنصرين ، عنصر الايمان وماتشمه هذه الكلمة من قيم اخلاقية منقطعة النظير والعنصر الثاني عنصر العلم الذى جعله البارى عز وجل في المرتبة الثانية ، اذ قال وهو اصدق القائلين (يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات(٢٤) وبذا فقد قرن الله تعالى الايمان بالعلم لان الايمان شجرة الاخلاق والعلم شجرة المعرفة ولابد من اجتماعهما في السلوك الانساني حتى تتولد عنهما الفضيلة والاستقامة ، ولهذا حذر الله تعالى العلماء من عاقبة امرهم اذا سلكوا طريق الشر والرذيلة وابتعدوا عن طريق الخير والفضيلة فقال (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٢٥) ، ولذا امر المصطفى صلى الله عليه وسلم المعلم ان يلتزم بالعدل عند قيامه بواجب التعليم والا ستكون مسؤوليته كبيرة متى ما اخل بهذا الالتزام بقوله (ايما مؤدب ولي ثلاثة صبيه من هذه الامة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين) (٢٦) .

ولهذا فقد كان المعلمون الملتزمون بهذه القيم الفاضلة يتمتعون بحضوره عليا في المجتمع اذ يشد اليهم الرحال وتغدق عليهم الاموال ويجلسون مجالس الخلفاء والامراء ، لان المعلمين كانوا مؤدبين حقا ، وفعلا كان اسمهم هكذا في العصر الاسلامي المشرق ، والمؤدب اسم فاعل يفعل ويعلم الفضيلة بشتى معانيها وصورها بعد ان يبدأ بنفسه لان فاقد الشيء لايعطيه .

---

٢٤ ـ سورة المجادلة اية ١١ .

٢٥ ـ سورة فاطر اية ٢٨ .

٢٦ ـ محمد سحنون . كتاب أداب المعلمين ، تحقيق محمود عبد المولى ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر ١٩٨١ ، ط ٢ ، ص ٧٤ .

والمعلم يجب ان يؤدى امانته كما ينبغي في مراحل التعليم كافة لانه يتعامل مع انسان يؤثر ويتأثر بحسب المرحلة الدراسية التي هو فيها ، ويبقى المعلم الشمعة والمصباح الذى يستنير به الطلبة أنى كانت المرحلة التي وصل اليها ، وبهذا يستطيع ان يؤثر ويغير ، فالسلوك الاجرامي لا يمكن ان يتحقق فطرة او ينتقل وراثة انما يكتسبه الانسان اكتسابا ، لانه لم يثبت صحة النظريات التي زعمت انتقال السلوك الاجرامي بالوراثة وبالفطرة(٢٧) ، فالله سبحانه تعالى خلق الانسان في احسن تقويم وخلق فيه الاستعداد على التغير والتأثير ، ولهذا جعلنا التعليم احدى وسائل التغير نحو الخير او الشر بناء على توجيه المعلم نفسه وتعليمه ، فدور المعلم مكمل لدور الوالدين ويقوم مقامهما في المدرسة ، لهذا فقد منح حق التأديب شرعا وقانونا وعرفا ، وحق التأديب من الحقوق الثابتة في الشريعة الاسلامية له شروطه واصوله ، لذلك كان المؤدب مسؤول فيما اذا تعسف في هذا الحق ، لان عدم الالتزام باصول التأديب من شأنه ان يذهب من منفعته ويفسد مهمته التربوية والاخلاقية فاذا ماتجاوز المؤدب حق التأديب تعرض للمسؤولية والجزاء فليس من حقه ان يضرب الوجه الذى حرم الله اهانته كرامة للانسان ولما فيه من حواس قد تنعدم منافعها لو تعرضت للضرب ، وقد امر المصطفى صلى الله عليه وسلم المؤدب الالتزام بهذه الاصول بقوله (لاتضرب الوجه ولاتقبح) فالقسوة والغلظة محرمة شرعا وهي غير التأديب ، بل حتى عقوبة الجلد المنصوص عليها في الشريعة في جرائم الحدود يشترط فيها ان لاتقع على الوجه او اى عضو يحتمل ان تذهب منفعته ٠

---

٢٧ ـ وقد بينا هذه الحقيقة في اكثر من موضع في هذا المؤلف ٠

وقد تضمنت الشريعة الاسلامية النص على حق التأديب وحددت اصوله وشروطه وعن هذا الحق قال الفقيه ابن غانم البغدادى : (المعلم اذا ضرب صبيا او الاستاذ المحترف اذا ضرب التلميذ قال ابو بكر محمد بن الفضل ان ضربه بامر ابيه او وصيه ضربا معتادا في الموضع المعتاد لايضمن وان ضربه غير معتاد ضمن فأن ضربه بغير امر ابيه او وصيه فمات ضمن تمام الديه في قولهم سواء ضربه معتادا او غير معتاد) (٢٨)، وقال الفقيه ابي الليث السمر قندى (وان ادبه المعلم (اى لتعليمه) بغير امر الاب يضمن ، وان ضربه باذن الاب او الوصي فانه لايضمن الاب ولا الوصي والا المعلم في قولهم جميعا (٢٩) ٠

ثم تشددت الشريعة في شروط استعمال هذا الحق اذ جعلت هلاك الطالب من حوادث قتل شبه العمد اى المصطلح عليه قانونا جريمة ضرب المفضي الى موت وليس من حوادث القتل الخطأ ، وبهذا تكون الشريعة قد حققت ضمانا منقطع النظير للطالب ، والمتأكد على هذه الضمانات فقد ذهب الفقهاء الى انه (لايمكن اعتبار جناية المعلم بدرجة في القتل الخطأ لان القتل الخطأ من شروطه ان يكون الجاني غير قاصد في قتل المجني عليه ولا ضربه ولايمكن اعتبار جناية المؤدب من القسم الاول وهو ألقتل ألعمد لان ألقتل العمد من شروطه قصد الجاني ازهاق روح المجني عليه ولم يبق الا القسم الثاني من اقسام القتل فادرج الحنفية جناية المؤدب تحته لان الجاني قصد

---

٢٨ ـ ابن غانم البغدادى ، ومجمع الضمانات ، القاهرة ، ١٣٠٩ هـ ، ص ٥٤ ٠

٢٩ ـ ابي الليث السمر قندى ، خزانة الفقه وعيون المسائل والنوازل ، تحقيق استاذنا د ٠صلاح الدين الناهي ،المجلد الثاني ، عيون المسائل مطبعة اسعد بغداد ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م ، ص ٢٨٠ ٠

ضرب الجني عليه ولكن لم يقصد هلاكه)(٣٠) .

وحيث ان المعلمين منشغلون بالمهمات التدريسية المنهجية مما لا يمكنهم ان يعطوا للتربية والتوجيه والارشاد من وقتهم ماتستحقه هذه المهمة الشاقة قدرا كافيا من العناية والاهتمام ، ولحاجة مؤسساتنا التعليميه الى مرشدين تربويين متخصصين تخصصا مباشرا في التربية والاخلاق ، لذلك اقترح على وزارة التربية ان تعمق هذه التجربة وتعممها بان تعين مرشدا تربويا لكل مدرسة لاسيما وان قانون رعاية الاحداث اوجب في المادة ٢١ منه تعيين باحث اجتماعي في كل مدرسة ولسنا مبالغين اذا قلنا ان هذا الارشاد الخاص بالرياضة الروحية لايقل اهمية عن سائر الدروس المنهجية ، ولاهمية الدور الذى يضطلع به المرشد ينبغي ان يتسم بصفات ثلاث لا تنفصم احداهن عن الاخرى وهي : الخلق والامانة والعلم اما الخلق فلانه اساس الارشاد فتحلي المرشد بالاخلاق الفاضلة من شأنه ان يسهل مهمته لان مفتاح النفوس والقلوب هو الخلق .

اما الامانة فهي ازكى الصفات لان من خصوصيات عمل المرشد ان يطلع على سريات الطلبة ومالم يكن امينا فقد تسول له نفسه ان يستغل هذه الصفه فتتحول مهمته من البناء الى الهدم ، اذ الطالب قد يتردد في ان يفصح عن خصوصياته ويبيح اسراره واثقا بدور المرشد ، اما العلم فأن الارشاد كي يكون مثمرا يجب ان يصطفى المرشد من ذوى الاختصاص في ميدان التربية الاخلاقية وان يؤهل للقيام بهذه المهمة الشاقة من خلال دورة تدريبية خاصة لهذا الغرض ، وينبغي ان لانستهين بوظيفة التربية

---

٣٠ ـ انظر في تفصيلات هذه الاراء ، زميلنا د . خالد رشيد الجميلي ، الديه واحكامها في الشريعة الاسلامية والقانون ، ١٩٧٥ ، ط ١ ص ٢٠٧ .

الاخلاقيه ، فاذا احسنها المرشد يكون مربيا للاجيال العظيمة ، وللتنويه باهميتها فقد ذهب العالم الفرنسي الكيسيس كاريل (٣١) في معرض تعليقه على اهمية هذه التربية ومقارنتها بتربية بعض الحيوانات بقوله (فيجب علينا منذ الان ان نزود اباء المستقبل من جهة وطلبة مدارس المعلمين من جهة اخرى بالمعلومات التي تنقصهم حول سلوكهم في حياتهم الخاصة وحول تربية الاطفال ، فتربية الدجاج والغنم مهمة في اقصى السهولة بالنسبة لتربية صغار الكائنات البشرية ومع ذلك فان كل من يرغب في تربية بعض الحيوانات لابد ان يقضي فترة تدريب في احدى المزارع او مدارس الزراعة (٣٢) ويجب ان يتمتع المرشد التربوي بصلاحيات مادية ومعنوية يستطيع بها ان يذلل الكثير من العقبات التي يواجهها الطلبة . ويمكن ان يخصص للارشاد جزء ثابتا من ارباح حانوت المدرسه ، فلربما لمبلغ قليل من المال دور كبير في حل بعض المشاكل التي يواجهها بعض الطلبة المتصارعين مع الفاقه والحرمان ، فشراء المرشد مثلا بعض اللوازم المدرسيه الضرورية ربما يساهم في ادخال السرور على قلوب هؤلاء الطلبة ويرفع من معنوياتهم ويقضي على الشعور بالمعاناة وتخلفهم عن سائر الطلبة ، ومساعدته الادارة في لجنة الانضباط الخاصة بالشكوى والعقاب لانه اعلم بغيره بسلوك الطلبة ، كما يحق له ان ينذر ولي امر الطالب اذا وجد تقصيرا او اهمالا في تربية اولاده او توجيههم ، وله الحق ايضا في الاشراف على الاقسام الداخلية ، لان هناك كثير من المشاكل تكمن

---

٣١ ـ ولد الدكتور الكسيس كاريل بالقرب من ليون بفرنسا سنة ١٨٧٣ . وحصل على اجازة في الطب والعلوم ، مارس التدريس لعدة سنوات ، وعمل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية لمدة ثلاثين سنة . منح جائزة نوبل للسلام سنة ١٩١٢ لابحاثه العلمية القيمة ، لديه عدة مؤلفات اشهرها كتابة (الانسان ذلك المجهول) .

٣٢ ـ د . مقداد يالجن . المرجع السابق . ص ٤٥٨ .

فيها ، ولانجاح مهمته الصعبة ينبغي ان يهيء ملفا خاصا لكل طالب يضمنها كل تقاريره وانطباعاته عن الطالب المذكور، فقد تساعد هذه التقارير على اكتشاف الانحراف المبكر وتشخيصه ومتى اكتشف هذا الانحراف وعولج في الوقت المناسب فقد قضي على السلوك الاجرامي في مهدة ، وهل نطمح باكثر من هذا ، لان الجريمة هي من اكبر المشاكل التي يعاني منها المجتمع خاصة في مرحلة الشباب لان الصغار متى الفوا الجريمة وصارت امرا طبيعيا لديهم ، اقترفوها في كبرهم بلا خوف من الله تعالى وبلا صراع في الضمير .

ومن الامور المؤثرة في النشاطات التربوية والاخلاقية مجالس الاباء والمعلمين لانه اذا كان من واجب المرشد التربوى تذليل المشاكل الخاصة بكل طالب فان من مهمة هذه المجالس معالجة المشاكل العامة للطلبة ومن اجل ان تكون هذه المجالس اكثر فاعلية اقترح ان يتطور عملها دون ان ينحصر دورها بعمل تقليدى يزور فيه الاباء المدرسة ويسألوا عن المستوى الدراسي لابنائهم وكان المسأله التربوية والاخلاقية مسأله درجات فحسب ، بل ينبغي ان يتحول الى اجتماع مثمر تناقش فيه جميع المشاكل التربوية والدراسيه ، فالامور الاخلاقية والتربية لاتقل اهمية عن الامور العلمية وكل منهما مكمل للاخر ، لان العملية لاتستقيم باحدهما فقط ، يجب ان يفهم هذا مجلس الاباء والمعلمين وعلى اولياء الامور ان لايبخلوا بوقتهم وجهدهم تجاه ابنائهم ، لان عدم المساهمة بهذا الواجب من شأنه ان يفشل عمل هذه المجالس ، ولا اعتقد ان حضور ولي الامر الى المدرسة اربع مرات خلال السنة يسبب ارهاق بالنسبة اليه بل على العكس ان الوالد الملتزم يحرص على زيادة هذه المرات بقدر حرصه على تربية ابنه واستقامته ، وبهذا الاسلوب وحدة نستطيع ان نحول عمل هذه المجالس من اجتماعات تقليدية عقيمة الى اجتماعات تربوية نافعة .

المبحث الاول

بيئة العمل

مما لاريب فيه ان العمل من اهم ضرورات الحياة ، فهو عصبها ومفتاح السعادة فيها ، وهو الرافد المقدس الذى يرتشف الانسان من منهله اهم المقومات الاساسية للبقاء ، والتي يطلق عليها علماء الاقتصاد مصطلح تماسك البدن وهي الغذاء والكساء والمأوى ، وقد تضمنت الايه القرآنيه الكريمة هذه المعاني قال تعالى (فقلنا ياادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك الاتجوع فيها ولاتعرى وانك لاتظموء فيها ولا تضحى)(٣٥) ، كما حث المصطفى صلى الله عليه واله وسلم على اشاعة روح الامل والتفاؤل وحب العمل بقوله (من امس كالا من عمل يده امسى مغفورا له) والتاكيد على هذه القيم المثلى فقد قبل المصطفى رجلا قد اخشوشنت يده من العمل وقال مشجعا اياه هذه يد يحبها الله ورسوله، وهل هناك معاني اسمى ، مما تضمنته هذه الاحاديث الشريفة من حث على العمل ونهي عن الكسل والتواكل واليأس ، اذ بالعمل تتحقق العزة والكرامة عزة الرجل الذى يعف نفسه واهله بالتخلص من مذلة الحاجة والفاقه ، وبالعمل تزدهر الحياة ، وتتحقق اسباب التطور والرقي، واذا جعلت بعض النظريات العوامل الاقتصادية من العوامل المباشرة في تحقق الظاهرة الاجرامية ، ولاسيما الفاقه والحرمان ، فأن الشريعة الغراء قد امرت الانسان القادر على العمل ان يأكل ويلبس من كده دون الاعتماد على غيره ، اذ من يكون عائلا على غيره لايبالي بالمنه ، ومذلة المنه لايستمرؤها العفيف ، ولهذا اقرت الشريعة مبدأ : اليد العليا خير من اليد السفلى ،

---

٣٥ ـ سورة طه ، الايات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .

وهو مبدأ يقصد به العلو بشتى معانيه المادية والمعنوية ، العلو الذى قصده هذا المبدأ لاينصرف الى معنى الترفع عن العمل ، فأساس العلو الامل والعمل ، واساس الترفع اليأس والكسل ولاعجب من سمو هذه القاعدة ، لان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم قام برعي الغنم في صباه ومارس التجارة في شبابه وشارك المسلمين في جميع نشاطاتهم العامة بل والخاصة احيانا . وان كان العمل حق تتكفل الدولة بتوفيرة لكل مواطن في الوقت الحاضر ، فأن المواطن بدوره يجب عليه ان يعمل ويتحرى عن العمل ، ولايعفى من هذا الواجب الامن فقد القدرة على العمل او عجز عن ادائه كما في حالات الشيخوخة والعجز والمرض ، اذ يتحمل القادر على العمل مسؤولية كبيرة فيما اذا خل بهذا الواجب ، وبهذا الاتجاه سار قانون الرعاية الاجتماعية رقم (٢٦) لسنة ١٩٨٠ اذ نصت المادة الثالثة منه على ان (العمل حق تكفل الدولة توفيرة لكل مواطن ، وهو واجب على كل عليه تستلزمه ضرورة المشاركةفي بناء المجتمع وحمايته وتطويره وازدهاره وتهدف الدولة الى تأمين الضمانات الاجتماعية للمواطنين كافة في حالتي العجز والشيخوخة)وما اجمل واقع مجتمعنا الذى لازال ينعم بأنوار القيم الاخلاقية الفاضلة من حيث تأمين الرعاية الاجتماعية للعجزه والشيوخ وفعلا فقد اكدت الاحصاءات الجنائية هذا الرأى ، فالنسبة المئوية لاجرام الشيوخ هي اقل من نسب الجرائم التي يقترفها الافراد في مراحل العمر الاخرى ، اذ بلغت النسبة المئوية لاجرام الشيوخ في العراق لسنة ١٩٧٩ ، ١١٫٤٨ ٪ (٣٦) .

---

٣٦ ـ راجع الصفحات الخاصة باجرام الشيوخ .

وقد اضاف قانون رعاية الاحداث رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٣ الصغار الى طائفة غير القادرين على العمل اذ نصت المادة ٢٤ فقرة ٢ منه على انه (يعتبر الصغير مشردا اذا مارس اية مهنة او عمل مع غير ذويه) وحدد في المادة ٣ فقرة ١ المقصود بكلمة صغير (يعتبر صغيرا من لم يتم التاسعة من عمره) . والمتفحص لاحكام القانون المذكور يتبين له بان المشرع قد سمح للصغير بالاشتغال مع ذويه حصرا ، واعتبر كل عمل مع غيرهم محققا لجريمة التشرد ، والذى نراه ان النص المذكور لم يتسم بدقة التعبير . لان الصغير يمكنه ان يمارس كثيرا من الاعمال بمفرده دون ان يخضع لاحكام القانون : لان هذا النص اعتبر الصغير مشردا اذا مارس العمل مع غير ذويه . فان مارس العمل بمفرده فهو لايعد عاملا مع غير ذويه ، وبهذا فان العلة التي قصدها المشرع من المنع لايمكن ان تتحقق بصورة متكاملة ، اذ اغلب الصغار يمكنهم العمل بمفردهم ويتشردوا في الطرقات العامة .وفي اماكن انطلاق السيارات والمقاهي والبارات حيث تتجلى الكثير من الوقائع التي لاتقل خطورتها عن خطر الصغير الذى يعمل مع غير ذويه . بل ربما هذه الجسم ضررا واكثر خطرا لان ذلك يعمل مع مؤتمن مسؤول عنه امام اهله وذويه والسلطات المختصة ،وهذا يعمل لوحده بلا امين ولارقيب عليه ولا احد مسؤول عنه اذا ما وقعت به النوازل، ولهذا نقترح اضافة عبارة او مارس العمل بمفرده الى نص المادة ٢٤ فقرة ٢ دفعا للاجتهاد والتأويل وعلى كل حال فان النص المذكور قد اتسم بالايجابية نظرا لخطورة المرحلة التي يكون فيها الصغير وحاجته الى الرعاية والتوجيه ، وقد لايجد مثل هذه لاحكام قانون رعاية الاحداث رغم مرور اكثر من (٧) سنوات على تطبيقه .اذ حددت المادة ١١٣ منه يوم ١ ـ ٢ ـ ٩٨٤ تاريخا لنفاذه ، وحرصا منا على سلامة اخلاق هوءلاء الصغار الذين غالبا مايقلدون غيرهم في السلوك، لان

ظاهرة التقليد سرعان ماتؤتي ثمارها بالعدوى الاجتماعية فتتولد الخطورة الناشئه عن ظروف البيئة غير السليمة التي يعيشون فيها ، لذا نقترح على وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ان تضع احكام قانون رعاية الاحداث (موضع التنفيذ) رغم اقرارنا بالعبء الثقيل الذى يتحمله مجلس الرعاية الاجتماعية(٣٧) الذى يعد اهم تشكيل ادارى نص القانون على اقامته ، فهو يتولى اخطر مهمة يمكن ان تساهم جديا في تطبيق احكام القانون المذكور ، وعلى الرغم من الدور الاخلاقي والقانوني الذى يقوم به المجتمع كما بينا للحد من الاثار الجرمية في هذا المجال ، نجد ان هناك كثير من الحالات يكون للعمل فيها أثر كبير في تحقيق الظاهرة الاجرامية من اهمها : التدريب على العمل وأدابه والفشل فيه ، لذا سيتضمن هذا المبحث المطالب الثلاثة الاتية :

المطلب الاول : التدريب على العمل

المطلب الثاني : أداب العمل

المطلب الثالث : الفشل في العمل

---

٣٧ ـ وقد حددت المادة الثامنة من قانون رعاية الاحداث اختصاصات المجلس المذكور بقولها (يمارس مجلس رعاية الاحداث الاختصاصات الاتية :

أ ـ مناقشة واقرار السياسة السنوية بخصوص جنوح الاحداث .

ب ـ اقرار خطة دائرة اصلاح الاحداث ومتابعة تنفيذها .

ج ـ اقرار انشاء الدور والمدارس الاصلاحية بناء على اقتراح دائرة اصلاح الاحداث .

د ـ وضع التوصيات لتوفير الحماية الاجتماعية من ظاهرة جنوح الاحداث .

هـ ـ اقرار انظمة الدور والمدارس الاصلاحية قبل رفعها الى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لتشريعها .

المطلب الاول

التدريب على العمل

قد تلجأ الظروف الكثير من الصغار والاحداث الى العمل ، وحيث ان التدريب على العمل غالبا ما يواكب الصغار لاسيما الذين حلت بهم مصيبة فقدان المعيل او معاناة الحاجة التي يصعب على اولياء الامور اشباعها في بعض الشرائح الاجتماعية مما يدفع الصغير والحدث الى ترك مدرسته متجها الى العمل ، وقد يتم هذا التوجه احيانا بناء على رغبة الاهل في تعلم ابنهم لمهنة توفر له مستقبلا الربح الكبير في تصورهم وفي كل الاحوال لإعمل قبل التدريب ، وهنا تتجلى معاناة اخرى اذ نرى ان الصغير غالبا مايتعلق بارباب العمل ، لانه مازال مبتدأ والمبتدأ لم تتجل مواهبه بعد ، هذا التعلق قد يدفع الكثير من ارباب الحرف الى معاملة هؤلاء الصغار الذين هم بامس الحاجة الى الرعاية او التوجيه بقسوة تتنافى مع الطابع الاخلاقي الذى ينبغي ان يتصف به التدريب ، وهذه القسوة التي غالبا ماتكون مقرونة بالاهانة والتجريح فصاحب الحرفة يريد ان ينتقم من هؤلاء الصغار لانه ورث ذالك من مدربه وهذه القسوة والاهانة يمكن ان تساهم مع عوامل اخرى في اقتراف الجريمة ، ومن وجه اخر قد تحدث جراحات في مشاعر الصغار يصعب علاجها وازالتها فيما بعد وبناء على هذا يعد رب العمل خائنا للامانة التي أؤتمن عليها ، لان المتدربين الصغار لم يكن لهم من ذنب الا الحاجة التي دفعتهم الى العمل والرغبة في التدريب على مهنة يرغبون في تعلمها مع صاحب عمل لايقدر عظمة الامانة وقدسيتها والذى نراه ان مرحلة التدريب مرحلة مهمة وخطيرة حياة المتدرب ، لان المتدرب الصغير يتأثر بمدربه اكثر مما يتأثر الطالب الصغير بمعلمه ، اذ الطالب لايقضي اكثر

من اربع او خمس ساعات يوميا في المدرسة يلتقي بغير معلم واحد بـــل ويتأثر بهذا المدرب احيانا اكثر مما يتأثر بوالديه ، فقد لايلتقي بهما كثيرا لاسيما الاباء الذين يغيبون عن الاسرة لغياب الغير المشروع(٣٨) ،في حين ان هذا المتدرب الصغير يقضي من الناحية الفعلية اكثر من ثماني ساعات يوميا مع المدرب نفسه ، وهذا امر يخرج عن ارادة الاسرة لان ظـروف العمـل تستدعي ترك ولدهم تحت رحمة هؤلاء مثل هذه الفترة الطويلة ، ولاهمية هذا الامور في حياة الانسان وعلى الاخص في المراحل المبكرة من عمره نقترح وضع ضوابط دقيقة تنظم اسس التدريب واصوله وقواعده حماية لاخلاق الصغار والاحداث من الشر والانحراف الذى قد يصيبهم من ارباب العمل المنحرفين ، وردعا لكل من تسول له نفسه استغلال وضع الصغيـر استغـلالا سيئا ، وبالنظر لاهمية التدريب في تأهيـل العامـل فانـي اقتـرح علـى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية انتعمد الى تنظيم التدريب وفق القواعد العلمية الفنية وباسلوب اخلاقي انساني ، واستجابة للمعاني السامية التـي تضمنتها الشريعة الغراء والاعلان العالمي لحقوق الانسان والاتفاقية الخاصة بسياسة الاستخدام رقم ١٢٢ لسنة ٩٦٤ التي اقرتها منظمة العمل الدوليـة وصادق عليها العراق بالقانون رقم ١٩٥ لسنة ١٩٦٩ التي اشارت الى ان اهم الوسائل التي تحقق اهداف سياسة التشغيل تتمثل في (وجوب اقرار اهميـة اقامة الوسائل الخاصة بانماء الطاقات البشرية وذلك عن طريق التعليـــــم والتدريب المهني) (٣٩) .

---

٣٨ ـ راجع الصفحات ٢٢٧ وما بعدها من هذا المؤلف .
٣٩ ـ د . شاب توما منصور ، قانون العمل ، دار العربية للطباعة ، بغداد ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ط ٦ ص ١١٥ ، ١٣٦ .

وقد تبنى المشرع العراقي هذا الاتجاه اذ نص قانون العمل رقم ١٥١ لسنة ١٩٧٠ المعدل على انشاء مؤسسة عمالية تتبع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تسمى (المؤسسة العامة للعمل والتدريب المهني) (٤٠) وحدد القانون المذكور في المادة ١٦٠ منه اهداف هذه المؤسسة وهي : حماية وتأكيد القيمة الانسانية النبيلة للعمل ، وتحريره نهائيا من معنى السلعة وتحكم السوق والاحتكارات وتمكين جميع المواطنين الراغبين من الحصول عليه بكرامة ، بوصفه حقا يكفله القانون لكل مواطن قادر عليه كما تهدف المؤسسة الى تدريب العمال المبتدئين على المهنة التي يودون مزاولتها) . وقد تضمنت المواد ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ من القانون المذكور النص على الاحكام الخاصة بالتشغيل وتحقيق اهدافه والنص على اهداف التدريب المهني من خلال دائرة العمل ودائرة التدريب المهني .

ومن استعراض الاحكام التي تضمنتها النصوص المذكورة انفا يتضح انها تؤكد علينا اهمية تنظيم التدريب على العمل بالحرص على تحقيق غايته باسلوب اخلاقي هادف يتلائم ورغبة الصغير وقدرته ، ولا اراني مجانبا لجوهر البحث اذا ماقلت ان الله تعالى قد خلق الانسان وقدر له رزقه في المواهب التي منحها له ، والتفاوت في الرزق هو التفاوت في القدرات والمواهب ، فالله سبحانه وتعالى لم يساو بين الناس في قدراتهم بل فارق بين الارزاق ليحتاج بعضنا الى بعض ، قال تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون) (٤١) ، ان الرزق يتضمن القدرات التي اسبغها الله على عباده واستجابة الناس لهذه القدرات ، اذ ان هذا

---

٤٠ ـ د . عدنان العابد ود . يوسف الياس ، قانون العمل ، دار المعرفة ١٩٨٠ ط ١ ص ٦٧ وانظر كذلك هامش ٣ من الصفحة ذاتها .

٤١ ـ سورة النحل ، اية ٧١ .

التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في التفاوت في الذكاء والعقل والصحة(٤٢) ، ولو كانوا جميعا على نحو واحد لاستغنى كل عن كل ، ولا استقامت الحياة مصداقا لقول المصطفى صلى الله عليه واله وسلم : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

ومن اجل القضاء على ظاهرة الفشل المفضيه الى الاجرام التي غالبا ما تواكب كثير من الصغار فاني اقترح ان يتم اختيار العمل وفقا لما يظهره الصغير من ميول وقدرات بملء ارادته ، وهذا لايمنع من مراقبة الصغير الذى يختار العمل باراداته فترة زمنية كافية تتجلى بها امكانيته فاذا اتضح عدم استعداده على تقبل هذا العمل وجه الى غيره من الاعمال والى نحو من ذلك اشار الامام الشاطبي قديما بقوله : (اذا فرض ان واحدا من الصبيان ظهر عليه حسن ادراك وجوده فهم ووقور حفظ لما يسمع ، وان كان مشاركا في غير ذلك من الاوصاف ، ميل به نحو ذلك القصد ، وهذا واجب على الناظر فيه من حيث الجملة ،مراعاة لما يرجى فيه من القيام بمصلحة التعليم، فطلب بالتعلم وادب بالاداب المشتركة لجميع العلوم ، ولابد ان يمال منها الى بعض فيوءخذ به ويعان عليه(٤٣) .

---

٤٢ ـ التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ، ج ٢٠ ص ٧٨ و ٧٩ .
٤٣ ـ انظر الموافقات في اصول الاحكام ، للامام الشاطبي ، مطبعة المدني ، القاهرة ج ١ ـ ص ١١٦ .

المطلـــب الثانـــــي

أداب العمــــــل

لاجل ان لايحقد الانسان على احد يجب بالضرورة ان لايزدريه احدا او ينتقص من مكانته ، والافأن انتقامات تترى تتفاعل وتنفجر في الشعور او في اللاشعور عند الانسان الذى اهانه من كان مسوءولا عنه ، لهذا فـــأن للعمل أداب يجب ان يلتزم بها رب العمل من جهه والعمال من جهة اخـــرى فلا تكليف الابمقدور لان تكليف الانسان بما لايطيق من الاعمال لايصح في الشريعة الاسلامية التي لاتكلف الانسان بما لايطاق ولا تكلفه بالمشاق(٤٥) وقد اكد هذه القيم الفضلى المصطفى محمد صلى الله عليه والـه وسلـــم بقوله (اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم . فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، وان لاتكلفوهم من الاعمال مايغلبهم وان كلفتموهم فاعينهم) وينبغـي ان لاتقتصـر مراعـاة رب العمـل علـى الطاقات البدنية بل يجب ان تراعى المواهب والرغبات ، فـلا توجيـه بمـا يتنافى مع الرغبة ولايوضع احدا الا في المكان الذى يناسبه ويتلائم معه ،فلا يكلف الصغير مثل الكبير والسقيم مثل الصحيح والمرأة مثل الرجل ،واوضح الفروق في تباين الطاقات والقدرات تلك المتمثلـه في الفـرق بيـن الرجـل والمرأة ، اذ الرجل جبل على شيء والمرأة جبلت على شيء اخـر فـاذا مـا استبدلت الايام واجباتهم ظهر الفشل فاليأس فالعقدة فالجريمة وقد ايـدت الاحصاءات الالمانية صحة هذا الرأى ، اذ دلت هذه الاحصاءات على ان نسبة ارتكاب النساء للجرائم قد ارتفعت خلال الحربيين العالميتين الاولى والثانية نظرا لان المرأة قد قامت باعمال لم تكن مناسبة لطبيعتها فلم تحسن القيام

---

٤٥ ـ الموافقات للشاطبي ، المرجع السابق ج ٢ ، ص ٨٤ .

بها ثم فشلت في ادائهـــا(٤٦) .

والضمان تأثير رب العمل علـى العامـل ينبغـي ان تمنـح لـه بعض الصلاحيات الخاصة منها حق التأديب . اذ يجب له مثلما يجب عليه ، مادام انه يسأل بصفته موءتمن عن الاثار التي تظهر على سلوك العامل لاسيمـــا الصغير فهو يؤثر عليه كما يؤثر فيه والداه ، ولربما كان سببا مباشـرة في حدوث التغييرات في سلوكه وقد بينا خطورة تأثير رب العمل علـى العامـل بسبب طبيعة العلاقـة بينهمـا وطيلـة الفتـرة التـي يقضيهـا تحـت اشرافـه وتوجيهاتـه ، وقـد حـدد الفقهـاء المسلمـون اصـول حـق التأديـب وشروطـه ، وهـي نفس الاحكـام المتعلقـة بتأديـب الطالب (٤٧) ، لان حـق التأديـب فـي الشريعـة واحـد ولم تقتصـر الشريعة الغراء على ضمان حق التأديب لرب العمل وانما تكفلت بضمـان حقوق العامل كاملة فيما اذا تعرض لحوادث اثناء العمل وبسببه ، واذا كان قانون التقاعد والضمان الاجتماعي رقم ٣٩ لسنة ١٩٧١ قد تكفل هو الاخر بضمان اصابات العمل(٤٨) فان قصد التعويض عن الحوادث التي يتعرض لها العامل اثناء العمل او بسببه سواء اكانت هذه الاصابات قد وقعت للعامل اثناء تكليفه بعمل متفق عليه ام لا ، اى انه يساوى بين الحالتين في خضوعهما لشروط اصابة العمل وحالات الحرمات من التعويض والمكافأة ،

---

٤٦ ـ د . فوزية عبد الستار ، مبادىء علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

٤٧ ـ راجع الصفحات ٢٣٩ ـ ٢٤٠ من هذا المؤلف .

٤٨ ـ ويقصد بالاصابة الضرر الجسماني الناتج من واقعه خارجيه مباغته . راجع في تفصيل هذا الموضوع ، د . عدنان العابد ، د . يوسف الياس ، قانون الضمان الاجتماعي ، موءسسة دار الكتب للطباعه والنشر ، الموصل ١٩٨١ ص ١٠١ ، ١٣٥ .

وهذا يعني ان العامل الذى ارتكب على سبيل المثل خطأ جسيما اثناء قيامه بعمل غير متفق عليه ويتعرض لحادثه فانه يحرم من التعويض او المكافأة. في حين ان الشريعة قد تطرقت لهذه الحاله ونصت على تضمين رب العمل اذا كلف العامل في غير ما اتفق عليه وتضرر بسبب هذا التكليف حتى وان ارتكب هذا العامل خطا جسيما . وهذا يتفق مع حكمة الله تعالى التي اقتضت منح كل مخلوق خاصيه يتسم بها ، فهو ينجح ويتقدم كلما كان عمله موافقا لخاصيته ورغبته ، لان العمل وفق الرغبه والتخصص يحقق السعادة للفرد والخير للمجتمع في حين ان وضع العامل في مكان ليس راغبا فيه او تكليفه بعمل غير متفق مع خاصيته ورغبته يكون من الاسباب الرئيسية لفشل العامل في ادائه للعمل والتي لاتقتصر نتائجه على الضرر الذى يصيبه بسبب حوادث العمل وانما تتجاوزه لتكون احد العوامل التي تساهم في تكوين الظاهرة الاجرامية ، وفي هذا قال الفقيه ابن غانم البغدادى: (لو استأجر عاملا في الخياطة فاستعمله في اللبن ليلبن فهلك ضمن ولو لم يهلك فيه حتى رده في الخياطة فهلك فيه لايضمن) (٤٩) .

---

٣٩ ـ ابن غانم البغدادى ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

المطلـــب الثالث

الفشـــل في العمل

اذا فشل المرء في عمله فقد رزء في امله ، وقـد ناقشنا في المطلبيـن السابقين الاسباب المفضيه الى الفشل ، ومن اهمها المعامله السيئـه آلتـي يلاقيها العامل ماديا ومعنويا والتي تخلو مـن الطابـع الانساني او عدم مراعاة الطاقات والمواهب والرغبات ، وهناك امور اخرى يمكن ان تسهـم في وقوع الفشل منها ادعاء الخبـرة والتخصص في المهنـة رغبـة في الاثـراء السريع او ممارسة عدة مهن مختلفة تحتاج الى قدرات متنوعة يصعب على الفرد ان يلم بها بمفرده او نقص القدرة على تعلم بعض المهن التي تتطلب استعدادا معينا ، والذى نراه ان رب العمل بصفته مؤتمن علـى العامـل يكون هو المسؤول عنه ، وكما يبدى الوالد وفاءه وحبه بتوجيه الفاشـــل من اولاده ، يجب على رب العمل ان يتعاون مع دائرة التدريب المهني مـن اجل تجاوز اسباب الفشل ، ومن الافضل في تصورنا هو فتح دورات خاصة بالفاشلين بعد دراسة مستفيضه لاسباب الفشل من اجل الوصـول الى افضـل الوسائل لمعالجتها ، ولايمكن وضع الحلول مقدما فان لكل حاله حلا خاصا يتلائم معها ، فكل عمل خلاف الرغبه والتخصص مثلا يكون مصيره الفشل وهكذا تحميل العامل اكثر من طاقته البدنية او الفكرية ، بل حتى المعاملة القاسية من جانب رب العمل تكون من اسباب فشل العامل في ادائه لواجبه لان العامل الذى يحتقر او تصب عليه الاهانة بدون سبب قد يكره استاذه ويحقد عليه لانه السبب في اثارة النوازع لديه ، وغير ذلك من الاسبـاب الكثيرة والمتنوعة والتي يصعب حصرها ، والاهم من كل ذلك هو اتباع كافة الوسائل والاساليب العلمية والفنية من اجل رفع معنويـه العامـل الفاشل ليتجاوز اسباب الفشل ، فاذا تنصل رب العمل عـن هـذا الواجب

وهو مايقع غالبا ، فينبغي ان تتحمله دائرة التدريب المهني في المؤسسه العامة للعمل والتدريب المهني وان كان محل اشتغال العامل في احدى المناطق التي لايوجد فيها مراكز تدريب للمؤسسة او كان مع صاحب عمل يشغل اقل من خمسين عاملا ، ويمكن تدارك هذا الخلل ، اما بارسال العامل الفاشل غير المؤهل لتعلم مهنة او صناعه معينة الى مراكز التدريب الخاصة بالمؤسسة او تعميم تجربة المدارس الصناعية الشعبيه في كافه المحافظات ومما ينبغي الاشارة اليه بهذا الصدد ان الفشل في العمل كالفشل في الدراسة من حيث اثارة السيئة ،فعلى الرغم من نتائجه الضارة بالمجتمع من حيث انه يعيق تنفيذ الخطط التنمويه القائمة على اساس توجيه العمال لتعلم المهن المتطورة الحديثة واعتماد الاساليب الفنية والتخلى عن المهن والاساليب البدائيه المختلفة فانه يؤثر على الاطمئان النفسي للانسان وخاصة في مرحلة الشباب اذ الاستقرار المهني يمثل احد الاركان الاساسية لهذا الاطمئنان ولا يمكن تحقيق الاستقرار المنشود الذى يؤمن للانسان الملاذ الروحي الامن والحصن الاخلاقي القويم في ظل الفشل المهني والوظيفي وعدم الاستقرار فيهما .

ومن الامور المحققة للفشل ادعاء كثير من العمال قدرتهم على عمل ليسوا قادرين عليه كما ينبغي اذ توالدت قرائن خاطئه لدى الناس افضت الى هذا الظن الخاطىء كتدفق السيولة النقدية بوسائل ملتوية غير مشروعه وهي ظاهرة مؤسفة بدأت تنتشر في مجتمعنا ، نتج عنها الكثير من الاضرار والاذى منها على سبيل المثال اكتساب هؤلاء المراوغين ثقة الابرياء على انهم متخصصين او ذوى خبرة جيدة في عمل او مهنة معينة يتم على اساس هذا التصور التعاقد او تكليفهم للقيام بانجاز الاعمال والمهن التي ادعو الخبرة والتخصص فيها ، فأن كان سبب ذلك هو نقص القدرة على تعلم بعض المهن الفنية التي تتطلب قابلية معينة لذا يجب انتشال هذا العامل

من الفشل المحقق بتوجيهه الى مهنة اخرى يتحول اليها تتلائم مع قدراته وربما تضمن له المستقبل الباهر في حياته . فليس العبرة في ممارسة المهن الصعبة من اجل الحصول على المال الوفير وانما العبرة باتقان المهنة واداثها بشكل يحقق الاطمئنان والرضا لدى مجتمعه ؛ وهو في النتيجة اكبر رأسمال مربح للعامل ، والذي يتحقق باخلاصه في العمل واتقانه الخدمة على الدوام بغض النظر عن الشخص الذى يقدم اليه الخدمة ؛ امتثالا لامر البارى عز وجل واستحضار لوجوده في كل وقت والذى نراه ان يصار الى تنفيذ المقترح الذى اشرنا اليه انفا بخضوع كل العمال للتدريب ، بغض النظر عن الجهات التي يعملون فيها ومهما كان عددهم ، لان من اهم اهداف التدريب المهني التي نص القانون على تحقيقها تتمثل في تطبيق مقترحنا بشكله الموسع ؛ اذ بينت الفقرة (ز) من المادة ٤٨٢ من قانون العمل احدى مهام المكتب المركزى للتدريب المهني والتي تتمثل في : (اعداد دورات متعاقبة للعمال المبتدئين من اجل تدريبهم على تعلم المهن التي يرغبون في مزاولتها ، ودورات اخرى من اجل رفع المستوى المهني للعمال العاملين ، ووضع المناهج العلمية والفنية والتطبيقية لهذه الدورات واعطاء المتخرجين منها شهادات مهنية تحدد فيها مؤهلاتهم ومستويات تخرجهم) ورغم تقديرنا للجهود الكبيرة التي تبذلها دائرة التدريب المهني من اجل تحويل هذا المقترح الى ميدان التطبيق العملي فأنه يمثل في نظرنا افضل وسيلة لمعالجة هذه المشاكل الكثيرة والخطيرة ؛ لانه لا يحق بعد تطبيق هذا المقترح لمن يدعي الخبرة او القدرة على اداء عمل او مهنة او صناعة او خدمة معينة ان يؤديها مالم يبرز البطاقة التأهيليه او الشهادة المهنية والفنية التي تحدد مؤهله وكفاءته ومستوى تخرجه التي تمنح للعمال المتدربين بعد اجتياز الامتحان المطلوب في نهاية كل دورة تدريبية .

ولعل طبيعة بعض المهن تساعد على اقتراف الجريمة اذا لم تستنير افئدتهم بمصباح الخوف من الله تعالى اذ دلت الاحصاءات الجنائية على ان للمهنة تأثير كبير في نسبة ارتكاب الجرائم فنوع المهنة يساهم في التكوين النفسي للمشتغلين بها من خلال الجو النفساني الذي يرافق ادائها والذي يكسبهم بالتالي خصالا معينة قد تغير من خصالهم الطبيعية فالجزارون مثلا قد يألفون منظر الدماء ، لان اساس عملهم قائم على الذبح وان الاستمرار على هذه المهنة من شأنها ان تجعل فعل الذبح عملا طبيعيا ، لذا نجد ان بوسكو يفسر ارتفاع نسبة القتلة بين الجزارين في الولايات المتحدة الامريكية بقوله (ان مشاعر الرفق واللطف التي وضعتها المدنية فوق غرائز الانسان الاصلية الشرسه ، لاتستطيع دفع التأثير اليومي للمهنة لاسيما في المنشآت الواسعة التي تذبح وتقطع فيها يوميا وبطريقة قاسيه حقا الوف من رؤوس المواشيء ، وان من يزور تلك المجازر الهائلة ليسوده شعور بالاشمئزاز حتى يرى كيف تذبح الحيوانات اذ تمر من دقيقة الى اخرى امام الجزارين ، ثم تجر بواسطة الات ميكانيكية الى حيث يتناولها عمال اخرون ، بينما ينزف الدم من نحورها المذبوحة ، وفي هذا السياق يروي الكاتب ميشيل سيرفنت حديثا على لسان غيره نصه (كم كنت اشمئز ، اذ ارى الجزارين يصرعون انسانا بذات السهولة التي يذبحون بها بقرة ، وكيف انهم لاتفه الاسباب وفي لمح البصر يحملون سكينا في بطن انسان كما لو كانوا يذبحون ثورا(٥٠) .

ولايشكل هذا التصور ظاهرة في مجتمعنا ، بسبب مايتمتع به من قيم اخلاقية فاضلة تهذب سلوك الجزارين بسبب مايحيط اداء هذه المهنة من

---

٥٠ ـ د . رمسيس بهنام ، علم الاجرام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ ج ٢ ، ٣ ط ٣ ص ٥٧ ـ ٦١ .

اصول وتقاليد من ابرزها ذكر اسم الله تعالى بسملة وتكبيرا على كل ذبيحة اضافة الى الرفق بها حين ذبحها ٠

وصناع المفاتيح والاقفال قد يألفون التزوير لان مهنتهم هي التقليد بالذات ، وغير ذلك من اصحاب المهن المختلفة ، ولكن الاشد خطرا من ذلك كله المصابون بداء الطمع والنهم في جميع المهن ، فقد لايتورع صاحب المطعم الجشع من تقديم الطعام الفاسد والفضلات الباقية للزبائن وقد لايأبه المتعاملون بالدوات من تقديمه الى سقيم يزيده بدوائه التالف سقما ٠

وما دمنا نتحدث عن الظاهرة الجرمية بسبب العمل لايفوتنا ان نتحدث عن عمل المرأة لان المرأة مخلوق لطيف بما يرافق تكوينها من رقة ولين قد يقلل مافيها من مظاهر الحزم والقوة او بسبب القوة التي يستخدمها ارباب العمل لاسيما في الاعمال الحرة اذ قد تقيد اعناق النساء فلذات الاكباد فترى احداهن التسليم للواقع امرا لابد منه ثم تدخل في دوامة حساب النفس وتأنيب الضمير فتقترف جريمة الانتقام او قد تترك العمل ولاتجد من يمنحها فرصة الحصول على لقمة العيش بانباء العفة والشرف فتلجأ الى اقتراف جرائم الاموال او الجرائم المخلة بالاداب ، وأذا أقترفت ألجريمة المخلة بالشرف فقد جعلت من نفسها جمرة تلهب الجريمة اللا اخلاقية في كل مكان ، لهذا يجب على المؤسسات المختصة ان تعتني بالعاملات وتشرع عقوبات صارمة بحق كل من يقترف الجريمة على العاملة وان كانت طوعا وبهذا يمنع المجتمع الجريمة المقترفة على اخلاقه ٠

ومما يجب الاشارة اليه بهذا الصدد ان المقصود بنقص القدرة على تعلم بعض المهن ينصرف الى عدم امتلاك العامل القادر على العمل القابلية لاداء تلك المهن دون ان ينصرف الى العاجز عن العمل ، لان العاجز هو من :

(نقصت قدرته على اداء عمل مناسب والاستقرار فيه ، نقصا فعليا نتيجة لعاهه بدنية او عقلية) (٥١) ٠

وما دام وضع العاجز بهذه الصورة فلابد من العناية به عناية خاصة من اجل رفع معنوياته وانقاذه من مزالق الشر والفشل وتأمين اسهامه في بناء المجتمع جديا ، لذا فقد ضمن قانون العمل للعاجزين الرعاية الكافية التي تضمن لهم الحياة الامنة المستقرة ٠

حيث بين في المادة ١٩٢ منه ان هدف التأهيل المهني للعاجزين يتمثل في : تأمين اسهام المجتمع بواجبه تجاه افراده العاجزين عن العمل بسبب نقص قدراتهم البدنية اوملكاتهم النفسية او العقليه سواء كان هذا النقص ملازما لهم منذ الولادة او حل بهم نتيجة حادث او مرض بسبب العمل وذلك بانقاذهم من وطأة العجز او بتخفيف حدته عليهم عن طريق تدريبهم واعدادهم بالوسائل العلمية والفنية المعاصرة مهنيا وصحيا واجتماعيا وثقافيا لكي يستعيدوا قدراتهم على العمل ويجددوا املهم في الحياة بكرامة وحرية وثقه ٠

ومن اجل تحقيق الاهداف المذكورة فقد الزم قانون العمل الادارات واصحاب العمل بقبول اشتغال المصابين بنقص القدرة على العمل بسبب العجز ، فبعد ان اوضحت المادتان ١٩٤ ، ١٩٥ من القانون المذكور القواعد والاجراءات التي يخضع لها العاجز نصت الفقرة (ز) من المادة ١٩٤ على انه (تلتزم الادارات واصحاب العمل بقبول المؤهلين مهنيا ، الذين يرشحهم لهم مكتب التشغيل المختص في حدود نسبة ثلاثة في المئة على الاقل من مجموع عدد عمالهم) ٠

---

٥١ ـ د ٠ شاب توما منصور ، المرجع السابق ص ١٣٢ ٠

كما نصت الفقرة و ط) من المادة نفسها على انه (توفر للنؤهليين مهنيا حيثما اشتغلوا تسهيلات خاصة حسب اوضاعهم تيسر لهم سبل القيام بالاعمال المسندة اليهم وتؤمن لهم فرصا خاصة للراحة ٠

وينبغي مراعاة الامر نفسه مع النزيل او المودع ، فله حق اختيار العمل او المهنة التي يمارسها واذا تعذر ذلك فتوفر له فرصة ممارسة مهنه قريبه من المهنه التي يرغب العمل بها ، لاننا لو تجاهلنا هذه الرغبة لوقعنا بالنمط نفسه الذى حصل خارج المؤسسات الاصلاحية فلربما كان الفشل في العمل هو السبب الرئيسي لدخوله هذه المؤسسات ٠

المبحث الرابع

بيئـــة الصداقـــة

خلق الانسان وفيه استعداد على ان يؤثر ويتأثر ويغير ويتغير كما بينا، لذا فأن بيئة الصداقة لاتقل اثرا عن بيئة الاسرة وبيئه المدرسه ، ففريزة التقليد تواكب الانسان في مراحل نموه لاسيما في مرحلة الشباب ، لان هذه المرحلة تتسم بميل الشاب وحبه الى تكوين شخصيته ذاتيا ،وحيث ان الشاب يمكن ان تتجاذبه الموجات الاجتماعية المشبعة بالظلم والطمع والحاجة وغير ذلك من العوامل التي ذكرناها آنفا كل هذه الامور تدعونا للتركيز علـــى اهمية الدور الذى تلعبه هذه البيئة لانها غالبا ماتكون متممة او مفســـدة للبيئات الاخرى ، اذ نجد كثيرا من الابناء الصالحين تتخطفهم بيئة الصداقة فتفشل المهمة التي ادتها الاسرة ، ورغم ان بيئة الصداقة مستقله عن بيئـــه العائلة الا ان التربية الاخلاقية الصحيحه تحمل الاسرة مسؤوليه مراقبـــه سلوك وتصرفات الشاب او الشابة داخليا وخارجيا ، كي تكون التربيـــة متكاملة وتجرى في اتجاه واحد ، حيث ترقب ابنها اين يذهب واين يعـــود ومع من يقترن " وبهذا تستطيع الاسرة ان تستمر في اداء رسالتها ، امـــا اذا تركت حبل الوليد على غاربه تحت رحمة موجات التناقض والفوضـــى التربوية وعنفوان الارادة ومافيها من مغامرات ، فانهـــا تكـــون قد قامرت بحياته لانها تركته يخوض تجربة بمفرده في خضم افتراضات غير مضمونة العواقب ، وبما ان الاجتماع الانساني ضرورى لان الانسان مدني بالطبع اى لابد له من الاجتماع(١) من هنا يأتي دور الصديق ان كان خيرا فهـــو

---

١ ـ العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤١ ، الجزء الاول ، الفارابي ، تحصيل السعادة ، الهند ١٩٤٥ ، ص ١٤ مسكويه تهذيب الاخلاق ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ١٥ . رسائل اخوان الصفا ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .

كريح المسك ، وان كان شرا فهو كنار الحداد يحرق الثياب وريحته خبيثه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافع الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك او تجد منه ريحا خبيثة) .

بهذا الحديث الشريف شبه المصطفى صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل الورد وهذا مدح للورد وهو الطاهر الطيب ، وشبه جليس السوء بنافخ الكير وهو الحداد الذى يحرق ثيابك من النار او على الاقل فأنك وانت جليسه تشم رائحة خبيثة وهذا ليس معناه ان الحداد هو الخبيث وانما رائحة الكير ، وفي هذا الحديث حث على معاشرة الصلحاء والابتعاد عن اهل السوء والفسق والانحراف والمجرمين عموما وعدم اتخاذ احدهم قرينا او صاحبا او حتى جليسا لوقت قصير ، فالشاب حين يتصرف يقلد من حوله قبل ان يعقل ما يفعل غالبا لذلك ينبغي ان يكون من حوله صالحا ، ونظرا لما يتميز به دور الشباب من عنفوان ورغبة في تحقيق كثير من الرغبات والغرائز واتخاذ القرارات السريعة والعاطفية المتسمة بالمغامرة والتضحية ، فانه سرعان ما يقلد غيره أو ممن هو في سنة او ممن يتخذه قدوة له ،ولغرض تنشأة الشباب النشأة الصالحة لابد من الاهتمام بالقرين والحرص على اختياره لان الانسان مهما بلغ من العمر وصل الى مستوى مرموق من التعلم والمعرفة ومهما اكتسب من خبرة وتجارب فأنه يتأثر بمن حوله وبمن يعاشره ويجالسه(١) .

---

١ ـ د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ، ١٧٨ و ١٧٩ .

لهذه العلة كان الزاما على الاباء والمربين والمصلحين وكل من ولي امانة التربية والتعليم ان ينتبهوا لهذه الناحية وان ينبهوا ابناءهم الى ضرورة تحري الفرد الصالح لاتخاذه قريبا او صاحبا او حتى جليسا لوقت قصير ، كما ان هؤلاء ملزمون بنفس الوقت أن يحولوا بين ابنائهم وبين قرين السوء ، وما اكثر قرناء السوء في هذا العصر . فقد ابتلى مجتمعنا بهذا الداء الخطير الذى بات يهدد اخلاق شبابنا وشاباتنا ، فقرين السوء يؤثر في قرينة فهو يختلي به بعيدا عن بصائر اولياء الامور والمربين ، فيزين لقرينة الشر ويسهل عليه الوقوع في الرذائل واقتراف الجرائم ، ولقد عشنا امثلة كثيرة راح ضحيتها كثير من الابرياء .

ولهذا قال الشاعر العربي في حكمة اختيار الصديق : ـ

(عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارنة يقتدى)

ولخطورة اصطفاء الاصدقاء قال تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) (١) ان الحكم المستنبط من هذه الاية الكريمة هو ان الانسان يمكن ان يتأثر بغيره ، فأن انزلق في الشر والجريمة فأنه يندم ولات ساعة مندم ، فصديق السوء اثر تأثيرا سيئا في سلوكه اذ الاساءة هدم وما ايسر الهدم وما اصعب البناء ، ويستنبط حكما اخر خلاصته : ان اصطفاء صديق السوء غير جائز شرعا خشية من الضرر الذى يلحقه بمن اصطفاه ولاضرر ولاضرار في شريعة الله تعالى .

---

١ ـ سورة الفرقان ، الايات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

وحيث الانسان اجتماعي بالطبع كما ذكرنا فقد وجب على ولي الأمر ان يصطفي قرينا صالحا لولده ليقتدى به وليتخلص من عقدة الوحدة والحرمان ، وللوحدة آثار سيئة ولكن قرين السوء اشد منه سوءا ، لهذا اخبرنا المعلم الاول صلى الله عليه وسلم ان : (الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة) يتبين من هذا الحديث الشريف ان اصطفاء الصديق الصالح خير من الوحدة المفضية الى عقدة الوحشة الاجتماعية ، لهذا فأن اسلوب تحصين الشباب من عقدة الوحشة واجرامه يتمثل في اصطفاء الصديق الصالح .

كما بين القرآن الكريم اجمل بيان في قبس اخير عاقبة الاصدقاء الصالحين اذ استثناهم من السلوك الذي يصطبغ به قرنا السوء حيث يتبرىء كل صديق من صديقه بعد اللوم والعتب الذي لاينفع ولايجدي شيئا (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) (١) يستنبط من هذه الاية الكريمه ان الاصدقاء الصالحين مجموعون في فردوس الله تعالى كما جمعوا على الخير والصلاح في الدنيا .

والصداقة جزء من البيئة الترويحية تلك البيئة التي يقضي فيها الشباب اوقات فراغه لان بحث الصديق يقترن غالبا مع اللعب او مع الفراغ ، والدراسات والبحوث التي اجريت حول هذه العلاقة توءكد على ان اللعب هو مدخل وظيفي لبناء العلاقة مع الاخرين ويعتبرها علماء النفس فترة مهمة لانها تمثل ركيزة اساسية في البناء النفسي للفرد في كافة مراحل نموه ومنها مرحلة الشباب .

---

١ ـ الزخرف آية ٦٧ .

ان اللعب نشاط سلوكي هام يقوم بدور رئيسي في تكوين شخصية الانسان . وهو ظاهرة سلوكية في جميع الكائنات الحية . لاتقتصر على الانسان حسب ، والميل الى اللعب امر وراثي فطري ، الا انه لاياخذ صورة واحدة بل يختلف باختلاف الظروف المحيطة بالانسان وبحسب مرحلة النمو التي يكون فيها ، ورغم ان كل نظرية من نظريات اللعب تفسر اللعب من زاوية معينة ، منها من يتناول اللعب كمحاولة للتفسير الفسيولوجي ، واخرى محاولة للتفسير السيكولوجي وثالثة للتفسير الاجتماعي الا ان هذه النظريات تتفق جميعا على ان اللعب بمختلف مظاهره يعد من اهم العوامل المهمة في تربية الانسان وتساعد في اكتشاف مواهبه وميوله واستعداداته . ورغم ان الاتجاه السائد الان لدى الكثير من الباحثين ان اللعب امر يهم الصغار وحدهم ولايهم الكبار بدءا فيهم الشباب الا ان هناك اراء قيمة تؤكد بان اللعب امر ضروري للكبار ايضا .اذ يرى جونس مورث (ان اللعب يعد وسيلة طبيعية للتخلص من الاضطرابات العصبية التي تنتج من الاستمرار في اداء العمل لمدة ساعات طويلة وذلك لان اللعب يتميز بالحرية والانطلاق والتلقائية مما يساعد على تجديد نشاط الجسم واستعادة الطاقة المستنفدة في العمل والتخلص من التوتر العصبي والاجهاد العقلي والقلق النفسي ، وذلك لما اللعب من قيمة ترويحية) (١) .

---

١ ـ د كمال درويش ود . محمد محمد الحمامي وامين انور الخولي . اتجاهات حديثة في الترويح واوقات الفراغ . دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٨٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ـ ٢٤١ .

اما وقت الفراغ فان تنظيمه واستغلاله على افضل وجه ممكن امر يهم الشباب كثيرا(١) ويعرف بول وايز وقت الفراغ بأنه : (حصة الوقت من اليوم الذى لاتستعمله في مقابلة الاحتياجات الملحة او الضرورية لوجود الانســـــان) •

ويعرفه ناش بأنه : (الوقت الذى يتحرر فيه الفرد من الواجبات والانشطة الضرورية) في حين يعرفه هربرت ريد بأنه : (الوقت الذى ندخره للراحة والتأمل والترويح) ويطالب فينيكس بأن تزول التفرقة بين العمل ووقت الفراغ و بين الوظيفة والترويح ، مبينا بأن قضية الترويح ووقت الفراغ انما هي قضية حرية الفرد اكثر من كونها متعه له ووقت الفراغ اصبح الان سمة القرن العشرين • ويرى وان كورين ان هذا العصر هو العصر الذهبي للترويح خاصة وان الاتجاه الحالي لكثير من الدول هو قصر ساعات العمل الاسبوعية على خمسة ايام فقط • والفراغ كاللعب يساهم هو الاخر في تكوين شخصية الانسان ، فالفرد لاتتكون شخصيته من وقت العمل فحسب بل يساهم وقت الفراغ في تكوينها واتضاحها ، بل ان وقت الفراغ قد يكون الاساس في الابداع والخلق الانساني • لان عملية الابداع والخلق لايمكن ان تنشأ وتترعرع الا في جو الحرية واحترام المشاعر الانسانية ، اما في وقت العمل فأن الابداع لا يمكن ان يجد له سبيلا مع انتفاء مبدأ الحرية لان طبيعة التأمل والتفكير لاتنسجم مع صيغ الاوامر الادارية الجامدة التي لاتقبل المناقشة •

ورغم ما ابديناه من جانب ايجابي لوقت الفراغ ، الا انه ينبغي أن نتذكر الجانب السلبي له ، وقد اوضح ذلك الامام الشافعي بقوله : (من لم يشغل نفسه بالحق شغلها بالباطل) •

---

١ ــ د • جلال ثروت ، الظاهرة الاجرامية ، موءسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٧٢ ص ١٦٢ •

ومع الفراغ تبرز مسألة البطالة ، والبطالة نوعان ، بطالة حقيقيه وبطالة مقنعة ، والمقصود بالثانية . عدم الاستغلال الامثل لطاقة العمل وهي ليست موضوعنا ، اما الاولى فانها نقيض العمل ، وعلاجها يكون بتوفير العمل نفسه ، ولن اتطرق الى هذه المسألة لسببين :

الاول : ان فرص العمل متوفرة للجميع وليس ادل على ذلك من حاجتنا الى استيراد الايدى العاملة من الخارج لتنفيذ الخطط التنموية الكبرى .

الثاني : تكفل قانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لسنة ١٩٨٠(١) التي يمارسها الشاب مع هذه المفاهيم بكل دقة ، لان النشاطات الترويحية(٢) التي يمارسها الشاب للحصول على مايحتاجه من متعة وراحة واستجمام وترويح للنفس لاتكون بالضرورة مفيدة فمنها مايكون عقيم كقضاء الوقت في المقاهي والطرق العامة او في الامور التافهة ، وقد يكون النشاط الترويحي ضارا ، يدفع الشاب الى الانحراف ، ولقد شغلت اهتمام علماء الاجرام ممارسة الشباب للنشاطات الترويحية الضارة ، كتناول المسكرات ولعب القمار وتكتل الشباب في جماعات منحرفة . وفعلا تعد هذه النشاطات الثلاثة من الظواهر الاجرامية التي تقلق بال المختصين في المجتمعات المعاصرة .

---

١ ـ نصت المادة الثالثة منه على ان : (العمل حق تكفل الدولة توفيره لكل مواطن وهو واجب على كل قادر عليه . وتستلزمه ضرورة المشاركة في بناء المجتمع وحمايته وتطويره وازدهاره . وتهدف الدولة الى تأمين الضمانات الاجتماعية للمواطنين كافة في حالتي العجز والشيخوخة) .

٢ ـ اطلقنا وصف النشاطات الترويحية تجاوزا ، لان مفهوم الترويج الصحيح هو تنظيم وقت الفراغ واستثماره فيما ينفع وليس اهداره وقضاءه في ممارسة النشاطات الضارة والعقيمة .

ان مسألة تعاطي الخمور لو تفشت في مجتمع ما تكون خطرا حقيقيا يهدد امن ذلك المجتمع وسلامته مما يستوجب معالجة هذه الحالة المرضية الخطيرة قبل ان يستفحل امرها وتسري عدواها لاسيما لدى الاحداث والشباب . وينبغي ان تتم المعالجة باتباع سياسة وقائية وعلاجية تعتمد الاساليب العلمية منهجا وموضوعا وتأخذ بمعيار التوقع والاحتمال لنتائج الامور التي قد تحدث مستقبلا ، اذ ربما تزداد نسبة تفشي هذا الوباء بصورة مخيفة ، كما تسعى هذه السياسة الى تحقيق اهداف خطط التنمية الطموحة في اعادة الواقع الاجتماعي نحو وضعه الصحيح وتكوين الانسان الجديد الذي يساهم جديا في بناء المجتمع وتحقيق اسباب رقيه وسعادته . وفي تصوري فان هذه المشكلة الخطيرة والمعقدة التي تعاني جميع المجتمعات من آثارها السيئة لا يحلها الحظر المؤقت (١) وحتى الدائم (٢) لارتياد الحانات او المنتديات الليلية . لان طالما ان تناول المسكر من شأنه ان يوجد عامل اجرامي لدى الشباب لايهم ان يكون ذلك في محل عام او خاص او حتى في بيته يدفعه الى ارتكاب الجريمة . فالاولى ان يمنع الشباب اساسا من

---

١ ـ نصت الفقرة الثانية من المادة ٣٨٨ من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ (المعدلة بموجب التعديل رقم ٢٩ لسنة ١٩٨٥) والتي نفذت من تاريخ ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٨٥ على انه (كل صاحب حانة او مشرف او منتدى ليلي وكل مستخدم فيها سمح بدخول شخص لم يبلغ الحادية والعشرين من عمره لاي سبب كان ، يعاقب بالحبس مدة لاتزيد على ستة اشهر او بغرامة لاتزيد على خمسين دينارا او بكلتا العقوبتين) .

٢ ـ نصت المادة ١٠٦ من نفس القانون على انه : (احظر ارتياد الحانات هو منع المحكوم عليه من تعاطي شرب المسكر في حانة او اي محل اخر معد لهذا الغرض المدة المقررة في الحكم .

ب ـ اذا حكم على شخص اكثر من مرة لارتكابه جريمة السكر او لارتكابه جناية او جنحة اخرى وقعت اثناء سكره جاز للمحكمة وقت اصدار الحكم بالادانة ان تحظر عليه ارتياد الحانات وغيرها من محال شرب الخمر مدة لاتزيد على ثلاث سنوات .

تناول الخمر اجتثاثا للعامل الاجرامي ودرءا للخطورة الناجمة نتيجة تناوله المسكر ، سيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان تطبيق قرار المنع يكون أشبه بالمستحيل لانه من ذا الذي يتولى حسن تطبيقه . الامر المتصور في هذه الحالة هو ان يوكل الى الشخص نفسه تطبيق هذا المنع تحت طائلة العقوبة في حالة الاخلال بالمنع ٠

وقد ثبت علميا تحقق العلاقة الوثيقة بين المسكر والسلوك الاجرامي ، لان تناول الخمر من العوامل المساعدة على اقتراف الجريمة ، إذ اثبتت الخبرة الطبية ان تعاطي الكحول تضعف المقاومة الاخلاقية الميل الى الشر(١) ، ويتضح ذلك في زيادة الاستعداد لدى الفرد للانزلاق بسهولة والاقدام على اقتراف الجريمة(٢) ، لان الخمر تبدد من المخاوف التي تحول بين الفرد والجريمة فيكون به جريئا مندفعا نحو اقترافها ، اذ ان كمية قليلة من الخمر تكفي لان تدفع الشخص الذي لديه ميل اجرامي لاقتراف اخطر الجرائم(٣) ولذا يعمد بعض الشباب فعلا الى تناول المسكر ليكتسب قدرا من الشجاعة تمكنهم من ارتكاب اكثر الجرائم عنفا ووحشية التي يصعب على الانسان ان يقترفها ان كان واعيا ، لذا يمكن القول بناء على ماتقدم ان الخمر من الاسباب الرئيسية التي توجج الظاهرة الاجرامية لدى الشباب٠

---

(١) جورج ديول ـ التدابير الوقائية ـ تعريب موسى عبود ، بحث منشور في مجلة القضاء والقانون المغربية ، ابريل / مايو ـ ١٩٦٤ ، السنة السابعة ، العددان ٦٨/٦٩ ـ ص ٣٣٧

(٢) د٠ مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٢١٨/٢١٩

(٣) د٠ فوزية عبد الستار ، مبادىء علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ٤٧

ان توفير الفراغ كما سبق ان بينا هو ضروري لاثراء النشاط الانساني وادخال المتعة على الحياة الا انه مما ينبغي الاشارة اليه بهذا الصدد ان الوجه السلبي لوقت الفراغ يكون اكثر من الايجابي اذالم نحسن التعامل معه جيدا لذا مما يؤسف له ان الاحساس بمسؤولية هذا الوقت قد وصل الى ادنى مستوى بل حتى على حساب الواجبات الاساسية والضرورية فقد استأثر التلفزيون بأغلب وقت الفراغ ، لانه دخل كل بيت بدون استئذان واصبح قادرا على ان يوجه الشباب كما يريد خيرا ام شرا خاصة ان اغلب شبابنا قد اصيبوا بداء الادمان على مجالسة التلفزيون ، واقول. مجالسة لانه اصبح بمثابة الصديق الوفي الذي يلازمه من ابتدائه الى منتهاه . لذا فأنه يتأثر بمغرياته نحو الاسواء وكان يمكن ان يتأثر بحسناته نحو افضل ، اذ الافلام المتدنية سلوكيا وما تظهره بعض المسلسلات من مشاهد ومواقف تجد لها التبرير كالكسب الحرام والربح الفاحش والخيانة الزوجية والاعتداء على حرمات الاخرين وحقوقهم ، وغير ذلك من البرامج غير الهادفة التي من شأنها اثارة الغرائز الفطرية والنزوات – المتأصلة في نفس الانسان ، كغريزة حب المال والغريزة الجنسية فيهيج الشاب بسبب تلك الاثارة ولا يجد من يهذب من نزواته او يهدىء من ثوره غرائزه ، وبهذا تقترف الجريمة ، لان وازع الفضيلة ضعف في نفسه ، وانعدم عنده الوازع الاخلاقي حتى يألف الجرائم الاخلاقية ويستحسن ماتستقبحه حتى الحيوانات بالتجربة(١) اذ الخيانة الزوجية تظهرها الافلام وهي مرتدية ثوب التبرير ،وهو امر لاتقع جريمته على اثنين فحسب بل يتعدى اثره الى كل المجتمع فكيف يأمن المرء على عرضه في ظل الفوضى الاخلاقية

---

(١) دلت التجربة التي قام بها رئيس جمعية طيور الحب في الولايات المتحدة الامريكية ان انثى طير الحب لاتنظر الى غير ذكرها بل لن تقرب غيره حتى بعد موته .

وهذه الجريمة البشعة تدر آثارها سيئات على مقترفيها حتى بعد موتهم قال تعالى : ((انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين))(١) ٠

نريد من وسائل الاعلام عموما ومن التلفزيون خاصة ان يقوى شعور الاعتداد بالنفس لدى الشباب ويوضح له مساوىء الانحراف عن القيم الاخلاقية الفاضلة ، اذ ارتفاع شأن الذات وقيمة الاعتداد بالنفس مرتبط بأرتفاع الرقي الاخلاقي له ، وان سقوطه في الرذيلة هو سقوط الذات ، لذا يمكن تشجيع الشاب عن طريق شحذ هممهم وشد اهتمامه ببطولات الشباب ذوى الصفات الاخلاقية المثالية ليتأثر بها ويقلدها ويتحلى بصفاتها وينهج نهجها ٠

وقد اكدت الاحصائيات الجنائية الفرنسية الصلة بين تناول الخمر واقتراف الجريمة ، حيث بينت بأن السكارى يحتلون ٧٥٪ من مرتكبي جرائم القتل و ٦١/٥٪ من مرتكبي جرائم الاعتداء على الاشخاص و٦٥٪ من مرتكبي الجرائم الاخلاقية و ٤٥٪ من مرتكبي جرائم الحريق و ٨٠٪من المتشردين والمتسولين و٦٠٪ من مرتكبي حوادث المرور (٢) ٠

وتساهم البيئة الترويحية بما فيها من اصدقاء سوء ونشاطات ترويحية ضارة في تكوين العصابات الاجرامية لذا فأنها سببت قلقا كبيرا لدى بعض علماء الاجرام بأعتبارها ظاهرة اجتماعية خطيرة لجملة اسباب اهمها :

((١ ـ تزداد خطورة وانتشارا في كل يوم بحيث فرضت نفسها كمشكلة اجتماعية حالة لايمكن اغفالها بحال من الاحوال ٠

---

(١) سورة يس ، اية ١٢ ٠

(٢) د٠ محمد خلف ، المرجع السابق ـ ص٢٢٠

وضاعف من خطورة هذه الظاهرة التسهيلات التي تمنحها الحياة العصرية للشباب من جانب والتراخي في مواجهتها من جانب المختصين من جانب أخر ٠

٢ ـ تنبيء بعواقب وخيمة نظرا لان جماعات الشباب المراهق غالبا ماينتهي بها الامر الى الانحراف الاجرامي ٠

٣ ـ تصيب الانسان في اخطر مرحلة من مراحل العمر وهي مرحلة المراهقة(١) ٠ علما بأن الشخصيات المثالية للشباب حيث يكون ليست متجسدة في عالم الخيال ٠ بل هي موجودة فعلا لان الله تعالى خلق الانسان في احسن تقويم ،وهذا يدل على ان الانسان يتمتع بالاستعداد والقدرة على المثالية في الحياة ، ولهذا نجد في القرآن قصص لشخصيات بطولية اتسمت بالصفات الاخلاقية العليا ، من هذه الشخصيات مثلا شخصية سيدنا يوسف عليه السلام الذى ضحى بكل المصالح الماديةمن اجل الفضيلة ، وتغلب على دوافع الغريزة الجنسية في سبيل الحفاظ على شرفة وعفته ، حيث وجد ان الطرد من قصر الملك الذى يعيش فيه مرفها سعيدا والدخول في السجن رغم مرارته وقسوته يحقق له المتعة الروحية ، وهذه بالنسبة اليه افضل من البقاء في القصر مع ارتكاب الفاحشة مع امرأة الملك ، فالعذاب والسجن في سبيل الشرف اعلى من السقوط في الرذيلة(٢) ٠

---

١ ـ د ٠ جلال ثروت ـ المرجع السابق ـ ص٠ ١٥

٢ ـ د٠ مقداد يالجن ـ المرجع السابق ـ ٤٨٤ و ٤٨٥

المبحث الخامس

(الهجرة واثرها في السلوك الاجرامي)

منذ ان خلق الله الانسان جعله يعيش في اسرة ، وهي في حقيقتها اساس ونواة المجتمع الانساني ، وعلى هذا تنوعت حياته الاجتماعية بداوة وريفا وتحضرا وقد تأثر علماء الاجتماع بالحقيقة المذكورة انفا ، اذا اشاروا الى ان الحياة البدوية أصل الحياة المدنية ، قال ابن خلدون :ـ ومما يشهد لنا البدو أصل للحضر ومتقدم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذي في الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ناشئة عن احوال البداوة وانها اصل لها فتفهمه ، ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فرب حي اعظم من حي وقبيلة ومدينة اكثر عمرانا من مدينة فقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار واصل لها بما ان وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية(١) ٠

ولما تاسست الدولة في المدينة المنورة بهجرة المسلمين من مكة كانت الدولة بحاجة الى السكان بعدما تكاملت عناصر الدولة ،لهذا حث الرسول صلى الله عليه وسلم البدو على الهجرة الى المدينة ، لهذا راى المؤمنون في الهجرة الى المدينة سبيلا لاينقضي رواتبه بل يلومون من يرتد الى عقبيه ويستعيذون من الرجوع الى حياة البدو لانهم باعوا انفسهم واموالهم لله حسبه فالهجرة فرضت اول الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه ويظاهرونه على امره ويحرسه ، وقد دعى المصطفى

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، ب٠ ت ،
ص ١٢٢ ٠

هجرتهم التي ابتدأوا بها وهو باب الرجوع على العقب في السعي الى وجه لاصحابه ان يوفقهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعو من من الوجوه ، وقيل ان ذلك كان خاصا بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلة المسلمين . واما بعد الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فأن الهجرة ساقطة حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح ، والكل مجمعون انها بعد الوفاة ساقطة لان الصحابة افترقوا من يومئذ في الافاق وانتشروا ولم يبق الا فضل السكني بالمدينة وهو هجرة ، وعلى كل حال فليس هنا دليل على ذم البداوة التي عبر عنه بحالة التعرب لان مشروعية الهجرة انما كانت لمناصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لالمذمة البداوة ، فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر والله يحب المتقين(١) .

والهجرة كما بينا ليست شيئا جديدا ، مادام ان بني البشر دائمي الحركة والتنقل ، باحثين عن حياة افضل اذ ماكدرت حياتهم المآسي والكوارث . لذا فأن اهتمام الباحثين لاينصب على التغيرات المتعلقة بهذه الظاهرة من حيث حجمها وحركتها وانما ينصب على المشاكل الناجمة عنها كالهجرة غير المشروعة وهجرة العقول وهجرة الايادي العاملة والتحركات غير المشروعة للاجانب ، وقد اثارت هذه المشاكل كثير من البحوث والدراسات في المؤتمرات - المحلية والعربية والدولية . وقد توقع الاستاذ كولدستين ان تصبح الهجرة اهم فرع من فروع الديموغرافيا في الربع الاخير من هذا القرن . واوصى بضرورة اجراء مسح عالمي خاص بالهجرة واخر خاص بمسح الخصوبة العالمية ، وتختلف الهجرة عن الخصوبة والوفيات في امور عديدة من اهمها : -

---

(١) انظرة مقدمة ابن خلدون . المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

١ ـ الولادة والوفاة كلتاهمـا عملية بيولوجية واضحة ومتماثلة ومنفـردة بمعنى انها قد تقع عدة مرات كما في حالة المواليد او انها تقع لمـرة واحدة كالموت ولكن لاحدود للهجرة ٠

٢ ـ ان المواليد والوفيات من الاحداث التي يتساوى بها كل البشر ، امـا الهجرة فأنها ـ ليست حدثا محتوما لكل الناس ٠

وقد عرف الاستاذ ايفرت لي الهجرة بأنها : (التغيير الدائم او شـبه الدائم لمكان اقامة وليست هناك تقييدات على المسافة او كونها حـرة او اجبارية ولاتفريق بين الهجرة الخارجية او الداخيلة)(٢) ٠

ورغم ان الهجرة قديمة قدم التاريخ الا ان المعلومات الدقيقة عن حجمها وحركتها لم تتوفر الا مؤخرا ، اما اسبابها فهي متعددة ذكر بعضها القـران الكريم ، قال تعالى : (ومن يهاجر في سبيل الله يجـد في الارض مراغمـا كثيرا وسعه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه المـوت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما)(٣) ٠

ذكر المفسر الرازى في تفسير هذه الاية :واعلم ان المانع امران الاول :ان يكون له في وطنه نوع راحـة ورفاهية فيقول لو فارقت والوطـن وقعت في الشدة والمشقة وضيق العيش ، فأجاب الله عنه بقوله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في ارض مراغما كثيرا وسعه) ، يقال : راغمت الرجل اذا فعلت ما يكرهه الرجل ، وحصلت هذه المراغمة بسبب انهم فارقوا وخرجوا عـن ديارهم وعندى فيه وجه اخر : وهو ان يكون المعنى : ومن يهاجر في سبيل

---

(٢) انظر الهجرة الدولية ماضيها وحاضرها ومستقبلها تأليف ايون ف ٠ بوفير ، مع هنرى س٠ شرابول وهارى و٠ هندرسون ، ترجمة د٠ـ فوزي السهاونه ، المطبعة الاردنية عمان ، (١٩٨٢ ٠ ، الصفحات ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ٠

(٣) سورة النساء ، آية ١٠٠

الله الى بلد اخر يجد في ارض ذلك البلد من الخير والنعمة مايكون سببا لرغم انف اعدائه الذين كانوا معه في بلدته الاصلية وذلك من فارق وذهب الى بلدة اجنبية فأذا استقام أمره في تلك البلدة الاجنبية ووصل ذلك الخبر الى اهل بلدته خجلوا من سوء معاملتهم معه ، ورغم انوفهم بسبب ذلك . والحاصل كأنه ، قيل ياايها الانسان اذ كنت انما تكره الهجرة عن وطنك خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلاتخف فأن الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظمية في مهاجرتك ما يصير سببا لرغم انوف اعدائك ، ويكون سببا لسعة عيشك ، وانما قدم في الاية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج الانسان الذي يهاجر عن اهله وبلده بسبب شدة ظلمهم عليه بدولته من حيث انها تصير سببا لرغم انوف الاعداء ، اشد من ابتهاجه بتلك الدولة من حيث انها صارت سببا لسعة العيش عليه .

وأما المانع الثاني:

من الاقدام على المهاجرة فهو ان الانسان يقول : ان خرجت عن بلدي في طلب هذا الغرض ، فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه ، فالاولى ان لااضيع الرفاهية الحاضرة بسبب طلب شيء ربما اصل اليه وربما لااصل اليه ، فأجاب الله تعالى عنه بقوله : (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله) والمعنى ظاهر(1) .

كما ذكر الباحثون اسبابا اخرى للهجرة من اهمها : اتساع نطاق التجارة بين الامم ، واثر الاكتشافات في تيسير امر الهجرة ، ومساهمة السفن التجارية في تسهيل مهمة المهاجرين ، وهناك اشكال اخرى من الهجرة

---

(1) انظر تفسير الفخر الرازي ، المرجع السابق ، ج 11 ص 14 و 15 .

تمثلت في اجبار السكان الاصليين على النزوح وهي ماتسمى بالهجرة القسرية ، وجرى مثل ذلك في فلسطين حيث شردت العصابة الصهيونية العنصرية اكثر من مليون فلسطيني من ديارهم واجبرتهم على ترك وطنهم والعيش في المخيمات كلاجئين • وظاهرة الهجرة ليست غريبة على وطننا العربي ؛ اذ عرف هذا الوطن ظاهرة الهجرة الاجنبية منذ اقدم العصور ، ولسنا بصدد استعراض تاريخ هذه الهجرة واسبابها وحجمها واهدافها لان هذا ليس من صميم بحثنا ، الا ان الذي يهمنا بهذا الصدد هو ظاهرة الهجرة الاجنبية التي تعرضت لها بعض الاقطار العربية لاسيما اقطار الخليج العربي والتي اثارت قلق الحكومات العربية ، فكانت من المواضيع التي نوقشت ضمن المؤتمر الثالث لوزراء الداخلية العرب المنعقد في المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٠ ، باعتبارها من المشاكل الامنية المعاصرة التي تهدد امن الوطن العربي ؛ وبما ان الأمن العربي كل لايتجزا فان ما يهدد امن قطر معين يهدد امن الاقطار العربية جمعاء • وبما ان الهجرة غير المشروعة والعمالة الاجنبية تمثل ابرز صور الهجرة التي تعرضت لها اقطار الخليج العربي •

لذا لخص بعض الباحثين(١) الاثار السيئة الناجمة عنها وهي : ـ

أ ـ ان الهجرة الوافدة غير المخططة تؤدي الى ايجاد قوى عاملة كبيرة احتياجات ـ الصناعة والتجارة والزراعة والخدمات مما يترتب عليه ان يواجه المجتمع بحالة من البطالة ظاهرة او مخفية الامر الذي يترتب عليه تعقيد في مسائل الاسكان والتعليم والصحة والخدمات الاجتماعيـــة •

---

١ ـ د • محمد فالح حسن ـ دور المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة في مكافحة الجريمة ـ رسالة دكتوراه ١٩٨٥ ص ٢٦٠ •

ب ـ وحيث للعمالة الاجنبية الوافدة عاداتها وتقاليدها التي تختلف عـــن عادات وتقاليد السكان الاصليين الامر الذى يـؤدى الى النقص فـــي شتى مجالات التصرف والعمل ، كما يؤدى الى نـوع مـن التكتلات لتوفير نمط من الحياة لايختلف كثيرا عـن الحياة التـي الفها المساون في بلدانهـــم ٠

حـ ـ تؤكد الكثير من الدراسات والاحصاءات وجـود علاقة بيـن ازديـاد الهجرة الاجنبية وارتفاع معدلات الجريمة وخاصة في الاقطار النفطية وشبه النفطية فالتطور الحضارى الذى تشهده هذه الاقطار ومشاريع التنميـــة التي يجرى تنفيذها ساهمت في احداث تغيرات اجتماعية سريعة رافقهـــا دخول قيم وانماط سلوكية غريبة بسبب العمالة الاجنبية الوافـدة تختلف عـن القيم والانماط السلوكية السائدة في تلك الاقطار ادت الى احـــداث خلل في البيئة الاجتماعية الامر الذى يدفع الى الجريمة والانحراف ٠

د ـ ان التغيرات الاجتماعية نتيجة الانتقال من قيم وانماط سلوكية معينة الى اخرى مختلفة يترتب عليها تعرض العمال الوافدين الى صراعـــات اجتماعية حادة تبدو احدى مظاهرها في الجريمة والانحراف ٠

ومن الظواهر التي تجلت في الوطن العربي سرعة تغيير المجتمع مـن مجتمع ريفي وبدوى الى مجتمع مدني متحضـر ، لاسيمـا اقطـار الخليـج العربي ، ومما لاريب فيه ان الانسان لايستطيع ان يتخلى عن كل ما جبل عليه بمثل السرعة التي شهدها المجتمع العربـي في الانتقـال الى مرحلـة التحضر ، ولهذا نرى الحضارة توشك ان تكون مبالغـة في القشـور دون اللباب بدليل افتقار المجتمع العربي للتطور التقني وميوله اكثر مـن ميـل اصحاب الحضارة الى اللهو بشتى صورة ، اذ المجتمعات العالمية لم تعطهـــا جانبا من حياتها في بداية تقدمها وتحضرها بينهما نجد المجتمع العربـــي

اعطاها اكثر مما يجب بحجة انها ظاهرة حضارية . والذى نراه ان هـذا لا يعد تحضرا اذا اثر على القيم والعادات الاصيلة لهذا المجتمـع . اذ يجـب بالضرورة ان تنهج مسيرة الحضارة الاجتماعية على قدمين قدم العلـم وقدم الخلق والا فان المجتمع في جاهلية اذا فقد احدى هاتين القدمين .

ونتيجة لهذا التغيير السريع في بنيـة المجتمـع العربـي فقـد ازدادت الكثافة السكانية لبعض المدن بشكل كبير . اذ تشير الاحصائيـات الى ان النمو الحضرى في الاقطار العربية قد ارتفعت بين ٣ و ٥ر٤٪ سنويا فـي العقدين الاخيرين من هذا القرن في حين ان هذه الزيادة لم تصـل الى ٢ ٪ خلال الثلاثينات والاربعينات ، واذا استمرت نسبة الزيادة على هذا النحو فأن سكان الوطن العربي سيصبحون ٢٥٠ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠ ، منهم مايعادل ٧٠٪ يسكنون المدن اى حوالـي ١٧٥ مليون نسمـة(١) ، وهـذه نسبة مرتفعة تدل على ان المجتمع العربي قد انتقل بسرعة لاتتناسب مع مستوى التطور الحضارى الذى وصل اليه وهـذه الظاهـرة لهـا جوانـب ايجابيـة وجوانب سلبية (٢) ، اما الجوانب السلبية فيمكن اجتثاثها عـن طريق التمسك بالقيم والتقاليد الاصيلة التي عرف المجتمع العربي بهـا قال تعالى مخاطبا العرب :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـر وتؤمنون بالله) فاذا ازلنا الجوانب السلبية حافظنا على خيريه الامة التي فطرت عليها بنص القرآن الكريم ، اما اذا لم نستطع انقاذ الامة من هـذه المساوىء فأن خسارتنا اكبر من الربح الذى يدره التقدم الحضارى .

---

١ ـ د . حيدر كمونة . العلاقة بين ظاهرة التحضر والجريمة ، بحث مقدم الى الحلقة الدراسية الخاصة بالجريمة وتنبوءات المستقبل ، كانون الاول ١٩٨٧ ، بغداد ، ص ٢ .

٢ ـ د . مصطفى حجازى . الاحداث الجانحون ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٩٤ .

ومن الجوانب السلبية التي ينبغي على المجتمع العربي ان يحتاط لهـا : بناء السكن باسلوب يخلو من التخطيط المنظم اذ قد تبتنى المساكن دون تهيئة مستلزماتها الضرورية التي تتطلبها الحياة المعاصرة ، وقد اثر ذلك على كثير من الاراضي الزراعية التي امتدت الابنية والمساكن اليها ، وكان يجب على المخططين ان يشيدوا المدن الجديدة في الاراضي التي لاتصلح للزراعة ويشيدون المصانع والمشاريع فيها علما بان هذا الجانب السلبي نراه جليا في كثير عواصم ومدن الدول العربية لاسيما القاهرة وبغداد وعمان ولهذا بلغت الكثافة السكانية فيها، ذروتها ويوضح الجدول رقم(١) توقعات النمو السكاني لمدينة بغداد بين عام ١٩٨٠ ـ ٢٠٠٠ .

جـدول رقـم (١)

النسبة للنمو	١٩٨٠ـ١٩٨٥	١٩٨٥ـ١٩٩٠	١٩٩٠ـ١٩٩٥	١٩٩٥ـ٢٠٠٠
النمو الطبيعي	٣ر٢٪	٣٪	٣٪	٣٪
الهجـرة	٦ر١٪	٤ر١٪	٢ر١٪	٢ر١٪
السكاني السنوي	٨ر٤٪	٤ر٤٪	٢ر٤٪	٢ر٤٪

لذا يكون عدد سكان مدينة بغداد حسب توقعات النمو كمايلي :

١ ـ سنة ١٩٩٠ : ٠٠٠ر٢٩٤ر٥

٢ ـ سنة ٢٠٠٠ : ٢٠٠ر٩٩٠ر٧

---

(١) د. حيدر كمونة ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

ومن المظاهر السلبية التي اشارت اليها الدراسة التي اجراها احد ألباحثين أن ٥ر٢ مليون شخص خارج قدرة استيعاب مدينة القاهرة اى لاتستطيع تقديم الخدمات الضرورية لهم ؛ ومليون شخص في عمان و ٧٥٠ الف شخص في بغداد ٠

ومن اثار التحضر السريع ايضا ضعف الانتاج الزراعي بسبب اتجاه الفلاحين الى المدن ليكونوا عمال غير ماهرين غالبا ، ونزد الطاقة الفلاحية المفضية الى ضعف الانتاج الزراعي ينجم ارباك اقتصادى بسبب عدم الاكتفاء الذاتي ثم العاملون غير الماهرين قد لايجدون عملا متواصلا في المدينة وبهذا تتجلى مشكلة الفقر والبطالة ومايتنتج عنها من مشاكل اجتماعية واجرامية . اذ غالبا مايفضي جوع البطون الى عمى البصيرة والعيون لهذا تكثر جرائم السرقات والنصب والاحتيال والتزوير والجرائم الاخلاقية ؛ وقد دل الواقع الاجتماعي على تفشي ظاهرة التشرد في كثير من المدن المتحضرة كما تجلت ظاهرة التفكك الاسرى بالطلاق او التفريق او الهجر ، وخروج المرأة للعمل ، وانهيار السلطة الابوية ، وتراخت الروابط الاسرية وحيث ان الناس يتجهون اتجاه مادى في المدن المتحضرة فان علاقتهم الاجتماعية اقل ترابطا واضعف قوة من المجتمعات الريفية ٠

لذا يمكن القول ان التطور الاجتماعي والحضارى يتأثر بكثافة السكان وتوزيعهم ٠ اذ ان تطور الحضارة يتوقف على بلوغ الناس درجة معينة من التركز السكاني ونتيجة للدراسة التي اجراها العالم كليفورد شو الاستاذ في جامعة شيكاغو أتضح ان ٦٠ ٪ من الاحداث الجانحين يأتون من احياء تتميز بالانهيار المعنوى والتفكك الخلقي ٠ وبينت هذه الدراسة ان الاحياء ماتحت الكادحة في المدن الكبرى وكذلك الاحياء الهامشية اجتماعيا (مدن الصفيح والعشش) تكون مركز تصدير الانحراف وسوء التكيف

الاجتماعي ، اذ المفروض ان سكان هذه المناطق مفككون اجتماعيا ، لهم تاريخ طويل من البؤس والحرمان المادى والثقافي والمعنوى ، تكدس سكاني شديد في اماكن ضيقة والمساكن قذرة وغير صالحة للسكن حيا وانتشار البطالة ، والاطفال مهددون صحيا ونفسيا ودراسيا ، وهذه الاحياء تكون افضل بؤر الجريمة والدعارة والعصابات الاجرامية(١) .

وبما ان هذا التركز يتخذ صورة تجمع الناس في العواصم والمدن لذا كان للاجرام خصائص تميزه عن الاجرام في الريف(٢) ، لهذا فأن التطور الاجتماعي والحضارى قد تميز بصفة عامة بزيادة في نسبة الانحراف والاجرام . فتبلور الافكار المتصلة بالسلوك السوى والسلوك المنحرف ظهرت التقاليد القانونية والاجتماعية التي تتجم عن مخالفتها صور عديدة من الجرائم والرذائل .

ومن العوامل التي تؤدى الى ارتفاع نسبة الجرائم في المدن الكبيرة :

١) التقدم الحضارى الذى ضاعف من الحاجات والرغبات ، وما يتبعه من مجهودات تبذل في سبيل اشباع هذه الحاجات والرغبات . وهذا يؤدى في كثير من الاحيان الى سلوك اجرامي . لان التطور الحضارى يرافقه زيادة في القوانين التي تحكم السلوك الانساني . وهذه الزيادة تقابلها زيادة الفرص لمخالفتها وتبعا لذلك تزداد نسبة الجرائم المرتكبة .

٢) كثافة السكان وتركزهم في المدينة يزيد من فرص التقليد والمحاكاة في اقتراف الجرائم بشكل تفوق بدرجة كبيرة نسبته في الاحياء الريفية. ومن ابرزها القمار وتعاطي الخمور والدعارة والرذيلة وغير ذلك من الانحرافات الاخلاقية .

---

١ ـ د. مصطفى حجازى : الاحداث الجانحون . المرجع السابق ـ ص٩٥.
٢ ـ د . سمير نعيم احمد : الدراسة العلمية للسلوك الاجرامي . القاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م . ص ١٨٥ .

٣) الحياة الاجتماعية تميل الى التعقيد في المدينة اكثر منها في [illegible]
يؤدى الى زيادة الجرائم ، فالبيئة الحضرية المعقدة من شأنها ان تدفع
الفرد الى التردى في مهاوى الجريمة . وهذه الحقيقة ملموسة بصفة
خاصة في المدن الكبيرة حيث تكون بيئتها الاجتماعية سببا في اقتراف
كثير من الجرائم بسبب المغريات ووسائل اللهو والترفيه مما يجد
معها الافراد صعوبة في التكيف مع بيئتها المعقدة فيصبح الفرد اكثر
عرضة للانزلاق والانحراف . خاصة ان اغلبية المهاجرين الى المدينة
هم من الشباب الذكور ، ومرحلة الشباب من اكثر مراحل العمر
حيوية ونشاطا وطموحا ، وتمثل بداية للاستقرار العاطفي والمكاني
والمهني ، وعلى عكس ذلك البيئة الريفية فانها تميل الى البساطة
مما يسهل على الفرد التكيف مع بيئتها .

اذ لايواجه هذا الفرد مشاكل صعبة مستعصيه كما لايتعرض لمغريات
تدفعه السلوك الاجرامي .

٤) ان التقدم العلمي والحضارى في المدن سهل للمجرم استخدام الاساليب
الفنية والعلمية . لاسيما المجرم الذى يتصف بالذكاء والقابلية اذا
استعمل هذه الوسائل في مباشرة نشاطه الاجرامي دون ان يكتشف
امره .

٥) ان ازدياد التجمعات الانسانية في المدن وما ينجم عنه من ازدحام
سكاني من شأنه ان يهيء الاقامة المناسبة للمجرم اكثر من الريف :
لان الفرد يمكنه ان يستقر في المدينة دون ان يقيم علاقات مع جيرانه
مما يسهل عليه التحرك بحرية دون ان يلفت نظر احد . اذ يجد في
المدينة المحيط الاجتماعي الذى يلبي رغباته غير المشروعة ، لذا
يفضل المجرمون الاقامة في المدن على الاقامة في الريف: اذفي الريف يكون

الشخص معروفا بالنسبة لغالبية الناس . وفي مجتمع كهذا فيه من القيم والتقاليد يصعب عليه ان يعيش دون ان يقيم علاقات مع جيرانه وابناء منطقته ، وهذا يعني وجود اكثر من شخص يراقبه ويلاحظه ويهتم بالاشراف عليه ، وهذه الرقابة تمثل افضل وسيلة تحول دون اقترافه الجريمة(١) .

اما اثار الهجرة على المدينة المتسمة بالتقدم الحضاري في العالم الغربي لاسيما الولايات المتحددة الامريكية . فقد تجلت بصورة تختلف عما هي في الوطن العربي . لان طبيعة المهاجرين الى هذه الدولة اما ريفيين او عمال غير ماهرين .ونحن نختلف مع الاستاذين سذرلاند وكريسي لان عقول المهاجرين هي التي ساهمت في بناء الحضارة المعاصرة في امريكا ، بينما ما ذهب اليه هذان الباحثان : ان اثار الهجرة الى الولايات المتحدة كانت سلبيا « غالبا » اذا في خلال السنوات التي كانت فيها الهجرة قد وصلت الى الذروة قال الكثيرون بأن الهجرة هي ليست الاساس المجريمة ، وتأتي العلاقة بين الهجرة والجريمة في الولايات المتحدة في مقدمة المشكلات الهامة بالنسبه لنظرية الاجرام والسياسات التشريعية . ولم تحدد الكيفية ولا الطريقه التي تنتج بها الهجرة الجريمة ولكن قيل مايأتي : —

١ — يأتي المهاجرون من حثالة جنس البلد الذى ينزحون عنه ، او ان هناك نسبة من حثالة الجنس تكثر في المهاجرين عنها بين البيض الوطنين .

٢ — ان المهاجرين لم يألفوا مجموعات القوانين الامريكية ، ومن ثم فأن حالتهم الاجتماعية لاتعتبر مستقرة .

---

١ — د . عمر السعيد رمضان . دروس في علم الاجرام : محاضرات لطلبة دبلوم القانون الجنائي ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ — ١٧٥ مسحوبة بالرونيو . ص ٥٨ — ٦٢ .

٣ ـ المهاجرون غالبا يكونون من الفقراء ، وطرفا الفقر والحرمان يؤديان الى عدم الاستقرار الشخصي بمختلف انواعه .

٤ ـ ان المهاجرون يستقلون بدرجة كبيرة ، وهم لذلك ينعزلون عن تأثير القيود والردع التي للجماعات الاساسية .

ويحتمل ان يكون للهجرة تأثير في السلوك الاجرامي للمواطنين الامريكيين وكمايلـــي : ـ

١ ـ تزيد الهجرة من الخلاف بين نماذج السلوك ، فاصبح المسكان كثير من الثقافات والمقاييس وطرق السلوك ، وعلى عكس المدن الاوربية فأن مشكلة الضبط في المدن الامريكية صعبة جدا .

٢ ـ دفعت الهجرة الى التحضر وسكني المدن فزاد معدل نسبة الجريمة فيها عن الريــف .

٣ ـ قد تبعد الهجرة المواطنين عن كثير من الوظائف اى تعزلهم عن الثقافة التقليدية لاحترام القانون . وبينما لا يرتكب المولودون في الخـــارج جرائم اكثر مما يرتكب مواليد البلاد من نفس السن والجنس ، فـأن هؤلاء الاخيرين يحتمل ان يرتكبوا جرائم اكثر او ان المهاجرين لـــم يقيموا بينهم(١) .

ان هذا التصور المتطرف للهجرة يعكس لنا مبالغة الباحثين الامريكيين في اظهار اثار الهجرة السلبية ، وهذا شأن معظم الدراسات الامريكيـة ، اذ ترجع سبب السلوك الاجرامي الى عاملين اساسيين هما : المهاجريـــن الاجانب من الاقليات العنصرية والمناطق المتخلفة باعتبارها وضبط بسبب

---

١ ـ ادوين هـ . سذرلاند دونالد كريســي ، مبادىء علم الاجـرام) نيويورك ١٩٦٨ ، ص ١٨٦ ـ ١٩١ .

عالية من الجريمة ، والجناح والادمان على المسكرات والمخدرات والبغاء والانتحـــار ٠

وقد عبر سذلارند وكريسي عن العامل الاول بمصطلح (حثالة جنس البلد الذي ينحدرون عنه) في حين عبر هنتر عن العامل الثاني بمصطلح (حضارة الفقر) ، اذ لاحظ ان مناطق متخلفة تضم ٢٠٪ من سكان احدى المدن الامريكية اظهرت ٥٠ ٪ من حالات القاء القبض و ٤٥ ٪ من تقارير وقوع الجرائم و ٥٥٪ من تقارير الجناح ، لان عزلة سكان المناطق المتخلفة او عدم وعيهم بمشكلاتهم من شأنه ان يعكس اتجاهات عدوانية ازاء الخارجيين بالاضافة الى عوامل عديدة من المبررات الذاتية من ابرزها الشعور بالفشل والحرمان . كما اشار كوهن الى ارتفاع نسبة الجنوح في المناطق المتخلفة وان الفرد في هذه المناطق يقدم على هذا السلوك باعتباره حلا لمشاكله ، اذا ان استخدام الوسائل غير المشروعة واقتراف السلـــوك الاجرامي يوفر الراحة للاحداث والشباب وتخفيف التوتر النفسي لديهم بسبب عجزهم عن استخدام الوسائل القانونية مما يؤدي الى ظهور حضارة الجنـــاح(١) ٠

---

١ ـ كريم محمد حمزة ، الهجرة والجريمة ـ ملاحظات نقدية ـ المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة ، المكتب العربي لمكافحة الجريمة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١٦ و ١٧ ٠

وقد لقي تصورنا لخطأ الباحثين الامريكيين في تشخيص سبب السلوك الاجرامي قبولا لدى بعض المنصفين ، اذ قرر كلينارد حق الريادة للعلامة ابن خلدون في مقارنته بين سلوك الريف والحضر بقوله : (ان اهل البدو واقرب الى الخير من اهل الحضر) .(١) ، في معرض اشارته الى ان البدو هم اصل الحضر ، وانه لم يقم لديه دليل على ذم البداوة .

وقد اوضح كلينارد الفرق بين المجتمع الحضري والمجتمع الريفي بقوله ـ : ان المجتمع الحضري يتصف بعدم التجانس ، وهذا يقتضي وجود ثقافة او حضارة اجرامية لانتاج نمط اجرامي يتصف بوسائل فنية اجرامية ويتميز فيه المجرم بتاريخ اجرامي في حين ان المجرم في المجتمع الريفي او في المجتمع المعتدل التحضر ليس له اي نمط اجرامي بل يمكن القول ان المجرم الريفي لايدرك انه مجرم .

كما قرر وبنبرج ان الجرائم التي تقع على الاشخاص كجرائم القتل والايذاء موجودة في الريف وفي الحضر على حد سواء . الا ان الجرائم الاخرى تتضاعف مرات في المدينة عنها في الريف . ويوضح الجدول رقم (٢) الفرق بين نسب الجرائم المقترفة في الريف والحضر عام ١٩٦٦ في الولايات المتحدة الامريكية كما ذكرها كلينارد(٢) .

---

١ ـ انظر مقدمة ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ .
٢ ـ كريم محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ٢٤ و ٢٥ .

جدول رقم (٢)

نوع الجريمة	الريف	المدينة
القتل	٤ر٧	٦
السلب مع استخدام العنف	٨ر٩	١٤ر٣
السرقة	١٠	١١٥
الاغتصاب الخطير	٦٠ر٩	٤٢ر٨
السطو	١٨٨ر٣	٥٧٣ر٧
سرقة السيارات	٦٠ر٧	٣٩٤ر٣

ان هذا التصور المتطرف للهجرة والملاقة بين الريف والمدينة الذى انتهى اليه علم الاجتماع الحضرى مستمد من الدراسات الغربية والامريكية ، اذ ان دراسة المدن والتحضر قد تحددت جدا بالظواهر الحضرية الاوربية والامريكية ؛ لذا فأن التعميم والاطلاق الذى امتازت به هذه الدراسات ، اضافة الى القصور بالتصور قد حجب عنها الكثير من الجوانب المضيئة ، لان تعميمنا لهذه الظواهر على اساس انها عالمية هي في الواقع خاطئة لاختلاف الظروف والاسس التي بنيت عليها ، لان هؤلاء الباحثين غلوا بالغلو كما بينا في اظهار أثار الهجرة على السلوك ، اذ بينوا ان الملاقة بين الهجرة والجريمة علاقة حتمية ، وان حالة الترابط هذه تعني ان المهاجر لابد ان يقترف الجريمة ؛ اى ان المجرم لابد ان يكون مهاجرا .

وهذا التصور ليس غريبا اذا اتضح لدينا ان معظم الدراسات الامريكية تركز تفسيرها للسلوك الاجرامي على الصراع الحضري بين المهاجرين الاجانب (الجماعات الاقلية) وبين السكان الاصليين الاغلبية ،

كما ان بعض الباحثين الامريكيين قد بالغوا في اظهار درجة التفكك والطمأنينة في المدن الامريكية ، مما حدى بالاستاذ كاستيلو الى التشكيك بقيمة علم الاجتماع الحضري بل وبمبررات وجوده .

لذا لايمكن اخضاع المدن العربية للظواهر الحضرية التي خضعت لها المدن الاوربية والامريكية ، لان مفهوم المدينة في الوطن العربي مازال الى اليوم بحاجة الى توضيح وتحديد ، لانه ليس نمطا متجانسا في خصائصه ، فالمدن الصناعية مازالت اضعف حلقات المدن في الوطن العربي ، كما يصعب التمييز في بعض الاقطار العربية بين المناطق الريفية والحضرية .

وقد ساور هذا التصور المتطرف بعض الدراسات العربية ، اذ صور بعض الباحثين الهجرة وكأنها اخطر المشاكل التي يواجهها المجتمع العربي ، مما يتطلب من المختصين والعاملين في الميدان الاجتماعي والجنائي الى التنديد بها باعتبارها مشكلة اجتماعية خطيرة ، صحيح ان الهجرة تعني انتقال الافراد من حياة مستقرة مألوفة الى حياة غير مستقرة للعيش مع اخرين غرباء عنهم لايشتركون معهم بالعادات والتقاليد ولايرتبطون معهم بالروابط المشتركة ، لذا فأن هذه البيئة الجديدة تثير كثير من المشاكل منها مشكلة التكيف والجنوح ، فهي تجربة قاسية يشعر فيها فيها المهاجر بالغربة وعدم الاستقرار المكاني والمهني والاحساس بالمتاعب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، ولكن هل هذا ينطبق تماما على الهجرة في الوطن العربي ، وبعبارة اخرى هل يمكن ان نستخدم تصورات علم الاجتماع الحضري العربي للمقارنة بين الريف والحضر في الوطن العربي ؟

وللاجابة على هذا التساؤل نقول : ان التمييز بين الريف والحضر في الوطن العربي يعتمد على معايير ادارية مضللة في كثير من الاحيان باعتبار ان مفهوم المدينة لايساوي مفهوم النموذج الحضري للحياة ، لان

المدينة قد يمتد تأثيرها الى خارج حدودها الادارية اضافة الى ان المعايير الكمية المجردة لايمكن الاعتماد عليها اذ ما يعتبر حجمها كبيرا في مجتمع ماقد لايعتبر كذلك في المجتمع الاخر . وان بعض الظواهر المصاحبة لحركة الهجرة في المدن الغربية والامريكية كالتحضر السريع والتفكك الاجتماعي لاتظهر بنفس التأثير في المدن العربية بسبب تشابه خصائص هذه المدن مع خصائص الريف اذ تحدث جراء الهجرة عملية تحضر للمهاجرين يصاحبها ولو مرحليا عملية ترييف المدينة(١) ·

وبالرغم مما تقدم يمكن القول ان الهجرة ليست مسألة خطيرة الى الحد الذي صورته بعض الدراسات العربية · وبالغ في ابرزها بعض الباحثين العرب ، فلو نظرنا الى حقيقتها بتجرد فانها تبدو ظاهرة طبيعية، لان التقدم التقني والصناعي الذي تشهده الحياة المعاصرة اليوم قد شمل كافة الميادين وقلب كل الموازين ، ولم يعد بالامكان ان يقتصر على الانسان الحضري ، لذا فأن الوسيلة الطبيعية التي يواجه بها الانسان الريفي الحياة المتغيرة المتجددة تتمثل بالهجرة لان هذه التطورات جعلت من طموحات ابن الريف لان يكون اكثر اتصالا بالحضارة والتقدم في المدينة ·

اما تصوير الهجرة بأنها مشكلة اجتماعية كبيرة فأن لهذا التصور ما يبرره في ظل بعض الظروف السائدة حينذاك · لانهم يرون ان الهجرة تؤدي الى افراغ الريف من ابنائه مما يتدهور الانتاج الزراعي ويتخلخل التركيب الديموغرافي للسكان ، كما تؤدي الى عجز المدينة عن تقديم الخدمات الضرورية للمهاجرين لانهم خارج قدرتها على الاستيعاب · وكلا الصورتين ترتبط بظروف سياسية واقتصادية غير طبيعية · اذ ان بقاء

---

١ ـ عبد الرزاق الهلالي · الهجرة من الريف الى المدن في العراق ، مطبعة النجاح بغداد ، ١٩٥٨ ·

سكان الريف بحجمهم الكبير لايؤدى الى زيادة في الانتاج الزراعي وانما يمكن ان يساهم في زيادة حجم البطالة المقنعة ومن الممكن استثمار الطاقة البشرية الاقل حجما افضل استثمار اذا طبقت وسائل التقنية والتشغيل العلمية المناسبة كما ان عجز المدينة عن استيعاب المهاجرين لايدل على ان الهجرة تسبب مشاكل اجتماعية للمدينة وانما يدل على ان عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية غير متوازنة فيها ، فلو نظرنا الى كثير من المدن العربية لوجدنا بأنها بامس الحاجة الى الايدى العاملة بدليل انها فتحت ابوابها للمهاجرين الاجانب الذين يفتقرون الى ابسط المواصفات والخبرات الفنية كما بينا سابقا(١) ٠

وحتى مفهوم المنطقة المتخلفة التي عبر عنها الباحثين الغربيين بحضارة الفقر والتي تظهر حالة الترابط الحتمية بين الهجرة والجريمة ، ان هذا التصور ان كان صحيحا في المناطق المتخلفة من المدن الامريكية الا انها ليست صحيحة في المناطق المتخلفة وماتسمى المناطق الشعبية في المدن العربية ، اذ اظهرت كثير من الدراسات نتائج مختلفة تماما عن الدراسات التي اجراها بعض الباحثين الامريكيين ، اذ لاتوجد في تلك المناطق حضارة فقر بالمعنى الدقيق للمصطلح ، فالدخل الواطيء نسبيا في هذه المناطق لايولد شعورا بالقلق والعجز نظرا لما يمتاز به ابناء هذه المناطق من قناعة وعفة النفس وطهارة القلب من الحسد والانانية ، لان مثل هذه المعاني الفاضلة لاتنشأ في ظل الغني والفقر لكنها تؤثر تأثيرا ايجابيا في توجيه سلوك الانسان نحو الخير ٠

---

١ ــ كريم محمد حمزه ، المرجع السابق ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ٠

والفضيلة ، ونعترف في الوقت نفسه ان الفقر لدى فرد يتصف بضعف الوازع الاخلاقي يمكن ان يؤثر تأثيرا سلبيا في سلوكه ، الا ان الفقر لايمكن بحد ذاته ان يكون عاملا اجراميا على الرغم من صعوبته ومرارته ، فقد انتهى سذرلاند من الدراسات التي اجراها للتحقق من صحة قيام الرابطة الوثيقة بين الفقر والجريمة بقوله :

ان الجريمة كما تقترف من الفقراء يمكن ان تقترف ايضا من غير الفقراء ، فقد اثبت سذرلاند بان الجريمة يمكن ان تقترف من اشخاص ينتمون الى الطبقات العليا في المجتمع ويشغلون المراكز المحترمة فيه وهم اصحاب الاعمال ، وقد علل هذا الرأي بان الوضع المالي الممتاز وما يتمتعون به من مزايا وما يمارسونه من سلطة ونفوذ فهذه المزايا الايجابية بنظر سذرلاند لاتمنعهم من اقتراف الجرائم بل على العكس ربما تكون عاملا مساعدا لانحرافهم حيث يشعروا بان هذه المزايا تحقق لهم الحماية المرجوة فيعمدوا الى استغلال هذه الظروف لتحقيق منافع شخصية ذاتية ، حتى وان تحقق ذلك باقتراف اكبر الجرائم باتباع اسلوب يضمن لهم الاستمرار في ممارستهم الاجرامية دون ان ينكشف امرهم امام السلطات المختصة(٢) "

---

٢ ـ سذرلاند وكريسي ـ مبادىء علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٢٥٥ ، ٢٧٥ ، ٣٦٢ ، ٢٦٣ .

اهــم مراجــع الكتــاب

اولا ـ باللغة العربية : بعد القرآن الكريم

أ ـ المؤلفات والرسائل الجامعية

١ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

٢ ـ ابن خلدون ، المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة .

٣ ـ ابن غانم البغدادي ، مجمع الضمانات ، القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .

٤ ـ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م .

٥ ـ ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ١٣٢٣ هـ ، الجزء الاول : ط ١ .

٦ ـ ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ١٣٢٠ هـ ، ط ١ .

٧ ـ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ .

٨ ـ ابن نجيم ، الاشباه والنظائر ، وشرحه غمز العيون والبصائر للحموي القاهرة ، بلا تاريخ .

٩ ـ ابن هشام الانصاري ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، بلا تاريــــخ .

١٠ ـ ابو منصور الازهري ، الزاهر في غريب الفاظ الشافعي ، الكويت ١٩٧٩ .

١١ ـ ابي العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلاني ، ارشاد الساري

لشرح صحيح البخاري المطبعة الكبرى الاميرية ، القاهرة ، ١٣٠٤ هـ
المجلد الرابع ، ط ٦ .

١٢ ـ ابي الليث السمر قندي ، خزانة الفقه وعيون المسائل والنوازل ، تحقيق صلاح الدين الناهي ، المجلد الثاني ، عيون المسائل ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م .

١٣ ـ ابي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣م
المجلدان الثالث والرابع .

١٤ ـ ابي حامد الغزالي ، معارج القدس في معرفة مدارج النفس ، منشورات دار الآفاق العربية ، بيروت ١٩٧٨ ، ط ٣ .

١٥ ـ ابي عبد الله بن الازرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق علي سامي النشار ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ج ٢ .

١٦ ـ احمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

١٧ ـ احمد عوض بلال ، علم الاجرام (النظرية العامة والتطبيقات) دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ ، الطبعة الاولى .

١٨ ـ اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨م .

١٩ ـ ادوين ـ هـ ـ سذرلاند ودونالد كريسي ، مبادئ علم الاجرام ، ترجمة محمود السباعي وحسن صادق المرصفاوي ، مكتبة الانجلو ـ مصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٢٠ ـ اسحاق ابراهيم منصور ، الموجز في علم الاجرام والعقاب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٧٩ .

٢١ ـ اكرم نشأت ابراهيم ، علم النفس الجنائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ ، ط ٤ .

٢٢ ـ الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية على مذهب الامام ابي حنيفة النعمان ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .

٢٣ ـ الشاطبي ، الموافقات في اصول الاحكام ، مطبعة المدني ، القاهرة ، جـ ١ ، جـ ٢ .

٢٤ ـ الفارابي ، تحصيل السعادة ، الهند ، ١٩٢٥ .

٢٥ ـ الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، القاهرة ، ١٣٠٨ هـ ، ١ .

٢٦ ـ الكاساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، مطبعة الامام ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، جـ ٩ .

٢٧ ـ الكسيس كاريل ، الانسان ذلك المجهول ، ترجمة عادل شفيق ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، بيروت ١٩٧٢ .

٢٨ ـ جلال ثروت ، الظاهرة الاجرامية ، الاسكندرية ، ١٩٧٢ .

٢٩ ـ جلال ثروت و محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، الدار الجامعية ، ١٩٨٣ .

٣٠ ـ حسنين ابراهيم صالح عبيد ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٣١ ـ خالد رشيد الجميلي ، الدية واحكامها في الشريعة الاسلامية والقانون مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٥ .

٣٢ ـ خالد رشيد الجميلي ، الوصفات في تخريج احاديث الديات ، بغداد ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٣٣ ـ ديوان الرصافي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م
الطبعة الخامسة .

٣٤ ـ ذنون احمد الرجبو ، شرح قانون العقوبات العراقي ، دراسة مقارنة
مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٧ ، ط ١ .

٣٥ ـ ذنون احمد الرجبو ، شرح قانون العقوبات العراقي ، دراسة مقارنة
العقوبة ، بغداد ١٩٧٩ ، مسحوبة بالرونيو .

٣٦ ـ رمسيس بهنام ، علم الاجرام ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٠ ،
ج ١ ط ٣ .

٣٧ ـ رمسيس بهنام ، علم الاجرام منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٠ ج٢ ،
ج ٣ ، ط ٣ .

٣٨ ـ رمسيس بهنام وعلي عبد القادر القهوجي ، علم الاجرام والعقاب ،
الاسكندرية ، ١٩٨٦ .

٣٩ ـ سمير نعيم احمد ، الدراسة العلمية للسلوك الاجرامي ، القاهرة ،
١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٤٠ ـ سيجموند فرويد ، عسر الحضارة ، ترجمة عادل العوا ، دمشق ،
١٩٧٥ .

٤١ ـ سيجموند فرويد ، افكار لازمنة الحرب والموت ، ترجمة سمير كرم ،
دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٧ ط ٢ .

٤٢ ـ سيجموند فرويد ، مدخل الى التحليل النفسي ، ترجمة جورج طرابلسي
دار الطليعة ، بيروت ١٨٩٠ ط ١ .

٤٣ ـ سيجموند فرويد ، نظرية الاحلام ، ترجمة جورج طرابلسي ، دار
الطليعة بيروت ١٩٨٠ ط ١ .

٤٤ ـ شاب توما منصور ، شرح قانون العمل ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ط ٦

٤٥ ـ شفاء الصدر في شرح شواهد القطر ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .

٤٦ ـ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٣

٤٧ ـ عبد الجبار عريم، نظريات علم الاجرام،مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٦ ط ٦ .

٤٨ ـ عبد الرزاق الهلالي ، الهجرة من الريف الى المدن في العراق ، بغداد ١٩٥٨ .

٤٩ ـ عبد الغني عبود ، الانسان في الاسلام والانسان المعاصر ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٧٨ .

٥٠ ـ عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر الاسكندرية ، بلا تاريخ .

٥١ ـ عبد الفتاح الصيفي ومحمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية ، بلا تاريخ .

٥٢ ـ عبد الكريم زيدان ، الوجيز في اصول الفقه . دار النذير للطباعة والنشر ، بغداد ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م ط ١ .

٥٣ ـ عدنان العابد ويوسف الياس ـ قانون العمل ، دار المعرفة ، مؤسسة ، ط ١ .

٥٤ ـ عدنان العابد ويوسف الياس . قانون الضمان الاجتماعي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨١ .

٥٥ ـ عبود السراج ، علم الاجرام وعلم العقاب ، دراسة تحليلية في اسباب

٦٥ ـ ليون ـ ف ـ بوفير ، مع هشري ـ س ـ شرايسوك ، وهاري ـ و عندرسون ، الهجرة الدولية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ترجمة فوزي السهاونة ، عمان . ١٩٨٢ .

٦٦ ـ مارسيل لوكلير ، الوجيز في الشرطة التقنية ، ترجمة بسام الهاشم ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ط ١ .

٦٧ ـ مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٦٨ ـ مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، القاهرة ١٩٧٩ .

٦٩ ـ محمد ابو زهرة ، الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٧٠ ـ محمد البابلي باك ، الاجرام في مصر ـ اسبابه وطرق علاجه ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤١ .

٧١ ـ محمد بن سحنون ، كتاب آداب المعلمين ، تحقيق محمود عبد المولى ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر ، ١٩٨١ ، ط ٢ .

٧٢ ـ محمد خلف ، مبادئ علم الاجرام ، مطابع دار الحقيقة ، بنغازي ، ١٩٧٧ .

٧٣ ـ محمد شلال حبيب ، التدابير الاحترازية ـ دراسة مقارنة ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ ، ط ١ .

٧٤ ـ محمد شلال حبيب ، الخطورة الاجرامية ـ دراسة مقارنة ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ، ط ١ .

٧٥ ـ محمد عثمان نجاتي ، الادراك الحسي عند ابن سينا ، بحث في علم النفس عند العرب ، دار الشروق ، بيروت ـ القاهرة ، ١٩٨٠ ، ط ٣ .

٧٦ ـ محمد فالح حسن ، دور المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة

الجريمة وعلاج السلوك الاجرامي . الكويت . ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .
الطبعة الثانية .
٥٦ ـ عمر السعيد رمضان . دروس في علم الاجرام . محاضرات ألقيت على طلبة دبلوم القانون الجنائي بكلية الحقوق جامعة القاهرة . ٩٧٤، ٩٧٥، مسحوبة بالرونيو .
٥٧ ـ عوض محمد . مبادىء علم الاجرام . مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .
٥٨ ـ علي عبد القادر القهوجي . علم الاجرام وعلم العقاب . الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٨ .
٥٩ ـ علي كمال : النفس وانفعالاتها وامراضها وعلاجها ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ط ١ .
٦٠ ـ فوزية عبد الستار . دروس في علم الاجرام وعلم العقاب ، بيروت ، ١٩٧٥ .
٦١ ـ فوزية عبد الستار . مبادىء علم الاجرام والعقاب ، بيروت ، ١٩٧٨ .
٦٢ ـ كالفن ـ س ـ هول . مبادىء علم النفس الفرويدي ، تعريب الاستاذ دحام الكيال مكتبة النهضة . بغداد ، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ، ط ٢ .
٦٣ ـ كمال درويش ومحمد محمد الحماحمي وامين انور الخولي ، اتجاهات حديثة في الترويح واوقات الفراغ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
٦٤ ـ لويس الناصر وجورج كانغليم ، دراسات لا انسانية ، ترجمة سهيل القش . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، ١٩٨١ .

في مكافحة الجريمة ، رسالة دكتوراه ، مسحوبة بالرونيو ، بغداد ، ١٩٨٥ .

٧٧ ـ محمد فتحي ، علم النفس الجنائي علما وعملا ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ج ٢ و ٣ ، ط ٤ .

٧٨ ـ محي الدين ابي زكريا النووي الشافعي ، رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد .

٧٩ ـ مسكويه ، تهذيب الاخلاق ، بيروت ، ١٩٦٦ .

٨٠ ـ مصطفى سويف ، الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ .

٨١ ـ مصطفى فهمي ، علم النفس الاكلنيكي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٨٢ ـ مصطفى محمد عمارة ، جواهر البخاري وشرح القسطلاني ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .

٨٣ ـ مصطفى حجازي ، الاحداث الجانحون ، بيروت ، ١٩٨١ .

٨٤ ـ مقداد يالجن ، التربية الاخلاقية الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م ط ١ .

٨٥ ـ وحيد الدين خان ، الدين في مواجهة العالم ، ترجمة ظفر الاسلام خان ومراجعة عبد الحليم عويس ، القاهرة ١٩٧٤ ط ٣ .

٨٦ ـ يسر انور علي وامال عبد الرحيم عثمان ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٨٧ ـ يسر انور علي وامال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

ب ـ البحوث والمؤتمرات والنشرات الاحصائية :

١ ـ احمد الكبيسي ، دور الشريعة الاسلامية في الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاقتصادي ، بحث مقدم الى المؤتمر العربي الثاني عشر للدفاع الاجتماعي ، الرباط ، ٢٥ ـ ٢٨ تشرين الاول ، ١٩٨٢ .

٢ ـ الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الاسلامي واثره في مكافحة الجريمة ، الرياض ١٦ ـ ٢١ شوال ١٣٩٦ هـ ، الجزء الاول .

٣ ـ النشرة الاجتماعية الاحصائية ، الجهاز المركزي للاحصاء ، مسح الجريمة في مرحلة التحقيق (عدا المخالفات) ، سنة ١٩٧٩ .

٤ ـ بيير ديتيكر ، تطبيقات المناهج الطبية النفسية في علم الاجرام ، تقرير مقدم الى المؤتمر الدولي الرابع لعلم الاجرام ، لاهاي ٥ ـ ١٢ أيلول، ١٩٦٠ ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الثاني ، تموز ١٩٦١ ، المجلد الرابع .

٥ ـ تقرير وتوصيات ندوة الدفاع الاجتماعي والسياسة الجنائية من خلال التشريع الاسلامي ، المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ، الامانة العامة ، الرباط ٦ ـ ٨ رجب ١٤٠١ هـ ـ ١١ ـ ١٣ مايس ١٩٨١ م .

٦ ـ تقرير مؤتمر الامم المتحدة السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين الامم المتحدة ـ الجمعية ـ كركاس ، ١٩٨٠ .

٧ ـ جورج ديول ـ التدابير الوقائية ـ تعريب موسى عبود ، بحث منشور في مجلة القضاء والقانون المغربية ، ابريل ـ مايو / ١٩٦٤ ، السنة السابعة ، العددان ، ٦٨ و ٦٩ .

٨ ـ حسين فاضل الربيعي ، الهرمونات والجينات ، البايولوجيا الجزئية لعلاقة الهرمونات بالمادة الوراثية ، مجلة علوم العدد الثاني ، السنة الاولى نيسان ١٩٨٤ .

٩ ـ حمد عبيد الكبيسي . نظرة الشريعة الاسلامية الى دور الجمهور في منع الانحراف ووقاية المجتمع ، بحث مقدم الى الحلقة الدراسية الخاصة بدور الجمهور في منع وقوع الجريمة والوقاية منها ، مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الثالث ، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ .

١٠ ـ حيدر كمونة ، العلاقة بين ظاهرة التحضر والجريمة ، بحث مقدم الى الحلقة الدراسية الخاصة بالجريمة وتنبوءات المستقبل ، بغداد ، كانون الاول ، ١٩٨٧ .

١١ ـ كريم محمد حمزة ، الهجرة والجريمة ـ ملاحظات نقديه ، بحث مقدم الى المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة ، المكتب العربي لمكافحة الجريمة ، بغداد ، ١٩٨١ .

١٢ ـ نشرة احصاء حوادث المرور المسجلة لسنة ١٩٧٩ (عدا المخالفات) ، الجهاز المركزي للاحصاء .

ثانيا : باللغــات الاجنبيــة :

1 - ANTOLISEI : La canacita A. Deliguro. seritti Di Deritto penal. Millano. 1955.

2 - B. Di TULLIO : ManuelD. Anhropolgie. criminelle. Paris, 1951

3 - ERNST SEELING : Traite de Criminolgie. 1965.

4 - EXNER : Kriminologisher Brich ureb eine Reise nach Amerika, Berlin.

5 - FERRI : Soclogia Criminal. Vol, 11. Torino. nrt

6 - FERRI:Prinicipi Di Dirtto Criminolgy. Torino, 1928

7 - HANS GRASS : Kriminologisher, 1918.

8 - G. TRAD : La criminalite comparee. 4ed. paris, 1969.

9 - GEMELLI : Lo studio Della Responsabilita Del Delinquento Noi Suoi Fondamenti Biologici, Millano 1948 .

10- KINBREG, O: Les problems Fondamentaux De La Criminolgoie, paris, 1960.

11- Marc ANCEL : La defence Sociale, nouvelle, paris, 1966 .

12- M. MOUGEST : Le Traitement Des Muneurs Inadaptes Dans un Etablissement Breton, (Methodes Et Resultats)

